

من وراء الغم

مكتبتنا
كنوز من المعرفة

A
h
m
e
d

M
a
d
y

مكتبتنا
WWW.MAKTBTNA2211.COM

يوسف السباعي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ وَرَاءِ الْغَمِّ

دار مصر للطباعة

سعيد جودة السحار وشركاه

للمؤلف

أكتب كل يوم
أنا رطل - ساعة
موجود في
ملف
الم

- (قصص قصيرة ١٩٤٧)
- (رواية ١٩٤٧)
- (قصص قصيرة ١٩٤٨)
- (..... ١٩٤٨)
- (..... ١٩٤٨)
- (..... ١٩٤٩)
- (رواية ١٩٤٩)
- (قصص قصيرة ١٩٤٩)
- (..... ١٩٤٩)
- (..... ١٩٥٠)
- (رواية ١٩٥٠)
- (قصص قصيرة ١٩٥٠)
- (..... ١٩٥٠)
- (..... ١٩٥١)
- (مسرحية ١٩٥١)
- (قصص قصيرة ١٩٥١)
- (..... ١٩٥١)
- (رواية ١٩٥٢)
- (..... ١٩٥٢)
- (قصص قصيرة ١٩٥٢)
- (..... ١٩٥٢)
- (..... ١٩٥٢)
- (مسرحية ١٩٥٢)
- (قصص قصيرة ١٩٥٣)
- (..... ١٩٥٣)

- أطيف
- نائب عزرائيل
- اثنتا عشرة امرأة
- خبايا الصدور
- يا أمة ضحكت
- اثنا عشر رجلا
- أرض النفاق
- في موكب الهوى
- من العالم المجهول
- هذه النفوس
- إلى راحلة
- مبكى العشاق
- بين أبو الريش وجنيّة ناميش
- أغنيات
- أم رتيبة
- هذا هو الحب
- صور طبق الأصل
- بين الأطلال
- السقامات
- سمار الليالي
- الشيخ زعرب
- نفحة من الإيمان
- وراء الستار
- ست نساء وستة رجال
- هذه الحياة

(رواية ١٩٥٣)	— البحث عن جسد
(مسرحية ١٩٥٣)	جمعية قتل الزوجات
(رواية ١٩٥٣)	— فديتك بالليل
(قصص قصيرة ١٩٥٣)	— ليلة حمر
(..... ١٩٥٣)	— همسة عابرة
(رواية في جزأين ١٩٥٤)	— رد قلبي
(قصص قصيرة ١٩٥٥)	— ليال ودموع
(رواية ١٩٥٦)	— طريق العودة
(مقالات ١٩٥٧)	أيام تمر
(..... ١٩٥٨)	— من حياتي
(..... ١٩٥٩)	لطمات ولثام
(رواية في جزأين ١٩٦٠)	— نادبة
(..... ١٩٦١)	— جفت الدموع
(مقالات ١٩٦١)	أيام مشرقة
(..... ١٩٦١)	أيام وذكريات
(..... ١٩٦٢)	أيام من عمري
(رواية في جزأين ١٩٦٤)	— ليل له آخر
(مسرحية ١٩٦٦)	أقوى من الزمن
(رواية في جزأين ١٩٦٩)	— نحن لا نزرع الشوك
(رواية ١٩٧٠)	— لست وحدك
(مقالات ١٩٧٠)	— من وراء الغيم
(..... ١٩٧١)	أيام عبد الناصر
(رواية ١٩٧١)	ابتسامة على شفثيه
(رحلات ١٩٧١)	طائر بين المحيطين
(قصة ١٩٧٣)	— العمر لحظة

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

مقدمة

هذه كلمات أطلقتها انفعالات ما بعد النكسة . كلمات تطلق من وراء الغيم .. و قتامة النكسة تخيم علينا .. وكآبتها تغمر نفوسنا . ونحن نحاول أن نصلب عودنا ، ونلم شملنا ، ونشد أزرنا ، لنخطو إلى الأمام من جديد ، متجاوزين بالصبر والعمل الجاد كل أسباب النكسة وآثارها ، لننتقل في أفق ينقشع منه الغيم ، وتشرق الشمس من ورائه ، لنحقق لشعبنا العربي انتصارا على كل عدوان على أرضه وآماله .. ونهيء له الحياة الحرة الكريمة ، التي يشارك بها في إقرار سلام العالم ، وإثراء حضارة الإنسان .

مع .. نفسى

الأحزان لا تزدد .. وعندما نحاول أن نبتلع أوجاعنا فى المحن . ونروح
ونغدو وسط الضجيج بوجوه منبسطة الأسارير لا تعبر عما يعتل فى
نفوسنا من مشاعر وما يصطخب فى قلوبنا من انفعالات .. ويخيل إلينا أننا
قد بتنا بلا أوجاع .. حتى تنكأ جراحنا همسة أو لمسة .. وإذا بنا نتفض
فجأة .. وإذا بالأحزان التى خلناها قد ذابت تتلوى فى باطننا وتعتصر
قلوبنا وتحاول أن تجدها مخرجا .. فى دمة تراق .. أو آهة تعلو .. ونحس
أننا بشر وأن من حقنا أن نحزن .. ومن حقنا أن ندمع .. ومن حقنا أن
نقول .. ولو مع أنفسنا .. آه .

الأحداث تجرفنى .. كما تجرف الملايين فى هذه الأيام .. وإحساس
بالظلم لا أعرف ممن .. يملأ نفسى .. ولا أملك إلا أن أنطلق فى الزحام ..
أكتب وأتحدث .. وأكل وأشرب .. وأحاول أن أنام .. وأن أفعل ما يجب
أن يفعله الناس لأنفسهم وللآخرين .. وكل شئ يبدو كما هو .. وكأن
شيئا لم يحدث .. قد لا تكون لى قابلية للطعام .. ولا قدرة على النوم ..
ولكنى أحيا . وليس غريبا .. ألا نأكل أحيانا .. أو نأرق أحيانا أخرى .
كنت أبدو فى الصحو طبيعيا .. أمام الناس .. ومع نفسى .. وكأن
ليس لى شيئا .. وكأن حزنا لا يرسب فى أعماقى .

وفى ذات ليلة .. نكأ النوم من الجرح .. ما عجز عنه الصحو ..
وفجر الحلم ما عجزت عنه اليقظة .. ووجدت نفسى أسير فى القاهرة ..
وأبى قد مات .. ألقى الناس وأتحدث إليهم .. بغير عبرة ألم .. ولا تنهيدة
حزن .. وكأن موته .. قد لقى من قلبى درعا من المقاومة .. عجز الحزن

أن ينفذ منها .. كتلك التى لقيتها الأحداث فى صحوتى ..
ورحت أجوب دروب القاهرة الحبيبة .. تضمنى طرقاتها .. بدورها
تحنو على .. وضجيج مارتها وحوانيتها يملأ قلبى سكينه .. أحمل موت أبى
على كاهلى .. خفيفا بغير وجيعه ولا فجيعه .. وألقى الناس ويلقوننى بلا
رثاء ولا عزاء ..

ووجدت نفسى أخيرا .. فيما يشبه حى باب الخلق .. فى منطقة تحت
الربع .. بكل ما فيها من مصرية أصيلة .. أعرفها وتعرفنى .. وأجد فيها
نفسى قرية من الناس .. ورأيت « صيوانا » متسعا مكشوبا أبيض
الجوانب ناصع الأعمدة يكاد يملأ الميدان .. ووجدتنى أتحرك فيه بثقة
وكأنى صاحبه .. وأنزل بضع درجات فى جانبه .. لأجد أُمى تقف فى
انتظارى بيضاء الوجه رقيقة القسمات ملء وجهها الحنو والرقه والحب .
تضمنى إلى صدرها وتهتف بى « لماذا لا تبكى » ؟

وفجأة .. تفجر كل ما فى صدرى من أثقال الحزن .. وأحسست
بالدموع .. تجرف أمامها صخور المقاومة التى سدت طريقها ..
واندفعت همى .. بحرية .. وانطلاق .. وأحسست للبكاء فى النوم
متعة .. افتقدتها فى الصحو .. وكأن طائرا حبيسا تحطم قيده ورفعت
قضبان سجنه .. فانطلق يهتف بترنيمه .. لا تعرف إن كانت شلوا أم
نواحا ..

واستيقظت فى الصباح أخف عبثا .. وحملت بعض الزهور وملء
عينى السيدة الرقيقة الوجه التى يفيض الحنان من عينيها .. والتى أطلقت
بضمة ذراعيها سراح الحزن من سجن نفسى .

وانحدرت إلى مقبرة بالغفير .. وهروول ورأى رجل نخيل أسمر تنبىء عنه
طرقات نعليه على أرض الطريق وهرولة جبته السوداء الفضفاضة ..
وسألنى أن يقرأ .. ودفع حارس المدفن بالمفتاح فى الباب وأداره فأحدث

صريرا .. ودخلت والحارس والمقرئ ووراءنا امرأة بصفيحة مياه تسقى الصبار .

ووضعت الزهور على المقبرة وتمت بالفاتحة .. وجلست مطأطأة الرأس .. أرقب الأرض .. والمياه تتدفق في أصص الصبار . وبدأ الرجل يقرأ .. وأخذت أرقب .. عينيه تغمضان وجلد وجهه يشد من انفعال القراءة .

وشردت برهة ، ثم عدت أستمع إليه .. لم يكن صوته جميلا .. ولكن قراءته كانت مريحة وأحسست بشيء من السكينة .. زادتني إنصاتا إليه ..

ووصل صوته إلى أذني .. وبدأ لي كأن إنسانا ما يسر إليّ بحديث خاص وهو يقول : « ولا تنهوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » .

وازددت إرهافا .. وعدت أحلق في وجه الرجل المغمض العينين المشدود أعصاب الوجه وبدأ لي كأن الصوت .. ليس صوته بل صوت أكبر وأعلى .. واسترسل يقول :

« إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله .. وتلك الأيام نداؤها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين » . عجيب .. هذا الذي قيل .. ما أظنني أحسست أني في حاجة .. إلى شيء حاجتي إلى مثل هذا القول ..

وزادت في قلبي السكينة .. وزاد الإيمان بالله الذي لا يحب الظالمين .. ووجدت نفسي أنهض من مكاني .. وأحسست بالوجه الأبيض الرقيق الذي يفيض الحنان من عينيه .. وكأنه يهتف لي من وراء الزهور كما كان يهتف دائما .. « لسه بدرى » .

وانطلقت من المقبرة .. وكأني بالصوت الرقيق يسألني عاتبا ..

« دائما كده مستعجل .. عامل زى اللى بتجرى والدنيا بتجرى وراك » .
مرة أخرى .. انطلقت وسط الناس .. أكتب وأتحدث .. وآكل
وأشرب .. وأحاول أن أخلص من رواسب الحزن .. وأذكر الوجه الرقيق
وأذكر كلمات الله .. ولكن بقايا حزن ما زالت ترسب في أعماقي ..
لست أظن شيئا يزيلها .. غير أيام تمر .. وعود يصلب .. وسواعد تتآزر
وتشتد وبناء يعلو واعتبار لوطننا الحبيب الكبير يرد .

٢١ يونيه ١٩٦٧

في دوامة .. ما بعد النكسة

أشعر أننا نعيش هذه الأيام في دوامة ما بعد النكسة . ونحن نعيش دوامة كلام .. نفرغ به كل ما في نفوسنا من أسي ومرارة وضيق .. ونستقصي به عن علل وأسباب لكل ما حدث .. ونلقى به اللوم سيّاطا نقرع بها شخصا ما نحاول أن نحمله الخطيئة .. ونلقى عليه عبء الذنب . وما يحدث الآن رد فعل طبيعي .. لما حدث ..

ولكن غير الطبيعي .. أمران .. أولهما .. أن يندفع البعض في دوامة الكلام ليخرج ما في نفسه من مرارة شخصية لينفس بها عن مشاعر خاصة مكبوتة .. وهذا الأمر .. رغم أنه يزيد من فوران الدوامة .. ويخلط الأمور بها .. ويفرقنا في عملية تشويش للحقائق .. واهتزاز للرؤية .. فهو أمر لا يمكن تجنبه .. كتعبير عن طبيعة إنسانية .. لا مفر لنا من التسليم بها .. وهو على أية حال متنفس .. لمشاعر لا بد أن تجد طريقها إلى الخروج .

أما الأمر الثاني وهو الأخطر أثرا . فهو أن ننحرف في دوامة الكلام .. وننساق في تيار اللوم .. لوم النفس ولوم البعض .. بحيث ينتهي الأمر بنا إلى تجريد أنفسنا ككل .. من كل قدرة وميزة .. وإلى تأكيد الوهم الذي يحاول خصمنا أن يشيعه عنا .. بحيث ينتهي بنا الأمر ببساطة .. إلى أن نضع أنفسنا حيث يريد العدو أن يضعنا .

والذي يريد أن يؤكده العدو .. كنتيجة للنكسة .. هو هزال الفرد العربي .. وانعدام وزنه كمقاتل ..

وهو يدفع بكل ما يستطيع من أدلة ووقائع .. وهو يعلم في كل ما يقول أنه مضلل .. كاذب .

ولكننا في دوامة الكلام .. نندفع في قرع سياط اللوم .. حتى نكاد
نؤكد كلامه .. ونضيع ثقتنا في أنفسنا ..
وأنا أومن .. بغير حد .. في قدرة العربى .. في كل شيء .. في السلم
وفي الحرب .. أومن به كفنان رقيق .. ومحارب صلب .. أومن بعقله ..
وبقلبه .

أومن بأن هذه النكسة التى يحاول العدو بها أن يحط من قيمة الفرد
العربى .. كانت دليلاً أكبر على قيمته .. فلقد كانت النكسة العسكرية من
صنع غيره .. وكانت للهبة العربية التى أكدت الوجود العربى .. الذى
يمكن على الزمن .. أن يحقق أكبر الانتصارات وأبعدها .. من صنع
إحساسه .. وإيمانه بالكيان العربى الكبير .

وعندما أقول إن النكسة العسكرية من صنع غيره لا أحاول أن أدفع عنه
وزر الزلل .. أو الخطأ .. فنحن في حياتنا لا يمكن أن نسقط احتمال
الخطأ .. ولكن فارق بين الخطأ الذى أقصده .. والعجز الذى يحاول
الخصم أن يلصقه بنا .. ونحاول نحن في دوامة الكلام وتبادل اللوم ..
وتوزيع الذنوب والتهم .. أن نسلم — بحسن نية — به .
وأول ما يمكن أن يبرز في دوامة الكلام .. عن النكسة .. هو الحديث
عن الطيران .

إن الأمر الذى يجب ألا يتطرق إليه الشك .. مهما قيل .. هو قدرة
طيارينا وكفاءتهم وشجاعتهم .

ومهما جرتنا دوامة الكلام .. عن حرمان قواتنا المسلحة من معاونة
طيراننا في المعركة .. فلا يمكن أن يجرنا اللوم إلى تصور تقاعس طيارينا
وعجزهم عن خوض المعركة .. وإذا كان القدر .. قد شاء أن توجه إلى
طيراننا ضربة مفاجئة .. ساعدت عليها عوامل عديدة عجيبة .. شارك
فيها عن غير قصد .. أصدق أصدقائنا وهم ينصحوننا بمتهى الأمانة

وحسن النية بضبط أنفسنا قبل أن توجه الضربة القاسمة ببضع ساعات .
وكانت أمريكا العنصر الأساسى فى هذه الضربة .. بكل ما قامت به
طائراتها من أعمال الاستكشاف وبكل ما قدمته من مساعدات بالطائرات
والطيارين مما جعل الضربة تأتى بقدرة لا يمكن أن تكون إسرائيلية
مجردة .. وبحيث يمكن بغير التواء أو مبالغة أن نعتبر أن الضربة المفاجئة هى
ضربة — بكل ما قدمته أمريكا من عون سياسى وعسكرى ومادى
لإسرائيل — أمريكية الإعداد .. أمريكية التنفيذ ..
كل شئ يمكن أن نرجع إليه أسباب الضربة .. إلا أن نقول .. إن
الطيار العربى .. غير قادر .

فالطيار العربى .. فرد عربى وهو كفاء .. وشجاع .
أما القوات الأرضية .. فكذب كل ما يقلل من قدرتها .. أو
شجاعتها ..
والأمثلة على ذلك نستطيع أن نقدمها .. فى كل مكان من أمكنة القتال
على طول الجبهة العربية .. رغم أن المعركة لم تطل أكثر من أيام قلائل ..
ورغم أن القوات العربية ارتدت بعد قتال مرير .
فى سوريا .. قاتلت القوات العربية .. معاركها بكفاءة وبسالة .
وفى الأردن .. خاض الجندى العربى .. معاركه .. بقوة ..
وشجاعة .

وفى مصر ضرب المقاتل العربى أروع الأمثلة فى كل المعارك التى
خاضها .. واستطاع ثلاثمائة من قوات الصاعقة أن يصدوا اللواء مدرعا ..
وأن يدمروا منه ستين دبابة .. وعندما تسرد الوقائع .. سيعرف جيدا ..
قدر الجندى العربى كمقاتل .. ويعرف أنه لا يمكن أن يوضع حيث يحاول
أن يضعه العدو بشائعاته .
ولم يكن ارتداد القوات المحاربة .. أو خسارتها المعركة .. دليلا على أن
المحارب غير قادر أو غير كفاء ..

وعندما تواجه القوات العربية بدعم أمريكا .. العسكرية والعلمى لا يمكن أن يكون ارتدادها دليل عجز المحارب العربى .

والحقائق التى نعرفها فى هذه الفترة القصيرة من المعركة .. تؤكد نوع الخصم الذى واجهته القوات العربية .

عندما نعرف أن أجهزة الاتصال بين الوحدات ورئاستها يمكن أن يعطلها العلم الأمريكى . وأن الأوامر يمكن أن تعطى للقوات المتقدمة .. عن طريق العدو .. وعندما نعرف كيف كانت ترش الدبابات بنوع من المسحوق الملتهب لا تكاد تسلط عليه قنابل النابالم حتى تصبح المدرعات قطعة من الجحيم ..

عندما نعرف كل أسرار المعركة غير المتكافئة التى خاضتها القوات العربية .. ضد أكبر محترفى العدوان العالمى .. ستأكد لنا قيمة المحارب العربى وقدرته وشجاعته .. وتؤكد ثقتنا فيه . كما كان عبر القرون الماضية .. الفارس العربى الشجاع فى صدر الإسلام وفى انتصاراته التى وصل بها إلى الأندلس . وعبر جبال البرانس إلى فرنسا . وفى معاركه مع الصليبيين بقيادة صلاح الدين .

ولن يقدر الوجه المظلم للنكسة أن يضع ظلال الشك على قدرة الفرد العربى .. أو شجاعته .

أما الوجه المشرق للنكسة . فقد وضع العربى فى غمضة عين .. فى وحدة إحساس وفكر وعمل .. ورسم فجأة صورة الوطن العربى كما يجب أن يكون .

وإذا كان القدر قد أبى إلا أن يواجهنا بحقيقة القوة التى لا تستطيع أن تبقى إلا كقلعة معادية فى هذا الوطن وأن بقاءها قد منحنا فى ظلمة النكسة إشارة حمراء إلى هوة الخطر .. فليعلننا الله إذا لم نسلك الصراط السليم المستقيم .. صراط الوحدة الحقيقية .. الكبرى . التى تجعل منا ، الولايات المتحدة العربية .. القادرة مع الزمن على صد عدوان

الولايات المتحدة الأمريكية . وعلى إنهاء حماقتها في الإصرار على دفع مجموعة من يهود العالم المشردين القادمين من كل حذب وصبوب .. في جزء من الولايات المتحدة العربية .

وإذا كان المستر براون قد صرح أخيرا بأن إسرائيل لا يمكن أن تبقى كقلعة في وسط الوطن العربي وأن بقاءها لا يمكن أن يعتمد على القوة العسكرية فلقد كان عليه أن يعرف أنها لا تستطيع أن تبقى إلا كقلعة معادية في هذا الوطن وأن بقاءها لا يمكن أن تكفله إلا قوة عسكرية .. ومعنى هذا أن على البريطانيين وغيرهم من قوى الاستعمار الذين وهبوا إسرائيل الوجود في الأرض العربية .. أن يدركوا أنها لا يمكن أن تبقى ما دام بقاءها مفروضا بطريقة لا يمكن أن يسلم بها أحد كأسلوب طبيعي للوجود .. وأن زوالها معلق .. حسب منطق المستر براون نفسه بزوال التفوق العسكرى .. الذى يمدّها به الاستعمار .

إننا نقف الآن بعد النكسة لنزيل آثار العدوان ونعيد بناء القوة العسكرية .. ونواصل إنتاجنا بكل ما نملك من قدرة .
وبقدر إصرارنا على ألا نفرط في شبر من أراضينا .. يجب أن يكون إصرارنا على ألا نفرط في شبر مما اكتسبنا من ارتباط في الطريق العربى الموحد وفي بناء الوطن العربى الكبير .. الذى نواجه به العدوان الاستعمارى فى معركتنا الكبرى الطويلة المدى .

إن هذا هو سبيل النصر المؤكد .
لنأخذ من وجه النكسة المظلم درسا لا تشوشه دوامة الكلام .
ولنجعل من وجهها المشرق .. استمرارا .. لوحدة كبرى .. نواجه بها كل ما يهدد المصير العربى من أخطار ونسأهم بها فى تثبيت دعائم السلام وإرساء قواعد الحضارة .. التى كنا دائما أول وأكبر دعائمها .

ليست .. معركتنا وحدنا

موقف الاتحاد السوفيتى الذى قدم به كل أنواع العون المادى والمعنوى والذى ألقى فيه بكل ما يملك من ثقل سياسى إلى جانب الشعوب العربية فى نضالها ضد العدوان الاستعمارى كان موقفا طبيعيا . باعتباره بلدا آسيويا إفريقيا شارك فى بناء التضامن الآسيوى الإفريقى الذى حشد كل جهده من أجل النضال ضد الاستعمار بكل أشكاله وبشتى مظاهر وجوده . من احتلال عسكري أو اقتصادى أو ثقافى إلى أحلاف عدوانية وقواعد عسكرية إلى تفرقة عنصرية .

ولقد سبق أن أدان الاتحاد السوفيتى متضامنا مع كل الشعوب الآسيوية الإفريقية وشعوب أمريكا اللاتينية الوجود الإسرائيلى .. كقاعدة عدوانية استعمارية تهدد السلام فى منطقة الشرق الأوسط . وأيد حق الشعب العربى فى فلسطين فى استعادة حقوقه المشروعة فى وطنه السليب . كما أقر الاتحاد السوفيتى — كبلد آسيوى إفريقى . يعتبر أن معركة الحرية فى القارتين معركة لا تتجزأ — أن الهجوم الغادر الذى شنته إسرائيل على الشعوب العربية والذى تم بمساندة القوى الاستعمارية الغربية الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا قد أثبت بطريقة قاطعة طبيعة إسرائيل العدوانية وأوضح بما لا يدع مجالا للشك أنها هى القاعدة الاستعمارية الرئيسية فى الشرق الأوسط وأنها جزء أساسى من استراتيجية الاستعمار فى هذه المنطقة .

والاتحاد السوفيتى يقف كبلد آسيوى إفريقى إلى جانب كل شعوب آسيا وإفريقيا فى اعتبارها أن هذا العدوان قصد تصفية الثورة العربية وإعادة

الشرق العربى إلى منطقة نفوذه واستمرار استغلاله الجشع لثروات المنطقة وإيقاف المد التحررى . وأنه إحدى حلقات سلسلة من الهجوم الاستعمارى الواسع النطاق على الشعوب المناضلة من أجل حريتها والذى يعتبر امتدادا للعدوان الأمريكى الشائن فى فيتنام وفى الانقلابات الاستعمارية فى إفريقيا .

كما أوضح الاتحاد السوفيتى متضامنا مع كل شعوب آسيا وإفريقيا أنه لا يمكن أن يكون هناك تسوية للموقف إلا بالقضاء على الوجود الاستعمارى فى الشرق الأوسط وتصفية القاعدة الاستعمارية العدوانية التوسعية فى إسرائيل وغيرها من القواعد الاستعمارية .. وأن الهجوم الغادر لا يمكن أن يشكل أمرا واقعا وأن يفرض أوضاعا تمس الحقوق المشروعة لشعب فلسطين الذى اغتصب وطنه وسلبت حقوقه بسلسلة متصلة الحلقات من الاعتداءات الغادرة غير الإنسانية .

ولقد عبر الاتحاد السوفيتى بطريقة فعالة عن مساندته للشعوب العربية باجتماع موسكو الذى ضم الدول الاشتراكية والذى أدان العدوان الإسرائيلى وقطع العلاقات بينها وبين هذه الدول . ثم ألقى بكل ثقله السياسى فى المعركة عندما قاد زعماءه الثلاثة كوسيجين وبرجنيف وبودجورنى حملة كبرى ضد العدوان الاستعمارى الإسرائيلى .

الأول فى الأمم المتحدة حيث رأس كوسيجين وفد الاتحاد السوفيتى وأكد أن أمريكا هى المسئولة عن الحرب وأنها هى التى شجعت إسرائيل على العدوان ثم قدمت لها تأييدا من الأسطول السادس وطالب بإدانة إسرائيل وانسحابها إلى خطوط الهدنة ودفع تعويضات للدول العربية وأكد أن عدم انسحاب إسرائيل يهدد بتجدد القتال وذلك قد يؤدى إلى حرب نووية .

وفي لقاء كوسيجين لجونسون كان انسحاب قوات العدوان فورا وبلا شروط هو المطلب الأساسي لكوسيجين .

ورأس برجنيف اجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الذي انعقد من أجل مناقشة أزمة الشرق الأوسط والعدوان الاستعماري الإسرائيلي على الشعوب العربية . وقد أكد الاجتماع وقوف الاتحاد السوفيتي إلى جانب الشعوب العربية وإدانتته للعدوان الغادر ومطالبته بإزالة كل آثاره بغير قيد ولا شرط .

كما حضر بودجورني رئيس المجلس الأعلى لاتحاد الجمهوريات السوفيتية لزيارة الجمهورية العربية المتحدة من أجل بحث الإجراءات اللازمة لإزالة كل أثر من آثار العدوان ودعم العلاقات الودية وزيادة التعاون المثمر بين البلدين .

وإن صداقة الاتحاد السوفيتي للجمهورية العربية المتحدة وللشعوب العربية ، ولكل البلاد الآسيوية والإفريقية وبلاد أمريكا اللاتينية . التي تكافح من أجل حريتها ورخائها ومن أجل إقرار السلام القائم على العدل — إنما هي صداقة أهداف مشتركة ومعركة واحدة — وهي النضال ضد الاستعمار الذي يشكل خطرا دائما على الأهداف والمصالح والمثل التي يناضل من أجلها كل الناس الطيبين الشرفاء في عالمنا هذا وهي الحرية والعدالة والسلام .

والاتحاد السوفيتي يؤمن بوحدة النضال ضد الاستعمار . وبأن التكتل الاستعماري الذي يوجه جهود المعسكر الاستعماري ضد الحرية والاستقلال والسلام .. لا بد من مجابهته بتكتل نضالي من جانب البلاد المكافحة . وأنه بقدر ما يحاول الاستعمار تصعيد حربه الغادرة التي يشنها ضد البلاد المناضلة .. سواء في فيتنام .. أو في الوطن العربي .. فلا بد من تصعيد المقاومة ضد هذا العدوان وأن المعارك ضد الاستعمار طويلة .. (من وراء الغيم)

ضارية ..

إن معارك الكونجو والمستعمرات البرتغالية وجنوب إفريقيا
وروديسيا . وكوبا والدومنيكان وفيتنام .. والشعوب العربية .. هي
معركة واحدة مستمرة .. متعددة الأشكال .. متفاوتة الدرجات .
وكما يلم الاستعمار فيها قواه .. فإن الشعوب المناضلة ومعها الاتحاد
السوفيتي تقف جبهة واحدة في مواجهته .

والذين وقفوا لمواجهة معركة الكونجو .. هم الذين وقفوا لتأييد
فيتنام .. وهم الذين وقفوا في جانب كوبا .. وفي كل معركة .. تبدو
معالم المعسكرين واضحة .. معسكر الاستعمار .. وعلى رأسه الولايات
المتحدة .. ومعسكر القوى المناضلة من أجل حريتها .. يساندها المعسكر
الاشتراكي وعلى رأسه الاتحاد السوفيتي والصين الشعبية .

وإذا كان المعسكر الاستعماري يستطيع بما يملك من قدرة على الغدر ..
والانحطاط اللاخلفي .. أن يحرز بعض الانتصارات الأولية في معاركه ..
فإن العسكر الحر المناضل لقادر بوحدته وبوضوح حقه وبصبره على
النضال أن ينتزع النصر لنفسه في آخر الأمر .

ولقد خاض المعسكر الحر .. معارك كبرى .. مريرة .. في
السويس .. وفي الجزائر .. وفي كوبا .. وهو يخوض الآن معارك أخرى
لا تقل مرارة .. في فيتنام .. وفي الأرض العربية .. وفي إفريقيا .. في
أنجولا .. وموزمبيق .. وغينيا المسماة بالبرتغالية وجنوب إفريقيا ..
وزمبابوي .

وفي كل هذه المعارك .. تقف كل قوى الشر في مواجهة قوى الخير
والحبة والسلام .. وقد يشعر الإنسان بالمرارة تملأ حلقه وهو يحس بطعنات
قوى الشر .. الخسيسة .. القذرة .. تدمى جانب العالم الطيب الخير ..
الذي يتوق إلى إشراقة الحرية .. واستقرار الرخاء .. ولكن إيمانه

الشديد .. بأن قوى الخير والسلام .. أقوى على الزمن .. وأقدر بكل ما
تملك من قدرة على النمو والازدهار على أن تقاوم الجراح .. وأن تطوى
بمدها المستمر كل قوى الشر .. وأن ترفع رايات الحرية البيضاء بدل أسنة
الرماح الدامية التي تزرعها قوى الشر والعدوان .

إننا نؤمن — نحن المناضلين من أجل حقوقنا المشروعة في الحياة .. من
أجل النعمة الحرة .. والمسكن الآمن .. والحياة الهائلة المحصنة ضد كل
أنواع العدوان .

إننا نؤمن بقوة الخير ..

نؤمن بأن انتصار الاستعمار .. بريق مؤقت .. زائف .. وأن
انتصارنا .. انتصار الحق .. انتصار الحياة .. إشراقة دائمة .

إننا نؤمن بالله .. وبالحق .. وبالخير .

إن المناضلين .. من أجل حق الحياة لا يقفون وحدهم ..

إنهم يقفون .. متساندين في وجه خصمهم ..

يؤيدهم الأصدقاء الشرفاء .. المؤمنون بالحرية والسلام ..

المؤمنون بأن .. الخصم المشترك .. هو الاستعمار .. وأنه لا حرية ولا

سلام .. إلا بالقضاء عليه .

لقد ساندنا أصدقاؤنا .. في الاتحاد السوفيتي .. في كل معاركنا ..

وهم سيقفون معنا .. حتى ندحر قوى الاستعمار .. ونحرز النصر ..

إن انتصارنا .. انتصار للحرية والسلام ..

.. انتصار لكل المحاربين من أجل الحرية .. المكافحين من أجل

السلام ..

انتصار آت .. لا ريب فيه .

٢٨ يونيه ١٩٦٧

معركة من أجل الحرية

في قاهرة الاستعمار .. في معقل الحرية والأحرار .. اجتمع المناضلون من آسيا وأفريقيا عقب جولة من معركة من عشرات المعارك التي خاضتها معا ، بدأت في الجزائر واستمرت في شتى أنحاء أفريقيا حتى بلغت ذروتها في فيتنام وانتهت بالعدوان الإسرائيلي الأخير . وعندما كانت الشعوب تلتقي في مؤتمراتنا السابقة ، كانت تحاول بكل ما تملك من وسيلة أن تشرح دور إسرائيل الاستعماري في بلاد أفريقيا وآسيا . واتخذت قرارات بالغة الشدة أدانت بها إسرائيل كقاعدة عدوانية استعمارية ، ولكن إسرائيل قدمت من الأدلة ، ما هو أبلغ من كل ما قدمت الشعوب .. بهجومها العدواني الأخير وتواطئها مع الاستعمار وقد التقت شعوب آسيا وأفريقيا هنا كبنيان واحد وكقوة واحدة سبق أن خاضت معا معارك عديدة . ومهما صادفها من نكسات في كفاحها فقد كان النصر حليفها دائما في النهاية . تشهد بذلك المعارك العديدة التي انتصرت فيها أنها تلتقي هنا وقلوبها أكثر امتلاء بالأمل ونفوسها أفعم بالثقة بتضامنها الذي يمكن أن يأتي بالمعجزات . إنها هنا تطلق صوت الشعوب ، ومهما بدا من خروج بعض الحكومات في آسيا وأفريقيا لسبب أو لآخر تضامنها فإن اجتماعها هنا ليدل على أن هناك إجماعا بين الشعوب وأنا واثقون من أن صوت الشعوب هو الذي يسود في النهاية .

ولقد انعقد اجتماعها داخل إطار النضال المناهض للاستعمار الذي يخوضه التضامن القوى العريضة للشعوب الأفريقية الآسيوية . والموقف الذي تواجهه الشعوب العربية اليوم — وتواجهه معها كل

شعوب العالم — هو النتيجة المباشرة للجريمة الاستعمارية المترابطة الحلقات التي ما تزال قائمة في كثير من أنحاء العالم ، وهو الضربة الأخيرة ، حتى الآن ، من سلسلة الضربات التي يشنها الهجوم الاستعماري ، في مرحلة احتضاره ، على شعوب العالم كله .

إن الشعوب لا يمكن أن تنظر إلى هذا الموقف باعتباره ظاهرة جزئية منفصلة عن الاستراتيجية الاستعمارية الشاملة ولا يمكن أن تواجه هذا الموقف إلا في نطاق الاستراتيجية الشاملة المناهضة للاستعمار .

وفي نطاق هذا الوضع وقف الشعب العربي ، في كل الجبهات ، يرد العدوان ببسالة ، ودفع عن طيب خاطر ثمن النضال غالبا من دمائه ، ولم يتردد لحظة واحدة في أن يخوض حرب المقاومة الباسلة في كل الميادين العسكرية والسياسية والاقتصادية والمعنوية على السواء . إن الهجوم الاستعماري المضاد اليوم ، يمتد على عرض جبهات متعددة وإن كانت مترابطة .

لقد تلفى الاستعمار التقليدي ضربات متلاحقة في الأعوام الأخيرة باتساع نطاق حركة التحرير القومي وتحقيق انتصارات لم يسبق لها مثيل . وبدعم أركان الجبهة الاشتراكية المتحالفة تحالفا وثيقا مع حركة التحرير الوطني في أفريقيا وآسيا .

وإزاء ذلك أخذ الاستعمار يجمع فلول قواه ويشن هجوما مضادا واسع النطاق في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية .

ففي آسيا شن الاستعماريون الأمريكيون أشد الحروب المحلية ضراوة ضد شعب فيتنام وضاعفوا من حدة ضربهم العدواني ضد فيتنام الجنوبية ، وحربهم التخريبية الجوية والبحرية ضد جمهورية فيتنام الديمقراطية مرتكبين أبشع الجرائم ضد شعب فيتنام بالرغم من إدانة العالم كله . وفي أفريقيا تعاقبت الانقلابات العسكرية الرجعية وأسقطت بعض

النظم الثورية التقدمية ، وتتوالى مؤامرات الانفصال والمؤامرات التى تهدف إلى إثارة الاشتباكات القبلية وإلى زيادة الضغوط الاقتصادية والدبلوماسية ، وما زالت المؤامرات تدبر ضد النظم الثورية وضد تضامن النظم الثورية وضد تضامن ووحدة الشعوب الأفريقية .

كما حاول الاستعمار خلال الأعوام الأخيرة ومنذ أن شن النضال المسلح فى المستعمرات البرتغالية إعاقه نمو نضال التحرر الوطنى والانتفاضة الثورية للجماهير الشعبية .

كما طبق وسائل مشابهة كى يفرض على شعب زيمبابوى الأفريقى سيطرة الأقلية البيضاء .. وفى جنوب أفريقيا ضاعف الاستعماريون إجراءاتهم التعسفية ضد جماهير الشعب الأفريقى فى هذا البلد .. وأن وجود معقلى الاستعمار والإمبريالية فى الجزء الجنوبى من القارة الأفريقية يمثل خطرا شديدا على السلام ، وأن دور هذه المعازل يتشابه مع الدور الذى تلعبه إسرائيل فى الشرق الأوسط .

وفى أمريكا اللاتينية ما زال الاستعمار الأمريكى يشدد الحصار حول كوبا ، بعد أن أوقف المد الثورى فى جمهورية الدومنيكان ، وما زال الاستعمار الأمريكى يمد بتأييده السياسى والعسكرى والاقتصادى نظم القمع الفاشى فى أمريكا اللاتينية ويناهض زحف شعوبها نحو التخلص من نير التحكم والاحتكار والنهب الاستعمارى .

أما فى الشرق العربى فقد وجدت القوى الاستعمارية نفسها تواجه مدا جارفا يهدف إلى الحرية الكاملة والاستقلال الوطنى الحقيقى وإلى إرساء قواعد التقدم والبناء الاجتماعى المتين لصالح الشعوب العربية ، مما أصبح يمثل ضربة تهديد المواقع والخطوط الاستراتيجية الاستعمارية ، وحلقات الأحلاف العدوانية الموجهة ضد الشعوب .. كما أصبح يمثل تهديدا خطيرا بإجلاء القوات والمصالح الاستعمارية عن الأراضى العربية الغنية بثرواتها

البشرية والطبيعية ، وخاصة منها الثروات البترولية الهائلة التى هى من حق الشعب العربى وحده .

ومن أجل ذلك استغلت القوى الاستعمارية التقليدية مطامع ومشروعات الحركة الصهيونية الرجعية ، حتى تنفذ خطة خبيثة من خطط العدوان السافر ضد الشعوب العربية . وأضافت الدول الاستعمارية جريمة جديدة ، ما زالت مستمرة ، إلى السجل الحافل بجرائمها الاستعمارية ، واستخدمت إسرائيل باعتبارها قاعدة استعمارية فى قلب الأرض العربية عن طريق اغتصاب وطن كامل من أهله الأصليين الذين بنوا فيه حضارة غريقة تعود إلى آلاف السنين ، وعن طريق نهب ثرواته والاستحواذ عليها ، على نحو سافر ، وطرده مليون فلسطينى ، بالقوة والإرهاب والمذابح الوحشية والتنكيل البشع ، وتشريدهم خارج بلادهم ومدنهم وقراهم ، ثم محاصرة ما بقى فى أرض الوطن من أهل البلاد العرب الأصليين ، فى قطاعات محددة تفرض عليهم أبشع أنواع الحكم العسكرى وأساليب التفرقة العنصرية والاضطهاد والحرمان من أول حقوق الإنسان .

وهكذا تقوم إسرائيل كوجود مصطنع لا يتوافر له أى عنصر من عناصر البقاء الطبيعى القائم على أسس مشروعة وطبيعية .

لقد استخدم الاستعمار إسرائيل كأداة وصنعة له .. وهى تعتمد فى وجودها بشكل مصطنع ، على كل أنواع التأيد غير المحدود الذى تقدمه لها القوى الاستعمارية والرجعية فى النواحي الاقتصادية والعسكرية والسياسية والفنية .

فإسرائيل ليست إلا أداة فى أيدي القوى الاستعمارية لتهديد استقلال الشعوب العربية ، ومحاولة سلب ثرواتها الطبيعية والروحية معا ، وتعويق تقدمها ونموها ، وتعطيل مسيرتها نحو الوحدة والبناء . وقد ثبت ذلك

بشكل قاطع من الحقائق التى كشفت عنها حرب السويس عام ١٩٥٦ ومن الاعتداء الإجرامى الأخير الذى نشهد آثاره اليوم .

وإن كفاح الشعب العربى فى فلسطين لاستعادة وطنه السليب واسترجاع حقوقه كاملة ، وتدعيم وحدة القوى الثورية فى كل البلاد العربية لزيادة الترابط المصيرى العميق بين كل الشعوب العربية — هذا الترابط الذى أثبت وجوده إثباتا فعالا قاطعا فى مواجهة العدوان الاستعمارى الإسرائيلى — إن هذا الكفاح — سوف يستمر بلا هوادة وسوف تواصل الشعوب العربية معركتها بكل ما تملك من أسلحة فى كل الميادين ، حتى يتحقق لها النصر ..

وإن الشعوب العربية بأجمعها تتسلح بوحدتها القوية وتصميمها الثابت على الكفاح حتى النهاية فى سبيل حقوقها الوطنية وهى إذ تثق فى التأيد القوى من جانب البلاد الاشتراكية وشعوب آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية وكل شعوب العالم التقدمية ، ستتغلب على كل المصاعب وتنتصر على المعتدين الإسرائيليين وسادتهم الاستعماريين الأمريكين البريطانيين . ولقد صممت الشعوب الإفريقية الآسيوية والشعوب المحبة للسلام وجميع القوى التقدمية والمناهضة للاستعمار فى العالم أجمع فى لقائها فى القاهرة على أن تتخذ كل الوسائل الممكنة لتحقيق إدانة العدوان الاستعمارى الإسرائيلى على الأرض العربية .

والعمل على إزالة آثار العدوان بانسحاب إسرائيل فورا وبدون قيد أو شرط من جميع الأراضى التى اعتدت عليها نتيجة العدوان الأخير مع فرض التعويضات اللازمة على إسرائيل لما سببته من خسائر نتيجة عدوانها، بالإضافة إلى أنه يجب ألا يسمح لبلد أن يجنى نفعا من ثمار عدوانه ، ويجب أن تعاقب إسرائيل كمعتدية .

كما أكد الأحرار الذين ضمتهم القاهرة تأييد حق الشعب العربى فى

فلسطين في استعادة حقوقه المشروعة والعودة إلى وطنه السليب .
وتقديم كل تأييد مادي ومعنوي للشعوب العربية في نضالها ضد
العدوان الاستعماري الإسرائيلي عن طريق التضامن النضالي الفعال .
وممارسة جميع الضغوط لمصلحة قضية الشعب العربي العادلة .
ومساندته في كفاحه ضد الاستعمار بكل أشكاله .

كما عزم المناضلون من أجل الحرية الذين ضمهم لقاء القاهرة التاريخي
على مقاومة التسلسل الإسرائيلي في البلاد الإفريقية الآسيوية بكل صوره
وأشكاله باعتبار إسرائيل أداة للتسلسل الاستعماري وشكلا من أشكال
الاستعمار الجديد .

وأكدوا تأييدهم المطلق لتصميم الشعب العربي وقيادته الثورية على
الاستمرار في المعركة ضد الاستعمار والصهيونية . إن هذه المعركة هي في
نفس الوقت معركة الجبهة الشعبية العريضة لكل القوى المناهضة
للاستعمار في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية والقوى التقدمية والاشتراكية
في كل أنحاء العالم .

ومهما طالت المعركة .. ومهما بدا خلالها من نكسات فالنصر في
النهاية للشعوب الطيبة التي تكافح من أجل حقها في الحياة الكريمة وفي
الحرية والمساواة .. وفي السلام القائم على العدل .

يا رب أنت مع الحق ولست مع الظالمين فانصر يا رب أصحاب الحق على
الظالمين .

٥ يولييه ١٩٦٧

إلى أين المسير .. وكيف ؟

سؤال حائر على الشفاه !! وبعد ؟ .. إلى أين المسير ؟ وكيف ؟ بعد أن فشلت الأمم المتحدة في أن تثبت أنها أداة الشعوب في دفع العدوان الواقع عليها .. ورفع آثاره من أرضها .. وعقاب المعتدى على جريمته ومنعه من قطف ثمرة عدوانه .. حتى لا يكون العدوان وسيلة للكسب ، والقوة المسلحة أسلوبا للتوسع وتحقيق الأطماع .

وعندما يتعثّر الإنسان في طريقه .. وينهض لمعاودة السير .. ويسائل نفسه إلى أين ؟ .. يتحتم عليه وهو ينفض عن نفسه غبار الطريق .. ويحاول أن يحدد موقع خطاه .. واتجاه سيره .. أن يسترجع في وضوح .. هدفه الرئيسي .. الذى يريد أن يصل إليه .

وعندما نسأل أنفسنا .. ما هو هدفنا .. من رحلة الكفاح الشاقة التى نسير فيها .

الهدف ببساطة .. هو أن نحقق لوطننا العربى .. مجتمعا يمنح المواطن العربى كفاية فى العيش .. وعدالة فى التعامل .. وأمنا فى الحياة .. يمكنه من ممارسة وجود حر كريم .. يشارك به فى ازدهار العالم كله .. وورخائه وإقرار سلامه .

هذا هو حقيقة ما نهدف إليه فى رحلتنا الشاقة .
نحن لا نهدف إلى أذى الغير .. وإنما نهدف إلى تحقيق الخير لأنفسنا دون اعتداء على أحد .

وفى سبيل تحقيق هذا الهدف الكبير ..
كان علينا أن نزيل من طريقنا عقبات .. تقيد قدرتنا على السير ..

وتمنعنا من حرية الحركة .

وأولى هذه العقبات وأكبرها .. والتي حاولنا .. وما زلنا نبذل الجهود المتواصلة في إزالتها هي قيد الاستعمار .. الذى يحاول به أن يستغل جهودنا ومواردنا من أجل منفعته .

ولقد حاولنا أن نزيل عقبة الاستعمار من طريقنا .. بكل ما نملك من وسائل .. واضطررنا أن نخوض معه معارك مسلحة في شتى أنحاء الوطن العربى .. انتهت كلها .. بالانتصار .. وبتحرر شتى أجزاء الوطن العربى .. من قيود المستعمر .. وبدأت معظم شعوب الوطن العربى تمارس حرية حركتها في بناء مجتمع يحقق للفرد العربى الكفاية ويقر العدالة والمساواة .. ويتقدم نحو الرخاء والأمن والاستقرار .

وفي جزء من الوطن العربى تعاون الاستعمار مع الصهيونية في طرد الشعب العربى .. وسلب أرضه ودوره .. واحتلالها بواسطة غرباء من شتى بلاد العالم .

وواصلت الصهيونية مع الاستعمار .. عمليات عدوان على الوطن العربى .. انتهت بالعدوان الأخير الذى احتلت فيه مزيدا من أرض الوطن العربى .. وشردت المزيد من شعبه .

وأصبح علينا ونحن نحاول أن نحقق هدفنا الأسمى في بناء المجتمع العربى .. دون أن نوجه عدوانا على أحد .. أن نزيل عقبتين من طريقنا ..

عقبة أصلية .. وعقبة وضعها العدوان الأخير ..

أما إزالة العقبة الجديدة .. فهي إزالة آثار العدوان الذى يجب ألا يكون وسيلة لكسب .. أما إزالة العقبة الأصلية ، فهي باستعادة حقوق شعب فلسطين وعودته إلى وطنه .

هذا هو ما نهدف إليه في سبيل تحقيق هدفنا الأسمى وهو بناء المجتمع

العربي المحقق للكفاية والعدل والرخاء والسلام .
ونحن لا نقصد الاعتداء على أحد .
وإذا كنا نستطيع أن نحقق أهدافنا .. العادلة .. المسالمة بوسائل
السلم .. فلسنا أبدا هواة قتال .
ولكن عندما نصل إلى نقطة اليأس من إقرار الحق .. بالسلام .. فلا بد
لنا من فرض الحق من أجل السلام .. بكل ما نستطيع من وسائل .. وبينها
القتال .
وعندما نجد أن علينا .. أن نخوض معركة من جديد .. لأنه ليس هناك
من سبيل .. سوى هذه المعركة ..
يصبح علينا أن نتساءل .. كيف ؟
وإذا سدت أمامنا جميع السبل التي تؤدي إلى حقنا في الحياة .. إلا سبيلا
واحدا .. هو الدخول في معركة ..
فإن علينا قبل أن نخوض المعركة .. أن نزن ثقلنا .. ونحدد قدرتنا على
خوض هذه المعركة .
ما هو سلاحنا الذي يمكن أن نخوض به معركة أصبنا فيها بنكسة ..
جعلتنا .. نتعث في الطريق .
أبسط البديهيات ونحن نقدر موقفنا قبيل أية معركة .. يفرضها علينا
حق الحياة .. هو أن نضع نصب أعيننا الدروس المستفادة من المعركة
الأولى .. ونحن نقدر موقفنا في المعركة الثانية .
وتقدير الموقف .. يبدأ (بعد تحديد الهدف الذي يجب ألا ننسى أبدا
أنه أولا وآخرا .. بناء مجتمعنا العربي الجديد الكبير على دعائم الحرية
والكفاية والمساواة) بمعرفة وثيقة بإمكانياتنا تجاه إمكانيات العدو .
أما إمكانيات العدو .. فهي ببساطة . إمكانيات أمريكا ..
المسلحة .. بكل ما تملك من أسلحة متقدمة .. يمكن أن تخوض بها غمار

ما تسميه .. بالحروب الصغيرة .

أما إمكانياتنا وأعني إمكانيات الوطن العربي .. فيجب أن تحدد بوضوح .. ولا تكون عائمة .. ولا غائمة .. أعني ألا تتأرجح .. بين الكبير والصغير حسب الظروف والأمزجة والانفعالات .. وألا يضخمها ضباب التمنيات .

وعندما نحدد أن معركتنا هي مع إسرائيل بكل إمكانيات أمريكا في الحروب الصغيرة .. فيجب أن نوجه كل إمكانياتنا المؤكدة المضمونة منذ البداية لخوض المعركة .. وألا نشغل أنفسنا بمعارك جانبية .. وأن يصبح التخطيط لهذه المعركة هو الأصل ..

وعندما نتحدث عن الإمكانيات المؤكدة المضمونة .. يجب أن نضع في حساب التقدير .. وفي حساب الخطة .. القوى العربية .. الثابتة في أرض المعركة في الجانب العربي .. وليست المتأرجحة كبندول الساعة .. لا تكاد تستقر في جانب حتى تثب إلى الجانب الآخر .. هذه القوى الثابتة .. وحدها هي التي يجب أن تكون أساسا لتقدير الموقف .. وأساسا لخوض المعركة .. إذا تحتم علينا أن نخوضها .

وإذا كنا وجدنا في أنفسنا الشجاعة لكي نعترف بأخطائنا في المعركة السابقة .. فيجب ألا تذهب بنا المبالغة في الاعتراف بالخطأ إلى نوع من ظلم النفس يدفعنا إلى تجاهل مواجهتنا في المعركة الأولى بإمكانيات حرية علمية جديدة تفوق ما نملك من إمكانيات .. ويمكن أن تكون هذه الإمكانيات سببا لتكرار النكسة .. إذا لم نواجهها بإمكانيات مماثلة .. أو أكثر تفوقا .

باختصار يجب أن نضع على بساط الدراسة والبحث كل أخطاء المعركة .. الأخطاء التي تسببنا نحن فيها .. حتى لا نعيد تكرارها .. والأخطاء التي فرضت علينا .. حتى يمكن للأصدقاء أن يعينونا عليها ..

وإذا كنا نؤمن بأننا أصحاب حق .. وأنا ندافع عن حقنا في الحياة ..
فإن الحق لا يضيع .

ويجب ألا يقلقنا الزمن .. فالزمن في جانبنا .. والزمن يضيف إلينا ولا
يأخذ منا .. ما دمنا نضع أمام أعيننا أن هدفنا الأصلي هو البناء .. بناء
القوى الذاتية .. والمجتمع العربى الكبير .

إذا لم يكن اليوم .. فغدا ..

وإذا لم يكن غدا .. فبعد غد ..

كل ما نحتاج إليه مزيد من الصبر .. ومزيد من البناء ..

وآلا نخوض المعركة .. إذا تحتم علينا أن نخوضها .. إلا ونحن قادرون عليها .

(١٢ يولييه ١٩٦٧) .

مهزلة .. فى الأمم المتحدة

يوما بعد يوم يزداد هزال الأمم المتحدة وعجزها .. فإن فشل الجمعية العمومية فى اتخاذ قرار بالنسبة لإزالة آثار العدوان وانسحاب قوات إسرائيل المعتدية .. قد شجع إسرائيل على الاستمرار فى هذا العدوان .. وعلى مواصلة تحدى الأمم المتحدة .. بعد أن اتخذت قرارا منذ أسبوع بأغلبية ٩٩ صوتا بطلب عدم ضم القدس إليها .. وتحدثت إرادة الرأى العام العالمى وقامت بخطوات جديدة لتأكيد سيطرتها على القدس وتأكيد ضم القدس إلى أراضيها .

وإذا كانت الأمم المتحدة قد فقدت قدرتها على اتخاذ قرارات لوقف العدوان وإزالة آثاره .. نتيجة لوقوعها تحت سيطرة الولايات المتحدة .. التى تمارس العدوان فى شتى أنحاء العالم .

وإذا كانت الأمم المتحدة قد باتت عاجزة — إذا ما وفقت إلى اتخاذ قرار عادل يضع الحق فى نصابه — عن تنفيذ هذا القرار نتيجة لتحدى إسرائيل التى دأبت على تحدى الأمم المتحدة وعلى أن تضرب بقراراتها عرض الحائط .

إذا كانت الأمم المتحدة قد فقدت القدرة على أن تكون عنصرا فعالا يمنح هذا العالم القلق نوعا من الطمأنينة فإنها لم تفقد القدرة على أن تكون مسرحا عالميا تعرض فيه شتى أنواع المهازيل والمآسى .. التى تعرض — على ما بها من سخرية — حقائق فاضحة .

ومن المهازيل التى عرضتها إسرائيل أخيرا .. مهزلة القدس عندما وقف مندوب إسرائيل فى الأمم المتحدة وقال إن القدس يعمها اليوم شعور

أخوى . وأنه قد سمح للسكان العرب في القدس بقدر كبير من الحريات .
وإذا كان الشعور الأخوى قد ساد في القدس نتيجة لطرد أكثر من مائة
ألف عربى من مساكنهم وتحويلهم إلى لاجئين .

فلا جدال أنه ممكن أن يعم الشعور الأخوى المنطقة كلها .. إذا رحل
عنها أكثر من مليون إسرائيلى غرباء ليعودوا إلى بلادهم الأصلية لا
كلاجئين .. بل كمواطنين أصليين .. يحصلون فيها على كل حقوق
المواطن .. وليستقروا في أرضهم ويمارسوا عملهم الذى يجب أن تهيئه لهم
بلادهم الأصلية ويتركوا فلسطين لشعبها العربى الأصيل .

إن نظرية الشعور الأخوى التى طبقها اليهود في القدس بالنسبة للعرب
ستكون أنجح وأشمئ .. لو طبقت في إسرائيل كلها بالنسبة للصهاينة ..
وقال مندوب إسرائيل في هزله على مسرح الجمعية العامة إن ضم
القدس ما هو إلا وحدة أراض .

ورحم الله هتلر — الذى عذبهم وعلمهم كيف يكونون خلفاء له في
هذه الأرض — عندما ضم تشيكوسلوفاكيا وبولندا .. وقال بنفس
التبجح الذى تتحدث به اليوم إسرائيل إن هذا العمل هو وحدة أراض .
إن إسرائيل — ربيبة هتلر بالتعذيب والتنكيل — (ولعل حبها لتقليد
هتلر ناتج عن المثل العامى .. القط يحب خناقه) تتبع أساليب هتلر في
العدوان .. ومنطقه في الحجج والأعذار .. وستلقى مصيره في الدمار
والضياع .

ولم تكن تلك آخر مهزلة عرضها مندوب إسرائيل .. فلقد قال — في
استعباط دولى — إن حكومته ستعمل على منح سكان هذه المدينة الوسائل
اللازمة لنيل ثقافة أفضل وخدمات اجتماعية أفضل .. ونسى أن العالم ما
زالت ترن في آذانه تلك الحجج التى يبرر بها الاستعمار وجوده في البلاد
التي احتلها ونهب مواردها واستعبد شعوبها .. مبررا وجوده بنفس

الأسباب الهازلة التي تدعيها إسرائيل في القدس .. نشر الحضارة .. وتقديم الثقافة والخدمات .

ولقد هزلت .. حتى باتت إسرائيل تدعى لنفسها القدرة على منح العرب — أسيادها في الحضارة — ثقافة أفضل .. وعلى مدهم بالخدمات . وهي السبب الأول في تشريدهم وحرمانهم من حقهم في الأمن والاستقرار والحياة الطبيعية الكريمة .. وسلبهم من أبسط مقومات الحياة — بله الثقافة — وهي الأرض والمسكن .

الأمم المتحدة إذن .. ما زال بها بعض الفائدة .. وهي وإن كانت فائدة مسرحية .. إلا أنها بلا شك تثير الرأي العام العالمي وتمنح إسرائيل الفرصة .. بهزها أن تؤكد كل ما رميت به من أنها نازية التعامل والمنطق استعمارية التفكير والأسلوب .

وإذا كانت الأمم المتحدة قد منحت إسرائيل فرصة أن تكشف نفسها للعالم .. فلقد منحت الأصدقاء فرصة .. أن يعرفوا إسرائيل .. كما عرفها العرب .. وأن يعبروا عن رأيهم فيها .. فإذا به رأى العرب الذي طالما حذرت به العالم كله من إسرائيل ومطامعها ..

لقد قال مندوب الاتحاد السوفيتي إن ضم القدس لا يمكن اعتباره إلا عملا من أعمال القرصنة الدولية .

ولقد قال العرب للعالم إن إسرائيل بنيت على أساس من القرصنة الدولية .. وإن استيلاءها على أراضي العرب وطردهم من بلادهم وتشريدهم كلاجئين هو قمة أعمال القرصنة الدولية .

وقال مندوب الاتحاد السوفيتي إن ما تقوم به إسرائيل ليس تهديدا ولا وعيدا إنما هو تعبير واضح عن سياسة إسرائيل تجاه العرب .

وإذا كان ليفي أشكول يقول اليوم إن إسرائيل بدون قدس يعني إسرائيل بدون رأس فغدا سيقول إن إسرائيل بدون عمان ودمشق يعني أن إسرائيل (من وراء الغيم)

بدون أيدٍ وأن من حقها طرد كل سكان المنطقة .
ولطالما أحس العرب بأن هذه هي مطامع إسرائيل التي تهدد أمنهم ..
والتي تجعل المنطقة كلها في حالة تحفز دفاعا عن النفس .. ضد أطماع
إسرائيل ومن أجل استرجاعهم للوطن الفلسطيني المسلوب .
وقال المندوب السوفيتي إنه عندما تفقد الشعوب المظلومة صبرها فلا
بد من أن تهب لا سترداد حقوقها .
ولقد قلت في مقال سابق إنه عندما يصل العرب إلى نقطة اليأس من
استرداد حقوقهم بالسلم .. فلا بد أن يخوضوا معركة .. تلو معركة ..
حتى يستردوا حقوقهم .
وأخيرا .. وجه المندوب السوفيتي إنذاره موضحا به موقف الاتحاد
السوفيتي والدول الاشتراكية بصراحة قائلا : إن مشكلة القدس رغم
أهميتها يجب ألا تحجب المشكلة الرئيسية وهي احتلال إسرائيل للأراضي
العربية .. الذي لا يمكن أن نسمح به .. وإذا كانوا في تل أبيب يظنون أن
الدول المحبة للسلام سوف تسمح للقوات المعتدية أن تجنى ثمار عدوانها
فإنهم يرتكبون خطأ مميتا .. وستدفع إسرائيل الثمن غاليا .
وختم المندوب السوفيتي حديثه قائلا : إنه إذا كانت إسرائيل تعتقد أنها
تستطيع أن تضم الأراضي العربية فإن عليها أن تعرف أن وجودها نفسه
سيكون مهددا نتيجة أعمالها التي لا تقوم على أي تقدير للمسئولية .
وهكذا .. وضع العالم الحر .. على مسرح الأمم المتحدة .. موقفه من
إسرائيل .. وإدراكه لحقيقتها .
وإذا كانت إسرائيل .. تمارس تبجحها .. مستندة إلى غرور أمريكا
واستمرارها لعمليات العدوان في العالم .. فإن العالم المحب للسلام .. وقد
أعلن أن وجود إسرائيل نفسه ... قد بات مهددا ..
وإذا كانت الأمم المتحدة لم تردع إسرائيل ..

فلا بد أن تردع خارجها ..
وكما سبق القول ..
إن لم يكن اليوم فغدا ..
وإن لم يكن غدا .. فبعد غد .
إن الأيام تعرى إسرائيل .. والأدلة التي طالما ساقها العرب لكشفها ..
تتطوع اليوم إسرائيل .. لتقديمها بنفسها للعالم كله .. والحق يتضح
ويتأكد يوما بعد يوم في نظر الأصدقاء .. حتى بات يهدد عندهم وجود
إسرائيل نفسه .
ووسط هذا الصراع بين الحق والباطل .. يملأ الإيمان نفوسنا بالقدره
على استعادة حقوقنا .. وعلى رد العدوان .. بكل ما نملك من وسائل ..
إن الزمن — الذي يعرى إسرائيل — يمنحنا ولا يأخذ منا ..
ولعل الأيام .. تمنحنا مزيدا من الثقة والقدره على تحرير الوطن العربى
الكبير وبنائه ووحدته .
١٩ يوليه ١٩٦٧

النكت المريرة

- أسمع نكتا .. يطلقها البعض عن النكسة .
- ولست أدري هل أفقدتني الأيام القدرة على الضحك .. أم أن النكت في حد ذاتها سخيفة .. أم أنني أحس أنها تنفذ إلى عظامي كلفحات البرد .. قبل أن تصل إلى ذهني .
- كلما سمعت نكتة أحسست أنها موجهة إلي .. وأستعجب كيف لا يشعر صاحبها أنها موجهة إليه .
- هل تعبر هذه النكتة عن مشاعرنا الحقيقية .. أم أنها ضحكات مصنوعة مسمومة .. نتناقلها بحسن نية .. وبرغبتنا في أن نسرى عن أنفسنا وعن غيرنا .
- إن هذه النكت تملؤنا إحساسا بأننا نحاول أن نفصل أنفسنا عن النكسة .. وأن نقف منها موقف المتفرجين .. الذين يتسلون بمشاهدة إنسان يتزحلق وينكفىء على وجهه .
- ونحن نتكلم كثيرا .. وننقد كثيرا .. وننكت كثيرا . ولكن لماذا لا نعمل كثيرا ؟! .
- أترانا نعتقد .. أننا نستطيع أن نصلح ما بنا .. بالكلام والنقد .. والتنكيت ؟ . فقط ؟!!
- إني أشعر أن كل واحد منا مسئول بطريقة ما .. عن كل ما يحدث لنا من نكسات .. ومسئول بطريقة ما عن خلاصنا من آثار هذه النكسات .. ودفعنا إلى الأمام .
- إذا كان الكلام والنقد والتنكيت .. مجرد تنفيس عن النفس ..

فهو شيء لا مفر منه .. ولكن أن يصل إلى حد إضاعة الجهد وتشبيط الهمم
فهو بلا شك أمر بغیض .

● ومهما كانت رغبة الإنسان في أن يسرى عن نفسه .. فهو يكره
النكتة التي تمس شخصه . وأنا أحس أن معظم النكت التي أسمعها .. تمس
شخصي بطريق غير مباشر .. فهي تمس سمعة الناس الذين أشعر أنني فرد
منهم ، والبلد الذي أحس أني جزء منه .

● عندما ألمح النيل يتدفق . وفروع الشجر العالية تهتز في مهب
النسيم .. يصعب على أن أسمع نكتة من هذه النكت .. لأنني أحس أنها
توجه إلى تلك الأشياء العزيزة .. وأتمنى لو ضمنتها لأقربا .. سهامها
اللاذعة ..

● لماذا لا نصمت قليلا .. ونفكر قليلا .. حتى نقى أنفسنا شر
خفة الدم .. وتناقل النكت ؟ .

● إنني أحب خفة الدم .. ولقد كان أكثر ما يمتعني أن أرى أو أكتب
رواية مضحكة .. ولكن نكت هذه الأيام .. كرهتني في التنكيت .. وفي
خفة الدم . حتى بت أرى ثقيلاً صامتا .. خيراً .. من خفيف يروى ..
نكت هذه الأيام .. السخيفة .

● مع اعتذاري لأصحاب النكت .

٢٦ يولييه ١٩٦٧

على .. طريق النضال

عندما نبدأ خطانا الأولى في طريق النضال فإن على كل من يستطيع أن يضئ قبسا من النور أن يفعل .

وفي هذه الآونة أشعر أننا قد بدأنا نخطو على طريقين رئيسيين ..

· الطريق المصرى الذى نعيد فيه البناء الذاتى العسكرى والسياسى والاقتصادى والذى نصلب فيه عودنا لصد أى عدوان مفاجئ من عدو غادر يتربص بينائنا الداخلى ، والذى نحشد فيه قواتنا من أجل رد العدوان وإزالة آثاره واستعادة حق الشعب العربى الفلسطينى المسلوب .

وفي هذا الطريق يتحتم علينا أن نمارس فى يقظة وفى وقت واحد عدة أمور :

أولها : الإحساس الدائم بالمعركة وبأن العدو يقف على الشاطئ الآخر من القناة . وبأنه يمكن أن يضربنا أو يشب إلينا فى أية لحظة . وأن علينا أن نكون على استعداد دائم لصدّه بعنف وقسوة بكل ما نملك من قوات مسلحة تبذل الدولة أقصى ما تستطيع لإعادة بنائها ، ومقاومة شعبية يجب أن نجعلها على أكبر قدر من القوة والكفاءة بالتدريب واليقظة . وبالتصميم المستمر على وجوب إجلائه من الأرض العربية ..

ثانيا : زيادة الإنتاج إلى أقصى حد تملكه قدرتنا المادية والمعنوية . وهو سبيلنا الأوحى إلى امتلاك وسائل النصر . وأولها توفير سبل الحياة لأنفسنا وبناء القوة العسكرية ومواصلة التنمية مع مواجهة كل العقبات التى وضعها العدوان فى طريقنا الاقتصادى

وزيادة الإنتاج أمانتنا جميعا .. وهدفنا جميعا . وقد نادينا به قبل

العدوان .. ونحن نلح عليه بعده .. كأمر حيوى .. يتوقف عليه مصيرنا .

ولقد عقدت له المؤتمرات .. ووضعت من أجله الدراسات .. واتخذت في سبيل تحقيقه القرارات .. كأعطاء الإدارة السلطة الكاملة ، وتحملها المسؤولية الكاملة ، وتشجيع الحافز الفردى وغيرها من القرارات المفيدة ..

ولا جدال أن الجهود التى بذلت من أجل زيادة الإنتاج قد أتت في بعض المجالات ببعض الفائدة .

كما أعتقد أن أية جهود تبذل ستأتى بثمارها في مجال الإنتاج .. ولكن تبقى هناك وسيلة قد تبدو بدائية بعض الشيء .. ولكنها بغير شك .. مجدية في مجالاتها بطريقة حاسمة مباشرة .

إذا كان لدينا جدار نود أن نبنيه . فكم من الوقت يمكن أن يبنيه عامل اليومية .. وعامل المقاول ؟.

التجربة تؤكد أن نفس العامل عندما يتعامل باليومية .. سيبنيه في ضعف الوقت الذى يبنيه بالمقاول . لأنه في الحالة الأولى يأخذ ثمن الوقت .. فمن مصلحته أن يطيل العمل .. وفي الثانية يأخذ أجر العمل فمن مصلحته أن يكسب الوقت لعمل آخر .

وإذا كنا نريد أن نحصل على أكبر إنتاج في أقصر وقت فيجب أن تلتقى زيادة العمل مع مصلحة العامل . وأن نقدر لساعات العمل معدلا لوحدات الإنتاج .. إذا أنجزها العامل في أقل منها فيجب أن يأخذ أجرا مماثلا عن عدد الوحدات التى ينجزها في الساعات الباقية ، وإذا لم ينجزها في ساعات العمل المحددة .. فيواصل عمله حتى ينجزها بنفس أجره .. فهو يحاسب عن العمل .. لا عن الوقت .

وهذه الطريقة بطبيعتها ستجعل العامل أحرص على أدوات الإنتاج .

وأكثر مسئولية عن صيانتها. لأنه سيشعر أن سلامتها وسيلة لمزيد من الكسب بدل أن يحس أن تعطيلها وسيلة للراحة ..

ولست أظننى فى عرضى البدائى هذا .. آتيا بجديد .. ولا أعتقد أن هذه الوسيلة فى زيادة الإنتاج يمكن أن تغيب عن الأذهان .. وهى واضحة جدا عندما يمارس أى عمل باليومية أو المقاوله .. ولست أدرى أى عقبات يمكن أن تحول دون محاولة تطبيقها على أوسع نطاق فى مجالات الإنتاج بحيث يكون ارتباط الأجر بكمية الإنتاج هو الحافز الأول على العمل . وعلى أية حال .. وبأى أسلوب .. يجب أن نعلن حالة الطوارئ فى الإنتاج . وكما وضعنا للصرف ميزانية طوارئ .. يجب أن نضع للإنتاج .. أسلوب طوارئ للعمل .. فى الصناعة والزراعة والتجارة .. تصدير واستيراد وتسويق خارجى وداخلى .. وفى الخدمات . صحية كائت أو تعليمية أو اجتماعية ..

يجب أن نأخذ أنفسنا بأسلوب حازم حاسم .. لا يترك الأمر فيه للاجتهاد الشخصى .. بل للقواعد الضامنة للتنفيذ .

أما الأمر الثالث الذى يجب أن نمارسه بجوار الإحساس الدائم بالمعركة . وزيادة الإنتاج إلى أقصى حد . فهو مسئولية الوفرة التى يجب أن نحملها لأنفسنا جميعا فى كل مجال .. سواء كان مجالا عاما .. أو خاصا . وهى مسئولية تقوم على الإحساس بأنه ليس هناك شىء بلا فائدة .. وأنه ليس هناك فارق بين الملك الخاص .. والملك العام . أى الإحساس بأن هذا الملك العام .. لنا فيه جزء مهما ضؤل .. يعتبر ملكا خاصا بكل فرد منا بطريق المشاركة .

أما الإحساس بأنه ليس هناك شىء يمكن أن يكون بغير فائدة فأنا أذكر فى الحرب العالمية أنه كانت هناك وحدات فى جيوش الحلفاء .. اسمها وحدات Salvage وكانت مهمتها أن تعيد كل ما ليس له قيمة إلى شىء ذى

قيمة . سواء كانت الملابس القديمة أو العلب الفارغة أو قطع الخردة ..
وكانت هناك وحدة في الإسكندرية تعمل فيها آلاف الفتيات المصريات
اللاتى يؤجرن بماكينات الخياطة . لإعادة الخرق الممزقة إلى ثياب صالحة
للاستعمال .. وكانت هناك وحدة لتجميع الصفيح والزجاج لإعادة
استعماله .

ولست أظننا أغنى من أية دولة من دول الحلفاء . ولا أقل حاجة إلى
مخلفاتنا لكى نوفر بإعادة استعمالها المبالغ التى يمكن أن نوجهها إلى إنتاج
جديد . فزجاجات الدواء الفارغة والعلب الصفيح ، وكل ما يشعر أى
إنسان أنه ليس فى حاجة إليه يجب أن يجمع ليعاد استعماله من جديد .
يجب أن نصل فى الوفرة إلى درجة البخل . وأن نستغنى عن كل ما ليس
له ضرورة حتمية فى المأكل والملبس أو فى أية وسيلة من وسائل العيش .
أما عن مشاركتنا فى الملك العام ، فيجب أن تكون عن إدراك حقيقى
أن أى إتلاف لهذا الملك العام .. سينتج عنه ضرر يحيق بكل منا شخصيا .
فما نتلفه .. لن نستطيع إصلاحه بسهولة .. وسنفقد إمكانيته فى خدمتنا
دون أن نملك ما يعوضنا عنه . سواء كان فى ذلك وسائل المواصلات . أو
المساكن الشعبية أو المدارس أو دور الحكومة .. يجب أن ندرك أنه علينا أن
نصون الملك العام ليخدمنا أكبر وقت ممكن وأن نوفر لأنفسنا أجر إصلاحه
أو تجديده أو استبداله لنوجهه إلى شىء أكثر حيوية .
إنها حقيقة مسألة مصير ..

ولن ينفعنا سوى أنفسنا .. ولن يتأثر بما تفعله — خيرا أو شرا —
سوى أنفسنا . ومن الأشياء البسيطة التى تفعلها — والتى قد يتخيل كل
منا أنها غير ذات جدوى .. تتكون أسباب النصر أو الهزيمة .
فلنتق الله فى أنفسنا وفى بلدنا .

ولنذكر دائما أن العدو يتربص بنا على الضفة الأخرى من القناة .. وأنه يعتقد

أنه سيبقى حتى نقول آه .. ونستسلم .
وأن واجبنا نحو أنفسنا ونحو أولادنا .. ونحو مصير أمتنا عبر التاريخ هو
أن نصلب عودنا أمامه .. وأن نتسلح بالدأب على بناء القوة القادرة على
مواجهته ورده على أعقابهِ .. وعلى إكراهه أن يكون هو البادئ بآه .. التي
لن نقولها .

ذلك هو الطريق الذى بدأنا عليه خطانا فى الداخل .. والذى لاشك
سيسير فيه كل شعب عربى لتأكيد سلامة الوطن العربى وسيادته
ووحدة .

أما الطريق العربى فقد بدأنا فيه أول خطانا بعد العدوان بمؤتمر
الخرطوم .. ومع كل دعواتنا بأن يوفق الله وزراء الخارجية العرب فى دفع
العمل العربى الموحد فى طريق حاسم يستطيع العرب فيه أن يوحّدوا
جهودهم ويجمعوا إمكانياتهم من أجل إزالة آثار العدوان واستعادة حق
الشعب العربى فى فلسطين أحس أن نقاطا أربعا يمكن أن تكون دليل
عمل .. وأن تجعل من التجمع العربى حقيقة مثمرة منتجة .

أولاها تصفية كل ما يمكن تصفيته من خلافات جانبية لأن العدو الذى
نواجهه لم يفرق بين عربى وعربى . بل ضربنا جميعا .. وكان العربى بصفة
عامة — وبغير مواصفات معينة — هو خصمه الأول والأوحد . ومن
أجل هذا يجب أن نواجهه بالعربى .. كعربى .. لنعيد للعربى اعتباره ..
ونرد له كرامته .. وأرضه ولا جدال فى أننا قادرون على الانتصار الكامل
النهائى .. إذا واجهناه كوحدة واحدة فى معركة طويلة .

ثانيها أننا يجب أن نبذل كل ما نستطيع من أجل التكامل الاقتصادى
العربى الذى يمكن أن يمنحنا القدرة على خوض المعركة الاقتصادية بكفاءة
تامة وبصبر طويل وبحيث نستطيع أن نوجه أى هجوم اقتصادى على العدو
وأن ننتصر عليه وبحيث نستطيع أن نقاوم أى هجوم اقتصادى علينا وأن
نصمد فيه .

ثالثها أن تكون خططنا في المعركة بجميع أبعادها الاقتصادية والعسكرية والسياسية مبنية على القدرة الحقيقية المستمدة من مقدرة كل بلد . وعلى الإمكانات المؤكدة التي يستطيع أن يضعها في المعركة . بحيث يكون حساب قوتنا في المعركة قائما على أرقام حقيقية غير وهمية . وبحيث يكون تقديرنا للموقف في المعركة تقديرا سليما . يمكن أن توضع على أساسه خطة محكمة لمعركة طويلة المدى متعددة الأبعاد ..

رابعها أن نبني حسابنا لمعاونة الأصدقاء على أساس الواقع لا على أساس الآمال ، وأن نضع في حساب قوات العدو القدرة الحقيقية لمن يقف وراءه من دول الاستعمار بحيث تكون خططنا مبنية على الحساب الحقيقي لقواتنا وقوات العدو في شتى الميادين . سياسية كانت أم اقتصادية أم عسكرية . على هذين الطريقين بدأنا خطأ النضال .. الطريق المصري .. والطريق العربي .. وبكل ما نملك من ثقة في الله وفي الحق وفي النفس المؤمنة بكليهما .. سنسير في طريق النضال حتى نحقق النصر .

٢ أغسطس ١٩٦٧

الثورة .. والقانون

● سؤال يدور في الذهن ونحن نعيد بناءنا الداخلي ..

كيف يمكن الموازنة بين تأمين نظام الحكم الذى تؤمن بحتمية وجوده لكسب معركة المصير وبناء المستقبل وحمايته من أية طعنة غدر خرقاء أو ضربة خيانة تدبر فى الظلام . وبين حرية الفرد وتأمينه من القلق بحيث يحس دائما — فى قرارة نفسه — لحياته طعما .. ولوجوده معنى .. ولنضاله سببا .

إن الثورات تحتاج إلى إجراءات ثورية استثنائية لإرساء النظم التى قامت من أجلها .. ولتشيت دعائم العدالة الاجتماعية .. التى هبت لتحقيقها .. ولحو أسباب الظلم والاستعباد التى ثارت من أجل القضاء عليها .

وهى تحتاج إلى تدابير يقظة حاسمة لحماية وجودها لكى تحقق رسالتها السامية .

وهى تبذل كل ما فى وسعها حتى تحقق إراداتها .. وتمنح الفرد حقه فى حياة حرة كريمة آمنة من جميع أنواع العدوان ..

وهى فى سبيلها إلى تحقيق هذا .. توازن دائما بين ما تمنحه للفرد من حقوق .. وما تفرضه عليه من قيود .. ومع الزمن .. ومع تأكيد مكاسب المجتمع التى حققتها له الثورة من كفاية وعدل .. تتحول الإجراءات الاستثنائية .. إلى إجراءات طبيعية .. وتصب فى قوانين يشرعها المجتمع الجديد .. لتأمين مكاسبه .

إن الثورة تقنن نفسها بإرادة الشعب .. بحيث تثبت معالم المجتمع الذى

صنعتة الثورة .. بقوانين يضعها الشعب .. لحفظ مكاسبه .. ولتأمين
حريته .. بحيث يعرف الفرد حدود طريقه في المجتمع الجديد .. ويعرف
فيه واجبه وحقه .. ويعرف خط الصواب والخطأ بقوانين واضحة هو
واضعها .. وهو منفذها .. إن كل ما حققته الثورة من مكاسب ..
تصونها قوانين .. يضعها الشعب .. خير مما تصونها إرادة أفراد .. فنص
القانون .. أرسى من اجتهاد الفرد مهما نبه .. وحسم القانون آمن من نوايا
الفرد مهما كرم . وجزاء القانون أعدل من تقدير الفرد مهما رحم .
إن الثورة القادرة تصب إجراءاتها الثورية التي خلقت بها المجتمع الجديد
القائم على الكفاية والعدل والتي تؤمن بها هذا المجتمع .. في قوانين أبقى
وأعدل وأبعث على الطمأنينة .. من تقدير الأفراد مهما حسنت نواياهم
وخلصت ضمائرهم .

٩ أغسطس ١٩٦٧

الاتحاد الاشتراكي .. والناس

● لست أظن هناك خلافا يمكن أن يقوم بين اثنين في أن الجبهات الثلاث التي نخوض بها معركة المصير ضد الاستعمار والصهيونية هي :

١ — الجبهة الداخلية .

٢ — الجبهة العربية .

٣ — جبهة الشعوب المناضلة ضد الاستعمار في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية يساندتهم أحرار العالم في كل مكان .

وفي مرحلة ما بعد النكسة نقف لندعم بكل ما يمكننا من جهد وصلابة وتماسك هذه الجبهات الثلاث .

أما الجبهة الداخلية فأساسها تدعيم الاتحاد الاشتراكي لكي يكتسب أكبر قدر من الفعالية ولكي يحقق إيجابية الوحدة الوطنية في العمل بكل ما نملك من وسائل لمواجهة العدوان ومحو آثاره ولحماية نظامنا الثوري وتدعيم ثورتنا الاجتماعية ولتحقيق أهداف الثورة الأصيلة في بناء وتأمين مجتمع عربي يقوم على الكفاية والعدل .

والاتحاد الاشتراكي .. هو التنظيم السياسي الشامل الذي يضع أدوات الإنتاج في يد تحالف قوى الشعب العاملة والذي يجعلها صاحبة الفائدة من عائد هذا الإنتاج .

والاتحاد الاشتراكي .. وهو تحالف قوى الشعب .. يدخل في نطاقه كجزء منه .. جميع السلطات بما في ذلك السلطة التشريعية .. والسلطة التنفيذية .

وتنظيمات الاتحاد الاشتراكي على كافة المستويات هي العصب الحي

الذى يصل الشعب بهذه السلطات . بحيث يجعلها فعلا جزءا منه شاعرة .. بأحاسيسه مدركة لمطالبه وبحيث يجعله — أعنى الشعب — متجاوبا مع أجهزتها معاونا لها على أن تؤدي واجبها نحوه . بحيث تكون تنظيمات الاتحاد بين الشعب والسلطات موصلا جيدا من وإلى .. بحيث لا تكون هناك فجوة بين الشعب والسلطة وبحيث يصبح الكل .. وبواسطة تنظيمات الاتحاد الاشتراكي .. وحدة واحدة هي وحدة قوى الشعب العاملة .. أو الاتحاد الاشتراكي نفسه ككل . وتكون منظمات الاتحاد — كما قلت — هي العصب الحى .. الذى يمكن أن يصل بين جسمين منفصلين ليجعل منهما جسما واحدا .. فى المشاعر .. وفى إرادة الحركة .

ولتحقيق الهدف المطلوب من هذه التنظيمات يجب أن يتوافر أمران : أولهما التنظيم العلمى الدقيق .. الذى يجعل من هذه التنظيمات .. أجهزة ربط وتوصيل قادرة على نقل الحس وبعث إرادة الحركة .. فى أقصر وقت ممكن .. بحيث لا تكون هذه الأجهزة كالعصب المتبلد .. أو كالموصل الردىء .. ولا أقول العازل .

وأنا أعرف مما رأيت فى شتى المحافظات التى زرتها ومما رأيت أخيرا فى زيارة للمكتب التنفيذى للقاهرة مع الزميل عبد المجيد فريد أمين المكتب .. أن مستوى التنظيم . بلغ من الدقة والقدرة على الربط والوصل بحيث أضحت هذه التنظيمات أجهزة قادرة على إيجاد الصلة الحقيقية بين الناس وبين جميع السلطات . وبحيث أمكن شد مختلف الوحدات الشعبية .. وتكوين قناة أو معبر — أو كما قلت عصب — يربطها بمختلف السلطات بحيث لا يصبح هناك فراغ بين الاثنين .. يجعل كلا منهما بمعزل عن الآخر .

دقة التنظيم إذن وهى أحد العناصر الرئيسية فى فعالية تنظيمات الاتحاد

الاشتراكي ، قد بلغت فيما أعتقد من الكفاءة بحيث تمنحنا الطمأنينة على قدرتها في تأدية واجبها .

بقي العنصر الثاني .. وأنا لم أضعه .. بعد العنصر الأول لأن أهميته تأتي بعده بل لأن عمله يأتي بعده .. ونتيجة لوجوده .

هذا العنصر هو الأسلوب الذي يعمل به التنظيم .. والعلاقة التي يجب أن يقيمها بين طرفي الوصل .. وهما الشعب والسلطات .

أعتقد أن الأسلوب يتوقف على التحديد الواضح للهدف المطلوب تحقيقه من هذه التنظيمات .. وعلى التعليمات المحددة لكيفية تحقيقها .. ثم على اختيار الأفراد الذين سيقومون بالتنفيذ .

أما تحديد الهدف .. والأسلوب .. فقد حدده الرئيس جمال عبد الناصر في اجتماعه بأمناء الاتحاد الاشتراكي وحدده في خطب كثيرة وهو ضمان سيطرة قوى الشعب العاملة على أدوات الإنتاج وعودة عائلته إليها بأن تكون هي صاحبة السلطة وهي صاحبة الفائدة ، وذلك هو الهدف ، أما الأسلوب فهو التلاحم بالشعب .. والتعاون مع السلطات .

ولا جدال أن أسلوب تعامل تنظيمات الاتحاد الاشتراكي مع الناس والسلطات .. هو — مع دقة التنظيم .. العامل الوحيد الذي يمكن أن يجعل الاتحاد الاشتراكي ما يجب أن يكون عليه .. وما يجعل من تنظيماته عصبا حساسا يربط الناس بشتى السلطات ويجعل مع الجميع وحدة وطنية واحدة داخل الاتحاد الاشتراكي .. الشعب فيها هو صاحب السلطان وصاحب الفائدة .

وبجملتين مختصرتين يمكن أن يكون أقصى نجاح لتنظيمات الاتحاد الاشتراكي عندما يصل إلى المرحلة التي ينظر كل الناس فيها إلى تنظيمات الاتحاد الاشتراكي بحب ومودة وأمل ولسان حالهم يقول : « الاتحاد الاشتراكي دا بتاعنا .. دا أبونا » .. وأن ينظر الجهاز التشريعي إلى

الاتحاد الاشتراكي .. بلهفة ويقول : « الاتحاد الاشتراكي دا بتاعنا ..
تنظيماته هي اللي بتعكس لنا رغبات الشعب .. اللي ممكن تبقى أصل
التشريعات اللي بنعملها » .. وأن تنظر السلطات التنفيذية إلى الاتحاد
الاشتراكي في احتياج وتقول : « الاتحاد الاشتراكي ده بتاعنا .. تنظيماته
هي اللي بتساعدنا في كل حاجة .. هي اللي بتخلي الناس يطبقوا القوانين
ويتفانوا في العمل والإنتاج » .

تلك هي الصورة التي يجب أن تكون لتنظيمات الاتحاد الاشتراكي عند الجميع .
وهي حلم .. لا بد أن يتحقق .
وتحقيقه أول ما يكون في طريق تكوين وحداته .. بحيث تكون عنصرا
فعالا للخدمة .

وإذا كان اختيار الإدارة يجب أن تقترن فيه الكفاءة السياسية بالكفاءة
الفنية فإن اختيار القيادة السياسية يجب أن يقترن فيه التفوق في العمل إلى
جانب التميز السياسي .

بحيث يكون وعي أفراد القيادة الإدارية بالعمل السياسي مع تميز أفراد
القيادة السياسية في عملهم أيما كان نوعه أساس الاختيار الذي يؤدي إلى
التعاون والفهم المتبادل بين القيادتين الذي يصل بالإنتاج وبمصالح العاملين
إلى أفضل مستوى .

وبحيث لا تكون وحدة الاتحاد .. عنصرا معرقلا مزعجلا للإدارة .. أو
تكون الإدارة عنصرا معاديا .. كارها .. لوحدة الاتحاد .
إن تنظيمات الاتحاد .. يجب أولا وقبل كل شيء .. أن تجعل من حب
الناس لها .. حجرا أساسيا في عملها .

فهى بغير حب الناس لها وثقتهم فيها .. تصبح أى شيء .. إلا العصب
الذى يمكن أن يكون جزءا من الناس يربطهم بشئى الأجهزة التى تقوم على
مصلحتهم .. وترعى شئونهم .

(من وراء الغيم)

طمانينة الناس .. كل الناس من قوى الشعب العاملة .. إلى أجهزة الاتحاد الاشتراكي هي أول ما يجب أن تسعى إليه هذه الأجهزة .. بحيث يستطيع الناس أن يفتحوا لها قلوبهم .. ويسروا إليها بمتاعبهم وآلامهم وآمالهم وبغير هذا .. تصبح تنظيمات الاتحاد الاشتراكي جدارا حائلا بين الناس وبين بقية أجهزة التنظيم والدولة .

يجب أن يستريح الناس إلى تنظيمات الاتحاد الاشتراكي .. حتى يستطيعوا الفضفضة إليها فهذه الفضفضة المخلصة الآمنة هي التي يمكن أن تتحول إلى تشريعات وترجم إلى مشروعات .. عندما تحملها تنظيمات الاتحاد إلى السلطات التشريعية والتنفيذية .

إذا أفلحت تنظيمات الاتحاد الاشتراكي في أن تكون الصدر الرحب الذي يتسع للناس ويضم الناس .

وإذا أفلحت تنظيمات الاتحاد الاشتراكي في أن تكون عوناً للإدارة من أجل تحقيق أكبر قدر من الإنتاج وتحقيق أكبر قدر من مصلحة العاملين . إذا استطاع الموصل الجيد بين الشعب والسلطة في أن يصل بينهما بالحب والتعاون وأن يجعل منهما وحدة واحدة هي الاتحاد الاشتراكي فلا جدال في أننا نستطيع أن نحقق جبهة وطنية قادرة على الصمود أمام العدوان وإزالة آثاره .. وعلى تحقيق كل أهدافنا التي نسعى إليها .. هذا عن الجبهة الداخلية التي تكون فيها منظمات الاتحاد الاشتراكي عصباً حياً يصل بين حس الجماهير وإرادة الحركة في القيادات ليجعل من تحالف القوى العاملة جسداً قوياً صلباً متماسكاً .

٢٣ أغسطس ١٩٦٧

رأى .. فى مسألة الحزب

ينادى بعض الكتاب فى هذه الأيام بتكوين الحزب .. وأن يؤخذ بنظام الحزب الواحد كما هو موجود فى غينيا التى يتولى الحكم فيها حزب سيكوتورى وهو الحزب الديمقراطى الغينى . P . D . G وفى تانزانيا (وإن كان الحزبان الحاكم هناك وهما تانو فى تنجانيقا والأفرو شيرازى فى زنبار والذان يرأسهما نيريرى رئيس الجمهورية وعبيد كرومى نائب الرئيس ظل كل منهما محتفظا بكيانه دون أن يندمجا فى حزب واحد) .

ولا يستطيع المتابع لهذه الآراء أن يدرك ما هو التغيير الجذرى الذى يمكن أن يحدث إذا ما تحول الاتحاد الاشتراكى العربى إلى حزب .. فالمفهوم أن الاتحاد الاشتراكى العربى يمثل تحالف قوى الشعب العاملة من عمال وفلاحين ومثقفين ورأسمالية وطنية .. ويتخذ الاشتراكية سبيلا لوضع أدوات الإنتاج فى أيدي هذه القوى ويضمن عائده إليها .

المفهوم أن هذا الاتحاد الذى يضم الجبهة الجماهيرية العريضة صاحبة المصلحة الحقيقية فى البلد قد وضعت له التنظيمات التى تستطيع شد الجبهة الجماهيرية المتسعة ومنحها التماسك والصلابة والفاعلية التى تجعلها قادرة على الحركة فى اتجاه المصلحة الحقيقية لها .. وعلى مواجهة أى هجوم عدائى عليها والتى تمنح حشدها الهائل وتيارها الجارف القدرة على التوجه فى إرادة والتحرك بحسب لبلوغ الأهداف التى تنشدها من أجل تحقيق الكفاية والعدل والرخاء والأمان .. والتى لا تترك لأية قوى غادرة مخادعة القدرة على تضليلها .. واستغلال حركتها الانفعالية العفوية .. لسلب ما حققته من مكاسب .. أو لاستغلالها لتحقيق السيطرة لفئة لا يمكن أن تمثل الاتجاه

الحقيقى لجماهير الشعب العريضة .. ولا تنبع أفكارها من تقاليدها ولا تعبر عن مشاعرهم وأحاسيسهم ورغباتهم .. ولا يمكن بحال أن تكون تمثيلا صادقا لجهة الجماهير العريضة من فلاحين وعمال ومثقفين ورأسمالية وطنية .

إن تنظيمات الاتحاد الاشتراكي بقياداتها التي تشد جهة الجماهير العريضة والتي تكون التنظيم السياسى هى الجهاز الذى يقابل قيادة الحزب وتشكيلاته .. والتي تجعل الاتحاد الاشتراكي قادرا على العمل السياسى والجماهيرى بنفس الكفاءة التي يمكن أن تكون لأي حزب لا فارق بينه وبين الحزب إلا أن الحزب يمثل طبقة معينة ويعبر عن مصالحها ويعمل من أجلها .

والمقارنة بيننا وبين البلاد التي تتبع نظام الحزب الواحد .. مقارنة تحتاج إلى مناقشة .. ففي البلاد الإفريقية وجد الحزب أولا وخاض صراعا طويلا ضد خصومه في الخارج والداخل .. ثم انتهت معركته بالانتصار وتولى مقاليد الحكم ، وفي البلاد الشيوعية وجد الحزب ممثلا لطبقة البروليتاريا .. انتهت معركته بالقضاء على بقية الطبقات وتولى الحزب الشيوعى الحكم معبرا عن حكم الطبقة الواحدة أو ديكتاتورية البروليتاريا .

وواضح عندنا أن حزبا ما لم يستطع أن يقود الجماهير إلى الثورة التي قضت على الملكية والإقطاع ورأس المال المستغل .. وإنما قادها الضباط الأحرار بزعامة الرئيس جمال عبد الناصر ، وأن الثورة التي قضت على الاستعمار والاستغلال بدأت في تنظيم تحالف قوى الشعب العاملة من أجل أن يتولى الشعب السلطة لحماية مكاسبه .. ودفع عجلة الإنتاج والتنمية من أجل تحقيق الكفاية والعدل .

ليس مفهوما إذن .. إصرار البعض على إيجاد الحزب لأن هناك اختلافا

جذريا للدوافع الموجدة للأحزاب في بلاد الحزب الواحد عن الأسباب الخالقة للاتحاد الاشتراكي عندنا .. ولأن المرء لا يستطيع أن يلمس نتائج واضحة مفيدة يمكن أن تحدث إذا ما تحول الاتحاد الاشتراكي إلى حزب .. ولأن التنظيم السياسي الذي اتخذ شكلا راسخا وبدأ يمارس عمله في مهارة وكفاءة .. والذي يوشك أن يستكمل بإيجاد اللجنة المركزية يمكنه أن يستغنى عن أية إضافة قد يضيفها إيجاد الحزب إلى التنظيم .

وكل ما يمكن أن تثيره الدعوة إلى الحزب .. هو تساؤل البعض ولماذا الحزب الواحد ؟ .. لماذا لا تتعدد الأحزاب .

والمرحلة التي نمر بها .. بغير ما شك .. تجعل كل هذه المناقشات .. في الحزب .. أو الأحزاب .. مسألة غير ذات موضوع فنحن في أشد الحاجة إلى وحدة الجبهة الداخلية .. وإلى شدها بقيادة حازمة .. يمكن أن تجتاز بنا هذه الظروف الأليمة التي نمر بها وأن تقف بنا صفا واحدا في مقاومة العدو الذي يحتم على صدورنا ويكتم أنفاسنا .. ويهددنا .. كل لحظة بدقاته الأليمة .. ليس على بابنا .. بل على قلبنا .

ومع ذلك .. فإن المرء لا يملك نفسه أحيانا .. من التساؤل .. عندما يثير البعض مناقشة الحزب .. من الذي يطلب الحزب الآن ؟ ..

ويراود ذهني خاطر غريب يسألني .. لو أننا في ظروف طبيعية .. فلماذا لا يسمح لهؤلاء الذين يطالبون بالحزب .. أن يكونوا لأنفسهم حزبا ؟

ويعضى خاطر في إلحاحه المتسائل ؟

لماذا لا يكون البعض حزبا شيوعيا ؟

والبعض الآخر حزبا رجعيا ؟

ويواجهون جبهة الجماهير العريضة الممثلة في حزب الاتحاد

الاشتراكي .. ويتركون الحكم لها .. ويدخلون في اختبار حقيقي يعرفون

منه قيمتهم .

إن بعض الاتجاهات التي لا تعبر عن الاتجاه الحقيقي للاتحاد الاشتراكي والموجودة في الاتحاد الاشتراكي تستمد قيمتها من وجودها في الاتحاد الاشتراكي .. ومن حمايته لها .

وعندما أقول الاتجاه الحقيقي للاتحاد الاشتراكي أعني ذلك الاتجاه الذي حدده الميثاق .. والذي دأب الرئيس جمال عبد الناصر على إيضاحه في كل خطبه .. والذي حدده بوضوح أكثر من مرة .. عندما أكد أن الاشتراكية ليست فلسفة تضيعنا في متاهات وإنما هي بيت سعيد بينه القادرون على العمل تظلمه مظلة العلم والصحة والأمان الاجتماعي .. وعندما قال إن مقياس الاشتراكية هو الإخلاص في الإنتاج .. وعندما قال إن الدين هو أساس المجتمع .

إن اتجاه الاتحاد الاشتراكي قد رسمه الرئيس جمال بعمق وبساطة وتأکید .. ولم يعد أحد من الناس تخدعه التفسيرات المضللة .. أو الفلسفات التي تدفع إلى المتاهات .

لقد كان هناك حزب شيوعي حل نفسه .

وكانت هناك أحزاب رجعية حلتها الثورة .

تري هل لو أتاحت لها الفرص للوجود .. فهل يمكن أن تكون لها قيمة حقيقية ؟

إن الخاطر الذي يلح على ذهني وأنا أقرأ المناقشات الدائرة حول الحزب .. يجعلني أتمنى لو أننا .. عندما نخلص من آثار المعركة .. نتيح لها فرصة الوجود لكي تتضح قيمتها الحقيقية .

إن الذين ينتمون حقا إلى الاتحاد الاشتراكي .. كما أوضحه الرئيس جمال عبد الناصر هم الذين سيقون في الاتحاد الاشتراكي .. وسيجد الآخرون .. من الذين اجتمعوا في الاتحاد الاشتراكي بأحلام تراودهم أن

يفرضوا اتجاههم على الاتحاد الاشتراكي .. مجالا لممارسة اتجاهاتهم بحرية
وصراحة .. ويواجهون الجماهير بها لتحديد قيمتهم عندها .
إني أردد هذا الخاطر .. وأنا أعرف أن هذا ليس وقته .. ولكن أتمنى
حقيقة أن يأتي وقته .. وأن تتاح الفرصة من جديد لكي يؤكد الشعب مرة
أخرى ثقته غير المحدودة التي منحها للرئيس جمال عبد الناصر واتجاهه
القيادي في ٩ يونيو .. كما يؤكد رأيه في أي اتجاه آخر يمكن أن يبرز
صراحة .. ومجردا من أية حماية يستمدّها من الالتصاق بالاتحاد
الاشتراكي .

إن الخاطر الغريب يلح عليّ .. إننا في حاجة قصوى .. إلى أن نعرف
حقيقة كل منا .. بدقة وصراحة ووضوح .

١٣ سبتمبر ١٩٦٧

لتدعيم .. البناء العربى

● من البديهيات التى لا تقبل الجدل ولا تحتاج إلى مناقشة والتى أصبحت محاولة إثباتها .. نوعا من الثروة التى لا يحتملها تدافع الأحداث .. إن قيمة العرب وقوتهم — على أى مستوى وفى أى مجال — تتناسب تناسبا طرديا مع قوة وحدتهم وتضامنهم وقدرتهم على العمل الموحد فى كل ميدان .

● وإذا كانت قيمة الوحدة العربية للعرب مسألة لا تقبل الجدل فإن القدرة على تحقيق هذه الوحدة .. والمدى الذى يمكن فيه تحقيقها وتفاوت احتياج العرب إليها فى مختلف العصور .. هى التى تشكل مشكلة حقيقية .

● وليس هناك مجال سرد تطور أشكال الوحدة التى ضمت الوطن العربى ولكننا نستطيع أن نؤكد أن إحساس العرب بحاجتهم إلى هذه الوحدة وإلى إمكانية الوجود العربى الموحد والعمل العربى المشترك فى وضع الأمة العربية فى مكانها الكريم بين أمم العالم وفى تحقيق آمال الشعب العربى .. قد جعل هذه الوحدة مطلب الشعب العربى كله وجعل الجهود الضخمة تبذل فى محاولة تحقيقها .

● ولقد اصطدمت هذه الجهود بعراقيل مختلفة بعضها من الداخل وبعضها من الخارج .

● وهكذا حلت وحدة القوى الثورية مؤقتا محل الوحدة العربية الشاملة .. بغرض أن تنمو هذه القوى الثورية حتى تشمل جميع البلاد العربية فتكون فى وحدتها الوحدة الشاملة .

● وخلال هذه الجهود كانت إسرائيل دائما كقاعدة عدوانية ورأس حربـة للاستعمار هي أخطر ما يسدد إلى الوطن العربي ككل .. ولقد حاولت الجمهورية العربية المتحدة كرأس للقوى الثورية في عدة مراحل .. أن تلم شمل العرب في نطاق يتسع للثورى وغيره الثورى .. بحيث يتضامن العرب لمواجهة الخطر الأصيل الذى يهددهم جميعا .. ولكن افتقاد الثقة وإحساس بعض الحكومات بأن النظام الثورى الاشتراكى هو أقرب إلى تهديدهم وأخطر عليهم من إسرائيل أضاعا كل الجهود المبذولة من أجل توحيد الصفوف لمواجهة الخطر الحقيقى .

● ولكن .. الواقع المرير — ومن غير حاجة إلى شرح أو إسهاب — قد أثبت أن الخصم الحقيقى .. هو إسرائيل .. وأنها هى فعلا أخطر ما يواجه الأمة العربية .

● ولقد أوضح العدوان الأخير .. وجه الحقيقة ناصعا .. أن العرب جميعا .. يواجهون خصما واحدا .. ولا يميز بين عربى وآخر .. بل يفتك بهم جميعا .. ويدمرهم جميعا .

● ولم يعد هناك بعد ذلك وجه لفقدان الثقة بين بلد عربى وآخر .. والخطر الحقيقى يواجههم جميعا .. ويؤكد ضرورة إزالة أية عقبة تعترض وحدة الصف بعد أن تأكدت وحدة الهدف وهى مواجهة الخصم الحقيقى والقضاء على كل آثار عدوانه وتأكيد حق الشعب العربى فى أرضه .

● إن تصفية الخلافات الثانوية قد أضحت عملا حتميا لأنه ليس هناك وقت نضيعه فى خلاف بيننا .. ولأن جميع الطاقات العربية يجب أن تحشد لأجل تصفية العدوان والاستمرار فى العمل من أجل قوة الوطن العربى ورخاء الشعب العربى .

● إن الأسبقية الآن للوحدة العربية .. المبنية على الثقة الكاملة المتبادلة بين البلاد العربية .. مع استمرار تدعيم البناء الاشتراكى فى البلاد

العربية الثورية .. ومع تأكيد أن هذه البلاد لا تصدر ثوراتها .. وأن الشعوب هي التي تصنع الثورات ولا تستوردها .

● إن الاشتراكية ليست محدودة السبيل .. ولكل بلد سبيله إلى الاشتراكية .. التي هي كفاية وعدل .. وإذا كانت البلاد الاشتراكية لم تستورد اشتراكيتها ولم تنقلها .. فهي بدهة لا تصدر الاشتراكية ولا ترغب أحدا أن ينقل عنها .. ولكل نظام طريقه إلى الكفاية في بلده وإلى العدل بين مواطنيه .

● يجب أن يكون الهدف الأكبر .. هو تدعيم البناء العربى كله .. فإن البناء العربى المتكامل هو فى حد ذاته .. تقوية للنضال ضد الاستعمار وقضاء بديهي على مطامع الصهيونية .

● إن الشعوب دائما هي صاحبة الأمر .. وهي الحاكمة فى أوقات الاختبار الحقيقى للسلطان .. وإذا كانت الضربة قد وجهت إلى العرب جميعا .. فإن الشعوب العربية قد فرضت أن يواجه العرب جميعا خصمهم الحقيقى .. دون تفرقة بين عربى وعربى .

● هذه كلمات يشارك بها مواطن عربى كل العرب فى دعائهم إلى الله أن يوفق المسئولين عن الوطن العربى الذين يجتمعون فى أحلك الساعات لعلهم يستطيعون أن يوقدوا فى الطريق ضوئا .. يسدد خطانا إلى إزالة آثار النكسة والاستعمار

٣٠ أغسطس ١٩٦٧

مؤتمر الخرطوم

● نجاح أى عمل يتوقف على مدى تحقيق الغرض منه .
وقبل أن نتساءل عن نجاح مؤتمر الخرطوم يجب أن نسائل أنفسنا ماذا
كنا نريد أن نحققه من هذا المؤتمر .
أعتقد أن أول أغراض المؤتمر هو الكشف الكامل عن حقيقة الموقف
العربى بكل تفاصيله ودخائله وأسبابه ونتائجه .. وأصوله واحتمالاته ..
والمصارحة بموقف كل بلد واستعداده وقدرته على المشاركة فى تحمل أعباء
الموقف .
وبهذا الكشف والتوضيح والمصارحة والفهم لموقف الجميع بوضوح
وصراحة .. يمكن تحديد الخطوات العملية لخطة العمل فى المستقبل .
وقد تحقق هذا الغرض بما قدمه الرئيس جمال عبد الناصر من عرض
للموقف بكل تفاصيله وشرحه للظروف المحيطة بالموقف قبل العدوان
والموقف خلال العدوان والنتائج المترتبة عليه وتعليق الملك حسين والرئيس
عبد الرحمن عارف بالتأييد ، وقبول الملك فيصل لتقدير الموقف الذى
قدمه الرئيس جمال كأساس لقرارات المؤتمر .
وكان الغرض الثانى للمؤتمر هو تأكيد وإبراز التضامن العربى فى
مواجهة الموقف ووقوف البلاد العربية كلها صفا واحدا إزاء الخصم
المشترك .. وقد تحقق هذا بالتجمع العربى أولا .. وبالاتفاق على توحيد
الجهود للتصدي للاستعمار ومؤامراته . والاتفاق على الوسائل التى يواجه
بها العدوان وتصفى بها آثاره ، وأهمها دعم الإعداد العسكرى وتصفية
القواعد الأجنبية .

وكان الغرض الثالث للمؤتمر هو أن يقدم كل بلد بطريقة عملية ما يستطيع تقديمه من مساعدات لزيادة قوة العرب في مواجهة العدوان بحيث يمكن ممارسة الحل السياسى من مواقع القوة .

ولقد استطاع العون المادى الذى قدمته البلاد القادرة للبلاد التى اهترت قدرتها الاقتصادية أن يهيئ لها فرصة الصمود وطول النفس بحيث تستطيع أن تقف فى صلابة أمام جميع الضغوط وبحيث يكون الحل السياسى غير مفروض بل مختارا من مواقع القوة وبحيث يمكن للعرب جميعا ممارسته على المبادئ الأساسية التى أقرها المؤتمر . وهى عدم الاعتراف بإسرائيل ورفض أى صلح أو مفاوضة ورفض أى مساس بحقوق شعب فلسطين . تلك هى الأغراض التى كانت ترجى من المؤتمر وتلك هى النتائج التى حققها .

بقيت بعد ذلك .. نتائج يمكن أن ترجى .. من الآفاق الجديدة التى منحها المؤتمر .

● إن مؤتمر القمة العربى الذى ألقى الضوء على الموقف الدقيق المعقد الذى تمر به الأمة العربية قد شد خطى العرب إلى بداية طريق موحد جلى الهدف واضح المعالم .

ويمكن لكل مراقب للحوادث — من غير ما تفاؤل — أن يرى بوضوح أن انعقاد المؤتمر قد أكد ثلاث حقائق متعاقبة .

الحقيقة الأولى .. أن العمل العربى الموحد قد بات هو الوسيلة الأولى إن لم يكن الوحيدة من أجل التصدى للعدوان الاستعمارى الصهيونى وإزالة آثاره وتأكيده سيادة الشعب العربى على أراضيه .

الحقيقة الثانية .. هى أن تحقيق العمل العربى الموحد قد بات ممكنا بعد التصارح بالحقائق والفهم المتبادل لجميع الإمكانات ، وطى كل الخلافات التى تضاءلت إلى جوار الخطر الحقيقى الذى هدد ويهدد كل

الوطن العربى .

الحقيقة الثالثة .. هو أن هذا العمل العربى الموحد الذى أمكن تحقيق بعض خطواته فى هذا المؤتمر يمكن أن يكون منطلقا نحو وحدة كاملة كبرى تذيب الحدود الشكلية بين البلاد العربية ، وتجعل من هذه المنطقة الخطيرة من العالم مكانا لدولة كبرى هى الدولة العربية الكبرى التى تملك من الإمكانيات المادية والبشرية والتراث الحضارى ما يمكن أن يدفع بها فى طريق التقدم والتطور بحيث تستطيع أن تواجه التحديات التى أذلتها على مدى التاريخ .

ولعل اللطمة التى تلقاها الوطن العربى فى مجموعه ، والتى تلقاها كل عربى فى شخصه بالعدوان الأخير .. قد جعلت هذه المجموعة الضخمة التى تبلغ ٩٠ مليون فرد تقطن فى أهم وأغنى وأخطر بقاع العالم قد أدركت أن التحدى الموجه لنا فى بقعة من أرضنا .. لم يوجه إلى بلد بذاته ، بل وجه إلى العرب جميعا .. ولم يوجه من إسرائيل وحدها .. بل من قوى كبرى ورائها على رأسها أمريكا .. تمثل مجموعة تملك نوعا من السيادة والسيطرة على هذا العالم وتحس بالتفوق والاستعلاء والسيطرة على مجموعة أخرى من هذا العالم بينها العرب .

ومواجهة تحديات هذه القوة .. التى أطلق عليها قوى الاستعمار لا تواجه .. بوسائل فردية بدائية .. ولكنها تواجه بقوة كبرى تملك الإمكانيات لمواجهة هذه القوى المستعالية المعتدية .

ولا يلغى ذلك بدهاء .. مقاومة هذه التحديات .. بكل ما نملك من وسائل مهما كانت بدائية وفردية .. لحسر موجة عدوانها .. وصددها .. ولكن هذه المقاومة .. التى نحملها بها وجودنا ومصيرنا يجب أن يصحبها عمل مستمر دائم .. من أجل تشييد القوة الكبرى التى تستطيع أن تقهر جميع هذه التحديات بمجرد وجودها ..

وتشييد هذه القوة الكبرى في هذه المنطقة الحيوية التي تمتد من الخليج إلى المحيط .. رغم أنه يبدو لنا دائما كالحلم .. ورغم أنه قد لاقى الكثير من العراقيل والموانع .. كان أكبرها — ولا شك — هو ما وضعت هذه القوى الاستعمارية المضادة .. التي تعودت ممارسة السيادة علينا والسيطرة على مواردنا .. وإذلالنا بالاستعلاء والغرور ، والتحكم ..

إن حلم تشييد هذه القوة الكبرى .. التي يمكن أن تكون في الدولة العربية الكبرى .. قد أخذ يلح في نفوسنا .. وبدأت خيوطه البيضاء تداعب عيوننا .. كأنها خيوط النهار تتسلل بين ظلمات ليل أو شك أن ينجلي ..

وفي هذا الوقت بالذات .. الذى يطبق فيه العدوان على حدودنا العربية .. حاملا معه .. ريحا خانقة .. تكتم الأنفس .. وتشيع اليأس والمذلة في النفوس .. ليس عجيبا أن تشم ريح أمل تهب وسط سموم الضيق واليأس .. لأننا نملك من إمكانيات الأمل والنمو والقوة في باطننا ما نستطيع به أن ندرأ كل خطر يهددنا ..

إننا نملك أن نحقق بأملنا في الحياة وبأمل الأجيال القادمة فينا .. القوة العربية الكبرى التي نستطيع أن نتصدى بها .. لأولئك الذين حاولوا إذلالنا .. واستعبادنا واغتصاب حقوقنا .

من هذا التجمع العربى الذى حدث في الخرطوم .. فى أحلك أوقاتنا .. يمكن أن نحقق انطلاقة كبرى في هذه المنطقة الخطيرة من العالم .. بمجرد أن نشد هذه الأجزاء المتناثرة في الوطن العربى .. لنجعل منها .. الدولة العربية الكبرى .. التي يمكن أن تواجه .. على مدى الأيام .. كل من أذل العرب .. واستعلى عليهم .. من إسرائيل .. إلى أمريكا .

وإذا كان المؤتمر قد قرر الدعم العسكرى .. لمواجهة العدوان .. فلتكن هذه بداية للجيش العربى الواحد .. بحيث توضع فيه كل إمكانيات

العرب .. وبحيث يصبح الجيش العربى مدافعا عن كل الوطن العربى ..
بإرادة عربية واحدة .. وخطة عربية موحدة ..

إن حشد إمكانيات العمل العربى .. لإزالة آثار العدوان .. يجب أن
يكون أبعد مدى .. وأكبر قدرة .. لكى يقيم البناء العربى الموحد .. الذى
يمكن أن يفرض السيادة العربية .. ويوقف كل عدوان .. ويأخذ للعرب
فى فلسطين ، وفى كل مكان من الوطن العربى حقوقهم من غاصبيها .

هل هى أحلام كاتب .. أن يرى الاقتصاد العربى كله فى خدمة
العرب .. وأن يرى تكاملا اقتصاديا .. يجعل أموال العرب تشيد
صناعاتهم وتزهر أرضهم .. وتمنحهم الرخاء والكفاية والعدالة ..

هل هى أحلام كاتب .. أن يرى الجامعات الكبرى فى عواصم
العرب .. تضم كل العرب فى ثقافة موحدة .. وتخلق من القدرات
العربية ، والكفاءات العربية والمدارك العربية .. تقدما علميا يجعلنا نعوض
مئات السنين من التخلف عن ركب الحضارة .

هل هى أحلام كاتب .. أن يتحرك المواطنون العرب بحرية كاملة داخل
وطنهم العربى .. مستغلين كل الطاقات العربية فى الاستثمارات العربية .
هل هى أحلام كاتب .. أن يجد العربى فى وطنه العربى كل إمكانيات
العمل والعلم والثقافة والسياحة .. بغير قيود ولا حدود .

هل هى أحلام كاتب .. إن يبرز الوطن العربى عملاقا قويا غنيا
قادرا .. فى هذه المنطقة الخطيرة من العالم ؟ ..

إن اجتماع الخراطوم قد وضع خطى العرب على بداية الطريق .
والسير فى الطريق يحتاج إلى ثقة دائمة .. بقدرة العمل العربى
الواحد .. على تحقيق المصير العربى المشرق .. يحتاج إلى طول صبر وحسن
فهم .. يحتاج إلى وعى بكل ما يمكن أن يضعه الخصم — الذى مارس فينا
السيادة والاستغلال — فى طريقنا من عقبات وما يمكن أن يذله من أجل

تفتيت وحدتنا .. والنفاذ بين صفوفنا .
يجب أن نكون مخلصين في تنفيذ قرارات الخرطوم .. كخطوة أولى ..
من خطوات طويلة .. يجب أن نسير في طريق تشييد البناء العربى
الواحد .. الذى يحقق الانتصار للعرب جميعا والذى يدفع عنهم كل
عدوان .. والذى يقف قويا مهابا بين دول العالم تنحسر أمام أقدامه ..
كل محاولة لاستعلاء .. أو غرور .. أو صلف .
إنها أحلام كاتب .. قد بتنا فى أشد الحاجة إلى تحقيقها .. من أجل
مصيرنا .. ومصير أبنائنا .. ومن أجل إنهاء هذا الليل الحالك الذى يجثم على
أنفاسنا ..

٦ سبتمبر ١٩٦٧

أصدقاء لماذا ؟ وأعداء لماذا ؟

(١) رصيد الصداقة والخصومة

لكل إنسان أصدقاء وأعداءه .
وأصدقاء الإنسان أحد منابع ربحه في الحياة .. وأعداؤه .. شر مصادر
الخسارة فيها .
وأعقل الناس أحفظهم للأصدقاء .. وأقدرهم على كسب المزيد
منهم .. وأفهمهم للأعداء .. وأقدرهم على كسر حدة خصومتهم
ومواجهة شرورهم .
ولكى يكسب الإنسان المزيد من صداقة الأصدقاء .. لا بد أن يدرك
سبب ارتباطهم به .. ولكى يكون أقدر على مواجهة الأعداء لا بد أن
يعرف سبب خصومتهم له .
وما ينطبق على الفرد .. ينطبق على البلد .
فنحن نضع أصدقاءنا في قائمة الأرباح .. وأعداءنا في كشف
الخسائر .
وعندما نعيد تقدير موقفنا .. بين الأرباح والخسائر .. يجب أن
نعرف ..
لماذا الأصدقاء .. ولماذا الأعداء ؟ .
ولقد تعود البعض عند محاولة حساب النتائج ..
أن يضع النتائج مسبقا .. لأنه يريد هذه النتائج .. ثم يسلسل لها
الأسباب .. ويدور بها ويلف حتى .. تؤدي .. — بطريقة ما — يتوهم
(من وراء الغيم)

أنه قادر على إقناع الغير بها — إلى النتائج التي يريدها .
ولكن لكي تكون صادقا مع نفسك .. ومع الآخرين .. يجب أن
تتحرك مع الأسباب الحقيقية .. لتصل إلى النتائج الصادقة .. حتى تقف
على أرض صلبة من الحقائق التي يفرضها الواقع .. ولا تتأرجح وتؤرجح
الناس معك .. على أوهام تفرضها رغباتك .. أو آمانيك .
وبهذا الأسلوب نتناول علاقتنا بالعالم . لنعرف حقيقة موقفنا فيه بين
الأصدقاء والأعداء .. ونتبين الأسباب الحقيقية للصدقة والخصومة ..
بحيث نستطيع ونحن نعيد تقدير موقفنا .. أن نحركه إلى ما هو أجدى علينا
وأفضل لمصيرنا .

وعندما أقول نحن .. أقصد العرب كوحدة واحدة .. تربطها علاقة
الأسرة .. ذات الصداقات التي ترتبط بها ككل .. والخصومات التي
توجه إليها ككل .. والتي تشدها من الداخل علاقة أوثق من الصداقة ..
والتي تعتبر خلافاتها مهما بلغت .. خلافات ذوى قرى .. تذوب إذا ما
دق ناقوس الخطر ليهدد مصيرهم جميعا .

علاقات العرب .. لا تدخل في قائمة الصداقة والخصومة .. وإنما هي
شئ أوثق من ذلك .. أكدده واقع الحياة .. أكثر مما أكدته دراسات
الباحثين وحجج الكتاب .

ما هي علاقتنا إذن بالعالم الذي حولنا .. وما هو رصيدنا من الصداقة
والخصومة وما هو السبب الحقيقي لها .. واضعين في الاعتبار عند تقدير
موقفنا :

● أننا يجب ألا نندفع في خصومات .. ذات أسباب وهمية .. بحيث
نضيع جهدنا في معارك لا مبرر لها .

● أننا يجب ألا نخطئ في فهم أسباب صداقتنا مع الغير .. بحيث نعجز
عن تنمية صداقتنا له .. وبحيث تذوب الصداقة مع الزمن نتيجة عدم

الوعى أو التضليل فى إدراك أسسها . تحميل الصداقة أكثر مما تحتمل .
● إننا يجب أن نعرف أسباب الخصومة الحقيقية .. حتى نعرف كيف
نزيلها إذا استطعنا .. وكيف نواجهها إذا لم نستطع .

ومن العسير أن نبحث فى كل بقعة من بقاع العالم الواسع عن الخصوم
والأصدقاء .. ولكن من الممكن أن نضع خطوطا تقريبية فاصلة بين
مجموعة من الأصدقاء .. ومجموعة من الأعداء .. أكدت لنا التجارب ..
موقفها منا .. عملا .. وحسا .

ففى جانب الأصدقاء نضع بما لا يقبل الجدل .. البلاد الاشتراكية ..
وبلاد القارات الثلاث أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية التى لا تقع تحت نفوذ
الاستعمار . وفى جانب الخصوم نضع إسرائيل ثم المعسكر الغربى (فيما
عدا فرنسا) وبلاد القارات الثلاث الواقعة تحت نفوذ الاستعمار .
وعندما نتناول صداقة البلاد الاشتراكية لنا .. يخطئ البعض عندما
يحاولون إجمال أسبابها فى أن مبعثها هو وحدة الجماهير العاملة .. ويزداد
خطئهم عندما يحاولون أن تشمل هذه الوحدة بلاد المعسكر الغربى ..
بحيث يتوهمون أن صداقتنا مع العالم كله يمكن أن تبنى على وحدة الجماهير
العاملة .. ويقذفون بعبء الخصومة على النظم غير التقدمية التى تسيطر
على بلاد الخصوم ..

ويبدو أن تناول المسألة بهذه الكيفية .. نتيجة الالتزام بمبدأ
معين .. وافترض نتيجة مسبقة هى أن يكون هذا المبدأ هو الذى يجعل من
التزامه سبب صداقة .. وبين عدم التزامه مبعث خصومة .. وأن تكون
الصداقة قائمة أساسا بين الجماهير العاملة أيا كان موضعها .. هو نوع من
الالتزام الضيق .. الذى يهون تناول الأمور .. بفرض النتائج المسبقة وترك
الأسباب تنساق بحيث تؤدي إلى هذه النتائج .
ونموذج لهذا الأسلوب ما أكدده الأستاذ لطفى الخولى فى حديثه عن

اليهودية والصهيونية وإسرائيل عندما شرح أسباب « إن عداؤنا ليس موجهة في قليل أو كثير إلى المليونين ونصف المليون يهودى عامة ، وإلى العمال والفلاحين منهم خاصة . المستغلين والمستعبدين داخل النظام الإسرائيلى ، وإنما هو ضد النظام الإسرائيلى كواقع عنصري استعمارى يخدم مصالح الإمبريالية ويعمق بذور المعاداة للسامية فى المنطقة ويستغل جماهير اليهود جنبا إلى جنب مع العرب من المسلمين والمسيحيين » .

ومع التسليم سلفا .. بأننا لا نعادى الناس الطيبين الكادحين فى حقوقهم والعاملين فى مصانعهم فى أية بقعة من بقاع الأرض بما فيها إسرائيل .. فإنى أعتبر أن تناول الأستاذ لطفى الخولى أسباب خصومتنا مع إسرائيل بهذا الشمول السهل .. هو نوع مما سبق الحديث عنه من الالتزام الضيق بمبدأ وحدة العمال . ومحاولة تعميم المبدأ فى حالة خاصة يجب بحثها بدقة وتفصيل .. لأن اعتبار المليونين ونصف المليون يهودى فى إسرائيل هم مجرد فلاحين وعمال كادحين مستعبدين ليس بيننا وبينهم عدا .. تعميم خاطئ .. لأن من هؤلاء الـ $\frac{1}{4}$ ٢ مليون ٢ مليون ليسوا أصحاب أرض .. ولا مواطنين أصليين فى البلاد .. بل هم معتدون .. نهابون .. اعتدوا على أرض غيرهم من العرب ونهبوا دورهم .. ولا يمنع كونهم عمالا أو فلاحين من ثبوت الجرم عليهم ومن أخذهم بهذا الجرم . واعتبارهم أعداء لأصحاب الأرض المسروقة والدور المنهوبة .

وأمر آخر .. إن هؤلاء المليونين ونصف المليون . ليسوا فى الحقيقة مجرد فلاحين وعمال كادحين طبيعيين . وإنما هم جنود مسلحون . فى بلد معسكر .. سواء كانوا فى مستعمراتهم وسط الحقول .. أو فى الخطوط الأمامية . وهم يشكلون القوة العدوانية التى مارست وتمارس العدوان على أرض العرب وشعب العرب . ومن العسير — مجرد تطبيق مبدأ وحدة العمال والطبقات الكادحة — أن نسلم مع الأستاذ لطفى الخولى أن عداؤنا

ليس موجهها لهم وإنما هو موجه فقط للنظام الإسرائيلى . ومن العسير أيضا أن أفصل عند حسابى لمسئولية العدوان على العرب بين النظام المخطط للعدوان .. والقوة البشرية المنفذة له .. وكيف أوجه عدائى لواضع الخطة دون الأداة المنفذة ..

وكيف أتجاهل مسئولية الشعب عن النظام ما دام راضيا بأن يحكمه ويوجهه ويخطط له وينفذ به .

وتبرز بعد ذلك محاولة تعميم هذا المبدأ — مبدأ صداقة الجماهير العاملة فى كل العالم — على المعسكر الغربى .

هل حقيقة أنه ليس بيننا وبين العامل فى أوروبا وأمريكا خصومة ؟ . إذا سلمنا بأن هدف الاستعمار الأسمى من البلاد المستعمرة هو الحصول على الأسواق وتصدير رأس المال . واستغلال موارد البلاد وقوة العمل الرخيصة فى الشعوب .

فهل نعتقد أن الاستعمار يخدم فقط طبقة الرأسماليين فى هذه البلاد أم أنه يخدم أيضا عمالها ؟ .

هل يمكن أن يكون مستوى المعيشة الذى يتمتع به العامل الأوربى والأمريكى .. والأجر المرتفع الذى يحصل عليه .. إلا نتيجة للسعر المنخفض الذى يفرضه الاحتكار العالمى على خامات البلاد المستعمرة . ورخص قوة العمل فى هذه البلاد . وارتفاع ثمن السلع التى تصدر إلى هذه البلاد — والتى ينتجها العامل فى البلاد الاستعمارية بأجر مرتفع — نتيجة لممارسة الاستعمار بشكله القديم والجديد .

كيف يمكن اعتبار العامل هناك غير منتفع بالاستعمار . وبكل نتائجه . وكيف يمكن أن نسلم بأن صداقتنا تبنى بصفة عامة على أساس وحدة الجماهير المكافحة .

كيف تكون هناك وحدة بين عمال أمريكا أصحاب العربات

والتليفزيونات والثلاجات .. وعمال إفريقيا الذين ما زالوا يمارسون العيش البدائي في الأدغال ؟ .

إن مسألة وحدة الجماهير العاملة لم يعد لها وجود في عالم اليوم .. بعد أن اختلف مستوى العمال من بلد إلى بلد اختلافاً بينا .. وأضحى على عمال كل بلد أن يكافحوا من أجل البناء والتنمية والعدالة الاجتماعية بكل ما يملكون من وسائل وأن يتلمسوا الصداقات .. حيث يمكن أن يجدوها ...

ولعل الصدع الذي حدث بين الصين والاتحاد السوفيتي .. قد أوضح جيداً أن الوحدة الوطنية أعمق من وحدة الطبقات العاملة .. وأن على كل بلد أن يتلمس طريقه إلى الأصدقاء .. حسب الأسباب الواقعية التي تفتح الطريق إليهم .

بعد هذا نتحدث عن صداقتنا مع المعسكر الاشتراكي .. أسبابها وتطورها .

ولكى نضع المعسكر الاشتراكي .. وعلى رأسه الاتحاد السوفيتي في موضعه يجب أن نحدد للثورة الاشتراكية التي حدثت في روسيا سنة ١٩١٧ قيمتها الحقيقية وأن تؤكد الدور الذي أدته للشعوب المكافحة التي عملت من أجل التحرر والبناء .. ونحن من بينها .

إن ثورة أكتوبر قد فتحت صفحة جديدة في التاريخ مع بداية انهيار الإمبريالية وبدء نشوء المجتمع الجديد القائم على المساواة والإنسانية بين البشر في الحقوق والواجبات ورفضه مبدأ السيطرة والاحتكار والاستغلال على جميع المستويات سواء كانت فردية أو دولية .

ولا شك أن نجاح كفاح الشعب الروسي الثوري ضد الكبت الاجتماعي والخلاص الوطني قد فجر ثورات الجماهير العاملة في مختلف الشعوب ووفر الاحتياجات الضرورية لنجاح حركات التحرر الوطني .

حتى أخذت الجبهة الإمبريالية تتداعى وضعف نفوذها السياسى والاقتصادى والعسكرى .

ولقد كانت معاونة الاتحاد السوفيتى للبلاد المكافحة سواء فى معركة التحرر من الاستعمار أو فى معركة النمو الاجتماعى والاقتصادى على أساس العلاقة القائمة على احترام السيادة والصداقة المتكافئة الأطراف .. وعدم تطلب شروط يمكن أن تنتقص من السيادة الوطنية أو تفرض على البلد نظاما يمكن أن يربطها بأكثر من الصداقة المتبادلة .

تلك هى صورة الاتحاد السوفيتى كما ارتضينا صداقته وكما التزم بها نحنونا ونحو غيرنا من الدول المكافحة من أجل الحرية والبناء .

ولعل الظروف التاريخية التى وفقت ثورتنا وبقية الثورات الوطنية التى توالى من بعدنا إلى أن تتلاقى مع الثورة الاشتراكية السوفيتية فى مرحلة كانت هى نفسها فى أشد الحاجة إلى كسر نطاق العزلة التى فرضها عليها الستار الحديدى الذى وضعته على نفسها أولا .. ثم نطاق الأحلاف العدوانية والقواعد العسكرية التى لفها به المعسكر الرأسمالى لحصار نفوذ المعسكر الاشتراكى ومنعه من التسرب إلى العالم الخارجى .

٢٠ سبتمبر ١٩٦٧

أصدقاء لماذا ؟ وأعداء لماذا ؟

(٢) صداقة الاتحاد السوفيتي

إن المرحلة التي التقينا فيها مع الاتحاد السوفيتي قد حددت معالم أسلوب جديد لتعامل المعسكر الاشتراكي مع العالم الخارجي .. غير الأسلوب التقليدي الذي يقصر التعامل على طريق الأحزاب الشيوعية التي تنبت بذورها في شتى أنحاء العالم .. ويوالى سقيها ورعايتها بحيث تنمو مرتبطة بالمعسكر الشيوعي وجزءا منه .. وبحيث تضع البلد إذا مدتولت زمام السلطة فيه في نطاق الوحدة الشيوعية العالمية .

ولقد دفع إلى تغير أسلوب التعامل الخارجي التطور الداخلي في نفس النظام الشيوعي داخل الاتحاد السوفيتي والذي أدى مع غيره من الأسباب إلى الصدع الخطير الذي شطر المعسكر الشيوعي وأوجد بين شطريه من الخلاف ما فاق خلاف المعسكر الاشتراكي مع خصمه التقليدي .. المعسكر الرأسمالي .

ويبدو أننا لا نستطيع تجنب الخوض في التطور الذي حدث في النظام الشيوعي .. لأن هذا التطور هو الذي خلق البيئة الصالحة لإثبات الصداقة السوفيتية مع العالم الخارجي على أسس جديدة من التعاون والصداقة . وإذا كانت المرحلة الستالينية التي يمكن اعتبارها ضرورة لازمة في تطور النظام الشيوعي قد أدت دورها في فترة معينة .. وانتهى دورها بانتهاء ما أدته .. واستطاعت أن تجند الطاقة الإنتاجية في الاتحاد السوفيتي بحيث دفعت به ليكون إحدى أكبر قوتين في هذا العالم .

إذا كانت هذه المرحلة قد جارت في الداخل على حق الفرد في عائد الإنتاج وحرية في الحياة على حساب نمو الدولة بحيث وصف النقاد السوفيت هذه المرحلة بأن رخاء الإنسان فيها كان لا يرى إلا في أفلام الدعاية السينمائية التي تعرض عليهم والتي كان المحصول في المزارع الجماعية يباع للدولة بأبخس الأثمان بحيث لا يكاد الفرد يحصل على أدنى حاجاته في الحياة .

إذا كانت هذه المرحلة قد انعكست بمثل هذا الجور على حياة الفرد في الداخل .. فإنها قد انعكست بنفس الجور على العلاقات السوفيتية مع العالم الخارجى .. بحيث أقامتها على التشكيك والريسة وبحيث كانت الأحزاب الشيوعية التي بذرت بذورها في خارج العالم الشيوعى أردأ موصل يمكن أن يصل بين العالم الشيوعى والبلاد التي تسلك سبيلها نحو التحرر والنمو .

ولست أريد أن أخوض في طريقة تشكيل هذه الأحزاب وفي طريقة عملها فأنا أعتقد أنه لا بد أن يحين الوقت الذى يؤرخ أحد الذين خاضوا هذه التجربة لها ويسجل رأيه فيها وفي تطورها وفي الأفراد الذين قاموا بها وبكل ما حدث فيها من متناقضات وهى على أية حال لا يمكن أن تخلو من إخلاص وأمانة وشرف وإنسانية ووطنية من بعض من خاضوها .. كما لا يمكن أن تخلو من عكس هذا كله من البعض الآخر .

ولست أدري إلى أى شكل كان يمكن أن تنتهى .. لولا أن أدركها التطور الذى حدث فى أسلوب تعامل الاتحاد السوفيتى مع العالم الخارجى وضمور الاعتماد على الأحزاب الشيوعية الممالة مما كان أحد أسباب التصدع الصينى السوفيتى ومما أعطى مزيدا من الحرية للأحزاب الشيوعية القديمة ومنحها نوعا من الاستقلال عن موسكو .

ولكن الذى لا شك فيه أن هذه الأحزاب كانت كما قلت حتى بداية التطور السوفيتى .. موصلا رديئا بين المعسكر الشيوعى والبلاد الأخرى

وإنها لم تستطع قط أن تمد جنورها في الأرض الجماهيرية .. بل كانت محدودة الانتشار سطحية الجنور .. بحيث لا يمكن مقارنتها بغيرها من التنظيمات التي وجدت بجوارها واستطاعت أن تتسرب إلى الجماهير .
والشيء الذي لا جدال فيه هو أن هذه الأحزاب الشيوعية لم تستطع بأية حال أن تشد البلاد التي وجدت فيها إلى المعسكر الشيوعي .. بل على النقيض كانت مبعث تشكك وريبة وحتى بعد أن بدأت الصداقة بين هذه البلاد والمعسكر الشيوعي كانت في كثير من الأوقات سببا لسوء التفاهم وتعكير صفو الصداقة القائمة بينهما .

صداقتنا إذن مع الاتحاد السوفيتي لم تقم قط على رباط من أحزاب شيوعية .. أو على مبدأ وحدة الجماهير العاملة .. وإنما بدأت .. ولعل هذا تاريخ لا ينكره أحد .. بحاجة الاتحاد السوفيتي إلى كسر نطاق الأحيلاف العدوانية التي كانت أمريكا تحاول أن تفرضها عليه متحالفة مع بقية المعسكر الرأسمالي والتي تتمثل في حلف الأطلسي وحلف جنوب شرقي آسيا .. ثم حلف بغداد في منطقة الشرق الأوسط الذي كان من الممكن أن نكون نحن إحدى حلقاته .. والذي استطعنا أن نخطمه ونكسر النطاق الذي كان يوشك أن يحكم حلقاته حول المعسكر الشيوعي في هذه المنطقة .

تلك كانت حاجة الاتحاد السوفيتي إلينا .. حاجته إلى صديق يكسر من حوله نطاق الخصومة الذي يلتف به .. أما حاجتنا إلى الاتحاد السوفيتي فقد كانت ليعاوننا على كسر أسار التبعية الاستعمارية .. وتأمين أنفسنا ضد تهديد إسرائيل بالسلاح الذي عجزنا عن الحصول عليه من المعسكر الغربي .. حاجة إلى صديق يشد أزرنا بصداقته .. ونكسر نطاق الخصومة من حوله بصداقتنا .

معادلة متكافئة .. لا أظن أحدا يستطيع على التاريخ إنكارها .. تمثلت عمليا في صفقة الأسلحة من جانب .. وفي كسرنا لحزام الخصومة المتمثل

في حلف بغداد ثم مشروع أيزنهاور من جانب آخر .
لقد بدأت صداقتنا بالاتحاد السوفيتي .. قبل أن نبدأ التحول
الاشتراكي .

واستمر التعاون بيننا وبين الاتحاد السوفيتي في النمو على أساس الصداقة
المتبادلة .

قدم إلينا الاتحاد السوفيتي المعونة في إنشاء السد العالي .. وقدمنا إليه
الصداقة والتعاون المتبادل في النضال ضد المعسكر الاستعماري ..
ويخطئ من يظن أن اختيارنا للاشتراكية هو نوع من الثمن قدمناه لمعونات
الاتحاد السوفيتي .

ويخطئ من يظن أن موقفنا الدولي الذي كان يلتقي مع الاتحاد السوفيتي
في كثير من الاتجاهات هو مقابل آخر .

فإننا نؤمن بأن الاشتراكية هي السبيل الإنساني الوحيد .. لرخاء
شعبنا ونموه ونهضته .. ونؤمن بأن الاشتراكية — كما قال الرئيس جمال
عبد الناصر ليست متاهات فلسفية .. وإنما هي تهيئة بيت سعيد بينه
القادرون على العمل تظلمه مظلة العلم والصحة والأمان الاجتماعي ..
ونؤمن بأن الاشتراكية هي تكافؤ فرص بين القادرين على الإنتاج من أجل
تحقيق الكفاية والعدل للمجتمع .. ونؤمن بأن اشتراكيتنا قائمة على
الدين .. وأن ديننا اشتراكي .. ونؤمن بأننا لا ننقل اشتراكيتنا عن
الغير .. وأنها لا نضعها في قوالب مصبوبة .. وإنما هي أسلوب متطور
لتحقيق مزيد من الكفاية ومزيد من العدل يمكننا من أن نجعل الحياة للجميع
ملئة بالرخاء والخير والحب والجمال .

وإذا كانت ثورة أكتوبر الاشتراكية الروسية كما قلت في أول مقال —
على كل ما أحاط بها من ظروف التطبيق في مختلف المراحل — قد فتحت
صفحة جديدة في التاريخ مع بدايه انهيار الإمبريالية وبدء نشوء المجتمع
الجديد القائم على المساواة والإنسانية بين البشر في الحقوق والواجبات

ورفضه مبدأ السيطرة والاحتكار والاستغلال على جميع المستويات سواء كانت فردية أو دولية .

إذا كانت تلك هي ثورة ١٩١٧ فلا أظن التقاءنا معها .. والأخذ باتجاهاتها الإنسانية القائمة على رفض السيطرة والاحتكار والاستغلال يمكن أن يكون ثمننا نقدمه لمعونة أو نوعا من التبعية .

وهو أيضا لا يمكن أن يكون كما يقول البعض الآخر نوعا من وحدة الجماهير العاملة المكافحة .. وإنما هو لقاء على صداقة تقوم على مصالح متبادلة واتجاه إنساني واحد .. وهذا هو ما يمكن أن يربط الشعبين وينمي صداقتهم .. من أجل تحقيق التحرر من الاستعمار ومن أجل تحقيق النمو الاجتماعى والاقتصادى على أساس احترام السيادة والصداقة المتكافئة الأطراف .

تلك أسباب صداقتنا مع المعسكر الاشتراكى .

أما صداقتنا مع بلاد القارات الثلاث آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية التى لا تخضع للاستعمار أو بطريقة أشمل جميع شعوب القارات الثلاث .. فلا أظنها تحتاج إلى جهد فى الشرح .. فهى علاقة صداقة بسيطة تقوم أسبابها على وحدة الآلام ووحدة الآمال .. فنحن ببساطة العبارة فى الهوى سوا .. والشعوب الآسيوية والإفريقية تجمعها وحدة المعاناة من الاستعمار القديم الذى سيطر على مواردها .. واستغل جهود شعوبها .. من أجل انتزاع أكبر قدر من الخامات بأبخس الأثمان .. وإعادة تصنيعها إلى هذه البلاد التى تشكل السوق المستوعبة للسلعة المنتجة بأبسط الأثمان .. وبفارق سعر الخامات البخسة المستوردة والسلعة الباهظة المصدرة .. يعيش المستعمر مستواه الرفيع وينمى حضارته .. ويزيد من قدرته على استغلال واحتكار الشعوب المستعبدة .

أما شعوب أمريكا اللاتينية فيجمعها وإيانا المعاناة من الاحتكارات التى يفرضها الاستعمار بوجهه الجديد لدينا والقديم فى بلادها .. تجمعنا الموارد

المستغلة وقوة العمل الرخيصة والأرباح المنهوبة لينعم بها شعب غير صاحبها .. ويظل شعبها يعاني من الحاجة والتخلف .. وتسببه غيره من بلاد الاستعمار بمئات أعوام من الحضارة المبنية على موارده وعلى قواه العاملة .

تلك هي الآلام التي تجمعنا بشعوب آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية .. أما الآمال فهي آمال في مستقبل مشرق نكافح معا من أجل تحقيقه وحياة كريمة نتلهم على أن نحياها ونمارس فيها قدرتنا على العمل في استغلال مواردها من أجل أنفسنا ومن أجل تقدمنا ورخائنا وازدهارنا .. ومن أجل أن نقطع أعوام التخلف لنلحق بركب الحضارة الذي سبقنا طوال فترة الاستعمار والاستغلال التي فرضت علينا وحرمتنا الحياة الحرة الكريمة . تلك هي وحدة الآلام والآمال التي تجمعنا والتي لا تفتأ تمزقها محاولات الاستعمار بالمؤامرات والحكومات التي تحاول أن تلوى عنق الشعوب إلى اتجاه غير اتجاهها الطبيعي في النمو والإرادة . ووحدة الآلام والآمال تحتاج إلى كفاح طويل لكي تزيل ألما أو تحقق أملا .. وهي تحتاج إلى معونة الأصدقاء الذين يمكن أن يعاونوا في تخفيف الآلام وتحقيق الآمال .

ولكنها مع ذلك وحدة عميقة ثابتة على الزمن .. مهما حاول الاستعمار أن يلوى عنقها بحكومات تعبر عنه أكثر مما تعبر عن شعوبها وهي وحدة مصير بين شعوب تشاركت في ماض أليم .. وتتعاون من أجل تحقيق مصير أسعد ومستقبل أفضل .

هؤلاء هم أصدقاؤنا وتلك هي أسباب صداقتهم .

ماذا إذن عن أعدائنا ..

وعن أسباب خصوماتهم .. كيف يمكن أن نتقيها أو نواجهها إذا لم نستطع اتقاءها .

أصدقاء لماذا ؟ وأعداء لماذا ؟

(٣) من نعاذى فى إسرائيل ؟

من هم أعداؤنا .

عدونا الأول .. بغير تردد هو إسرائيل ؟!

وعداوة إسرائيل لنا .. عداوة بالأصالة .. وبالنيابة .

بالأصالة عن نفسها .. وبالنيابة عن الاستعمار .

ولو أن إسرائيل .. مجرد قاعدة عدوانية استعمارية .. كبقية القواعد الاستعمارية .. لكان أمرها أيسر مما هو بكثير .. ولكن المصيبة هى أنها رغم استعمال الاستعمار لها كقاعدة استعمارية يضمن بها وجوده فى المنطقة .. فهى قبل هذا .. وأخطر من هذا وجود ذاتى عدوانى .. أوجدت نفسها بعدوان على الغير .. وأكسبت نفسها شكل الدولة فى هذه البقعة .. بفرض الأمر الواقع الناتج عن العدوان على أصحابها . وحتمت طريقة خلقها العدوانية .. التى أنبتتها فى حقل من الكراهية .. أن تقى نفسها بمزيد من العدوان المستمر .

وأصبح العدوان عنصرا من عناصر وجودها .. ونموها .. غير المحدود .. الذى تهفو إليه أحلام الصهيونية .. وتهيب له إمكانية التوسع .. الطاقة البشرية اليهودية التى يسعون إلى استيرادها بالتهجير من شتى أنحاء العالم .. ولا يبقى لتنفيذ النمو إلا مزيد من الأرض تقتضم من أرض العرب عليها تصل مع طول العدوان والتوسع ما بين النيل والفرات لتحقيق أحلام الصهاينة فى أرض الميعاد .

إسرائيل إذن .. بغير ما تردد ولا جدال .. هي عدونا الأول .
ولعل محاولة البحث عن أسباب عداوتنا لإسرائيل .. تصبح نوعا من
اللغظ والثرثرة .

ولكن مع ذلك يحلو للبعض أن يثيروا سؤالا .. من نخاصم في
إسرائيل . ولمن عداؤنا ؟

هل عداؤنا موجه إلى $\frac{1}{3}$ ٢ مليون عامل وفلاح الذين يطلق عليهم
صفة المستغلين المستعبدين من النظام الإسرائيلي العدواني ؟
أم هل يقتصر عداؤنا على النظام الإسرائيلي فقط ؟

ثم يجيبون على السؤال ببساطة وبتعميم سهل بأن عداؤنا ليس موجهها إلى
 $\frac{1}{3}$ ٢ مليون فلاح وعامل وإنما هو للنظام الإسرائيلي نفسه مستندي في
ذلك إلى المبدأ الذى يؤكد وحدة الطبقات العاملة فى العالم كله وأن
الخصومة لا يمكن أن تكون بين طبقة عاملة وطبقة عاملة فى وطن آخر وإنما
الخصومة بين الطبقة العاملة فى العالم وطبقة أخرى مستغلة فى العالم وأن
الصراع يجب أن يكون صراعا طبقيًا لا صراعا قوميا وأن الطبقات العاملة
فى النظام الرأسمالى لا يوجه إليها عدااء النظام الشيوعى وإنما يوجه إلى النظام
الرأسمالى نفسه الذى يستغل هذه الطبقة ويستعبدها .. والتطبيق المبسط
السهل لهذا المبدأ ينتج عنه النتيجة التى استقر عليها هؤلاء فى استنباط
خصومتنا مع إسرائيل .. ومن نخاصم فيها .. ومن نصادق .. وينتهى
تفكيرهم بمنطق يحتم أن عداؤنا لا يوجه إلى الطبقة الكادحة العاملة فى
إسرائيل وهى الـ $\frac{1}{3}$ ٢ مليون عامل وفلاح وإنما إلى النظام الإسرائيلى
(الرأسمالى بالطبع) الذى يستغل هذه الطبقة الكادحة من الفلاحين
والعمال اليهود جنبا إلى جنب مع العرب ..

وتمشيا مع هذا المنطق السهل يمكن لو سرنا به خطوة أخرى أن ننتهى إلى
أن مشكلة إسرائيل يمكن أن تحل بصراع طبقي داخلها وبأنه يكفى أن

تقضى هذه الطبقة الكادحة المكونة من ٢ مليون عامل وفلاح على نظام الحكم الإسرائيلي وتتولى هي الحكم حتى تنتهى المشكلة الفلسطينية ولا يعود هناك عداً بيننا وبين أحد فيها ما دام عداؤنا لم يكن موجهاً إلى الطبقة الكادحة المكونة من ٢ مليون .. بل هو موجه ضد النظام الإسرائيلي وما دام هذا النظام قد أسقطته الطبقة الكادحة التى ليس بيننا وبينها أى عداً .. إن الاستطرد المنطقى لتفكير هؤلاء الذين يؤكّدون أن عداًنا ليس موجهاً إلى ٢ مليون فلاح وعامل .. بل إلى النظام الإسرائيلى .. هو أنه إذا نزل هذا النظام وبقي الـ ٢ مليون فلاح وعامل فلن يكون عداؤنا موجهاً لأحد فى إسرائيل .

هل هذا صحيح ؟ .. بالطبع .. لا ..

ومع ذلك .. لست أريد أن أقيد بحث أسباب عداًنا لإسرائيل بمناقشة ذلك الرأى المستند إلى وحدة الجماهير المكافحة والذى يسهل بحسبة بسيطة كشف خطئه .. وإنما أريد مناقشة الأسباب بطريق أعم .
ولست أريد قبل أن استطرد فى المناقشة أن يفهم أننى أصر على عداً الطبقات العاملة فى إسرائيل .. أو فى أى بلد نخاصمه غيرها ، وإنما أصر على أن الطبقات العاملة فى أى بلد هى جزء من هذا البلد وأنها تخضع فى خصوصيتها أو صداقتها لأى طبقة عاملة فى أى بلد آخر .. لعلاقات بلدها بهذا البلد .. لأنها جزء من وطنها .. تحركها مصلحة هذا الوطن .. ويهددها ما يهدده .. وإذا أخضعتها الظروف لنظام مستغل مستعبد .. فهى وحدها القادرة على تغيير هذا النظام .. وعلى تشكيل علاقتها بغيرها من البلاد حسب ما تمليه مصلحتها الحقيقية .

وبالنسبة لإسرائيل .. لا يمكن أن تنكر أن طبقتها الكادحة العاملة قد ارتضت أن تضع نفسها فى موضع العدوان باحتلال أرض ليست لها منذ البداية .. وسلبت حقوق الغير وهم أيضاً طبقة كادحة عاملة .. واعتدت

على أمواله وعلى دوره وعلى حقوله وشرده ونكلت به .
وإذا كان النظام الإسرائيلي قد وضعها موضع المعتدى .. فعليها أن
تحتمل عدااء الغير لها .. فمن غير المعقول أن تسلم لنفسها بالاعتداء على
الغير ثم لا تتوقع منه العدااء .. أو الرد على العدوان ومحاولة استرداد الحق
المغتصب .. أما الادعاء بأنها طبقة مستغلة من النظام الإسرائيلي وأنها فعلت
كل ما فعلته مرغمة مستعبدة .. وأنها هاجرت من بلادها واستوطنت في
فلسطين .. وحملت السلاح واعتدت على العرب .. برغمها .. دون أن
تفكر في المقاومة أو في الثورة على هذا النظام فهذا يصبح نوعاً من
السخرية .

إن أكبر دليل على خطأ فكرة وحدة الجماهير العاملة .. ومحاولة تعميم
تطبيقها هو إسرائيل .. فمن غير المعقول بالمرّة أن نطلب من الكادحين
العرب المشردين ألا يوجهوا عدااءهم ضد الكادحين اليهود الذين احتلوا
أرضهم .

إن شعور العدااء .. شعور مكروه .. ولكنه حق للإنسان .. إذا ما
اعتدى عليه .

وعندما نخوض معركة .. لا يمكن أن نعفى جنود الخصم من عدائنا
بدعوى أنهم جماهير عاملة من فلاحين وعمال وبدعوى أن عداؤنا موجه
فقط للنظام الذى زج بهم في المعركة لأنهم استحقوا عداؤنا بمجرد نزولهم
أمامنا في المعركة واستعدادهم للفتك بنا .

والطبقة الكادحة في إسرائيل .. طبقة مجندة من أجل العدوان علينا ..
وهي قد اكتسبت عداؤنا بمجرد وجودها في إسرائيل كقوة معتدية ..
وباستمرار وجودها الذى يسلبنا حقنا في العودة إلى الوطن السليب ..
بحيث أضحى استردادنا لحقنا .. متوقفاً على عدم وجودها .. بعد أن
احتلت مكان مليوني عربي شردوا خارج أوطانهم .

(من وراء الغيم)

وأصبحت المعادلة الصعبة التي فرضتها علينا هذه الطبقة الكادحة ..
التي يفترض البعض أننا يجب ألا نوجه إليها عداونا .. هي إما وجودهم في
فلسطين أو وجودنا ..

إن الطبقة التي كان يمكن ألا نوجه إليها عداونا هي الطبقة الكادحة من
الفلاحين والعمال اليهود العرب والتي تبلغ نصف مليون كانوا يقطنون في
فلسطين إلى جانب العرب .. والذين كانوا يمكن أن يعيشوا كمواطنين
عرب في وطنهم العربي فلسطين كما كان يعيش غيرهم من اليهود العرب في
شتى البلاد العربية وكما كان يجب أن يعيشوا كمواطنين في بقية بلاد العالم
مع حصولهم على كل حقوق المواطن في بلده وبين قومه .

ولقد كان العرب أرفق باليهود من أى بلد في العالم ولم يوجه إليهم أى
نوع من العداا الذى وجهوه للعرب .. والذى ردوا به كل أنواع التنكيل
والتعذيب الذى أنزل بهم في شتى أنحاء العالم .

تلك هي الطبقة التي كان يمكن ألا نوجه إليها عداونا لو أنها استمرت
تعيش في سلام مع بقية المواطنين العرب .

أما وهذا لم يحدث .. وحدث أن تدفق مليوننا يهودى من شتى أنحاء
العالم .. فلاحين وعمالا وخلافه .. في عدوان وحشى على أرض فلسطين
وشردوا أهلها وسلبوا كل حقوقهم .. فمن غير المعقول ألا نوجه إليهم
عداونا .

والنتيجة !؟ .

هل نستطيع أن نعيدهم إلى بلادهم .

بوسائلنا الحالية .. لا ..

والعمل ؟.

أن نفهم بالضبط قدرتنا .. وعندما أقول نفهم أعنى كلنا .. وأن نضع
خططنا في العمل بحيث نستطيع وسائلنا تنفيذها .. وبحيث نضع لأنفسنا

ما يسمى بالهدف الرئيسى .. والأغراض الجزئية التى توصل بالتوالى إلى الهدف الرئيسى .. أو ما يسمونه بالأسلوب الحرى object and objectives ونحشد لكل غرض جزئى كل ما نملك من قدرة لتحقيقه . بحيث نبدأ بعد تحقيقه العمل على تحقيق الغرض الجزئى الذى يليه .. حتى نصل فى النهاية إلى غرضنا الأكبر وهو عودة شعب فلسطين إلى أرضه . يجب علينا ألا ندع ألسنتنا تسبق خطانا وأن نعامل إسرائيل كخصمنا الأول بالوجود العدوانى .. الذى سلب حقوقنا .. والتهديد التوسعى الذى يمكن أن يسلب مزيدا من هذه الحقوق .. بأسلوب واقعى عملى .. وأن نخطط أهدافنا بحيث نضمن تحقيق هدف كل مرحلة بما نملك من قدرة .. وبحيث نضمن الوصول إلى غرضنا النهائى الذى لا بد لنا من تحقيقه .. مهما صادفنا من عقبات .

إن علينا أن نخسر العدوان ونزيل آثاره أولا .
وأن نحصر إسرائيل فى النطاق الذى تمكنا قدرتنا عليه الآن .. بحيث نوقف تمددها وتوسعها وبحيث نثبت الكيان الفلسطينى بكل ما نملك من قدرة ونمنحه فرصة النمو .. بحيث توجد فلسطين .. وأن نحول اللاجئين من جزء مشلول إلى جزء نام يزيد من نمو الوطن الفلسطينى .
ويتحتم علينا لكى نعمل هذا أن نحدد لأنفسنا فى شجاعة .. الخطوط الواضحة التى يمكن أن تتحرك عليها القضية الفلسطينية .. بوسائلنا التى نملكها فى هذه المرحلة .. وفى كل مرحلة مقبلة .

وبعد هذا كله يبقى العمل الدؤوب المتواصل فى بناء الوطن العربى الأكبر .. المتكامل عسكريا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا والذى يمكن بوجوده واستمرار نموه أن يصد توسع إسرائيل وأن ينهبها إلى الضمور والذوبان .

وهنا تبدو قيمة الـ ٩٠ مليون عربى .. الذين يكونون الوطن العربى

الكبير القوى .. والذي يمكن أن يتضاءل إلى جانبه وجود إسرائيل حتى
ينعدم .

هذا هو عدونا الأول ..

وتلك هي أسباب خصومتنا له ..

ونحن لم نوجه عداً لأحد .. لا لطبقة كادحة يهودية ولا لنظام
إسرائيلي ..

ولنما الذي وجه إلينا العدا .. هو النظام الإسرائيلي بكل طبقاته
الكادحة وغير الكادحة .. بفلاحيه وعماله ومثقفيه وبكل الطبقات فيه .
ولم يكن أمامنا إلا أن نواجه العدا .. وسنظل نواجهه بكل ما نملك من
وسائل .. واقعية .. حتى نهييه .

إنه مصيرنا العربي .. والذين يقولون إن إسرائيل وجدت لتبقى ..
يجب ألا ينسوا أن الشعب العربي الباقي على الزمن والذي استطاع صد كل
الغزاة العادين والخلاص منهم على مدى التاريخ لن يعجز عن صد عدوان
إسرائيل على الأرض العربية وخلاص الوطن العربي منها .

أصدقاء لماذا ؟ وأعداء لماذا ؟

(٤) أمريكا بين العداء والصداقة

من هو عدونا بعد إسرائيل .. وما هي صلته بإسرائيل .. وصلة إسرائيل به ..

ثم هل هو عدونا بعد إسرائيل .. أم قبل إسرائيل ؟
من الناحية الزمنية .. أن عداوة الاستعمار لنا وجدت قبل وجود إسرائيل ..

ومن ناحية الأصالة في العداوة .. والخطورة .. والاستمرار .. تجيء عداوة إسرائيل في اعتقادي .. قبل الاستعمار .

وأخطر ما في إسرائيل .. هو أن مجرد وجود إسرائيل كتجسيد لأمانى الصهيونية وتنفيذ لخططها ذات المطامع التوسعية يشكل عدوانا واقعا مستمرا على العرب .. وأن عداوتنا لإسرائيل معادلة مستحيلة الحل متزايدة التعقيد ناتجة عن تصدير مليوني يهودي احتلوا مكان مليون عربي وسلبوا وطنهم ودورهم وأموالهم وممتلكاتهم والطموح في تصدير المزيد من اليهود وتشريد المزيد من العرب وسلب المزيد من أراضيهم وأصبحت المشكلة كلعبة الكراسي الموسيقية .. لا بد لأحد اللاعبين أن يطرد الآخر لكي يجلس .. ولقد احتل اليهود كرسى فلسطين واستمر العرب في وقفهم المشردة تمر بهم السنون في انتظار العودة والاستقرار على مقعدهم الذي سلبه منهم اليهود .

وعندما يقول العرب أنهم يريدون وطنهم السليب .. يعنى هذا

بداهة .. أنه لا بد أن يسترد هذا الوطن من مقتصبه .. ويصبح السؤال هل يتنازل اليهود عما اغتصبوه ليعيدوه إلى أصحابه الأصليين .. وهل يقبل اليهود إعادة السكان الزائدين إلى أوطانهم الأصلية .. وبالتالي وقف الهجرة التي تزيد المشكلة تعقيدا .

هل يمكن أن يتناول اليهود المشكلة تناولا إنسانيا بالنسبة للعرب وحقهم في وطنهم .

طبعاً لا .. لأنهم من البداية فرضوا وجودهم بالعدوان وليس بالحلول الإنسانية .. وهم يستمرون في فرض الواقع بمزيد من العدوان .. ولقد سبق لوزير الخارجية البريطانية أن قال إن وجود إسرائيل لا يمكن أن يستند إلى القوى العسكرية .. ولكن الذي حدث ويحدث هو أن وجودها والحفاظ على هذا الوجود لم يكن في لحظة من اللحظات يستند إلا إلى القوة العسكرية .. لأنها لا تستطيع أن تبقى لحظة بغيرها .. لأنها سارقة .. ولأن صاحب الوطن المسروق .. يقف متربصاً .. لاستعادة حقه .. مهما طال الزمن .. بل إن الزمن يزيده إحساساً بحقه المسروق .. وكراهية وحقداً على السارق الذي ما زال يواصل احتفاظه بالسرقة .. بالقوة المسلحة والعدوان .

فعداؤنا لإسرائيل .. مزمن .. لا حل له .. وأسلوب إسرائيل لحله بالقوة .. قد يهيئ لها الاستقرار إلى حين .. ولكنه استقرار الجالس على لغم الكراهية .. يهدد بالانفجار في أية لحظة .. وما أظن فرض الاغتصاب بالقوة كان في التاريخ وسيلة لإقرار هذا الاغتصاب .

وعداؤنا لإسرائيل .. لا حيلة لنا فيه .. لأنه مفروض علينا .. باغتصاب حق .. لا يراد له رد .

والطريقة الوحيدة لزوال عدائنا لإسرائيل . هي عدم وجود إسرائيل .. كمجسد للتخطيط الصهيوني بالعدوان .. لأن هذا الوجود

يعنى اغتصاب الوطن الفلسطيني وتشريد أهله .. وهذا الاغتصاب لا يمكن أن يعنى إلا عداونا الدائم لإسرائيل .

نحن سنظل أعداء لإسرائيل .. حتى تقبل الحل العادل .. وهو عودة الشعب الفلسطيني إلى وطنه ووجود فلسطين العربية .. ولست أدري بعد ذلك .. كيف ستصبح إسرائيل وأين ، حتى لا نوجه إليها عداونا .

أما الاستعمار .. وهو يحتاج إلى شيء من التفصيل .. والتفصيل .. فهو رغم شموله للمعسكر الغربى الرأسمالى .. فإن هذا المعسكر قد أخذ يتفتت بحيث يتحتم تناول كل جزء منه على حدة .. ففرنسا التى أصبحت صديقا لنا والتى وقفت بوضوح إلى جانبنا رغم وجودها فى المعسكر الغربى الرأسمالى .. لا يمكن شمولها بأوصاف الاستعمار كتعميم .. وبريطانيا لا يمكن أن توضع كمستعمر .. فى نفس الوضع الذى توضع فيه أمريكا .. وفارق بين مستعمر آفل .. ومستعمر مستجد .. وعداؤنا للاستعمار بصفة عامة لا يحتاج إلى جهد فى الشرح .. فهو ببساطة عداا المستعبد .. لواضع القيد فى رسغه .. وعداء المستغل لناهبي رزقه .

وتاريخ كفاحنا ضد المستعمر البريطانى — قمة الاستعمار القديم — تاريخ طويل .. منذ عراى إلى عبد الناصر .. ولم ينه إلا الكفاح المسلح الذى خضناه ضد قاعدته فى القناة قبل الجلاء وضد عدوانه على بورسعيد بعد تأميم القناة .

ولقد كسرنا بكفاحنا كل قيد حاول أن يضعه فى أيدينا .. ومارسنا حريتنا السياسية والاقتصادية واستطعنا أن نسير خطوات حثيثة فى بناء اقتصادنا القومى .

ولقد استمر العداا القديم بيننا وبين المستعمر البريطانى لوقوفنا مع الدول المناضلة التى عانت ما عانينا من ذل الاستعمار واستغلاله واستمرت خصومته لنا لتأييدنا لكفاح الشعب العربى فى جنوب اليمن .

ورغم استمرار أسباب العداء مع الاستعمار البريطاني فهو في نظري ليس عداء مؤبدا ولا مستعصى العلاج .. لأن الاستعمار البريطاني بحكم التاريخ وبحكم كفاح الشعوب آخذ في الذوبان .. ونحن لا نعادي بريطانيا بقدر مانعادي الاستعمار البريطاني .

ويبقى بعد ذلك من عدائنا لبريطانيا .. العداء القائم على صلتها بإسرائيل .. كعدو أصيل لنا .. وعلى مسئوليتها أولا عن وجودها .. وعن استمرار تأييدها معنويا وماديا .. ومدتها بالسلاح .
وتصبح إسرائيل بذلك — بفرض انتهاء خصومتنا الأصلية مع بريطانيا إذا ما انتهت كقوة مستعمرة — هي السبب الباقي لعدائنا لبريطانيا .. فصديق عدونا لا يمكن أن يكون إلا عدوا لنا ..

وإذا كانت بريطانيا حقا جادة في إنهاء استعمارها وتصفية موقفها كدولة مستعمرة فإنها يجب أن تفعل ما فعلته فرنسا من التخلي عن تأييد إسرائيل لأن استمرار تأييدها والوقوف إلى جانبها .. هو استمرار لوجودها الاستعماري في المنطقة .. ولن يكون هناك أمل في كسب صداقة العرب وإنهاء حالة العداء معهم .. ما بقي تأييدها لإسرائيل ومساندتها لها .

ونحن يجب ألا نكون هواة عداء .. ويجب ألا نستمر في خصومتنا لأحد بحكم العادة .. أو بوهم وجود أسباب قديمة يمكن أن تكون قد زالت أو يمكن أن نعمل على زوالها .

وموقفنا من بريطانيا .. كما يمكن أن يكون موقفنا من أية دولة أخرى وعلى سبيل المثال الواضح الواقعي كما كان موقفنا من فرنسا — لا يمكن أن يكون إصرارا على خصومة زالت أسبابها .. أو حتى خصومة يمكن أن نزيل أسبابها .. لأن الأصدقاء كما قلت في أول الحديث منابع الربح في الحياة .. والأعداء مصادر الخسارة فيها .. وإذا كان من الممكن تحويل

العدو إلى صديق .. فالحمقى والمغرورون هم الذين لا يقدمون على هذا ..
يبقى بعد ذلك موقفنا من أمريكا .. التي قدمت لنا عداؤها .. بطريقة
سافرة أليمة .. توغر الصدور .. وتملأ النفوس مرارة ..

ومهما قيل عن موقف أمريكا في خصوماتها في العالم .. وأسباب هذه
الخصومات .. ومهما قيل عن دورها الاستعماري الجديد في أمريكا
اللاتينية .. وعملها العدائي السافر في فيتنام .. ومؤامراتها التي تحركها
مخابراتها لقلب نظم الحكم المعادية لها في البلاد الإفريقية والآسيوية .

ومهما كان موقف أمريكا يشكل بصفة عامة موقفا استعماريًا عدائيًا
للشعوب المناضلة .. ومهما كان من شمول موقف أمريكا العدواني العام
للشعوب المتحررة الثائرة على الاستغلال والاحتكار .. حيث يمكن أن
نضع عداؤها لنا .. ضمن موقفها العام من الشعوب المكافحة من أجل
تحقيق حريتها وبناء مجتمعها الاشتراكي باعتبارنا في معسكر الشعوب
المناضلة قاعدة للتحرر ومنطلقًا للعمل الثوري الاشتراكي .. مهما كان
من كل هذه الحقائق فإن علينا .. أن نبحث على حدة .. الأسباب المباشرة
لعدائنا لأمريكا .. التي أعتقد أن أولها .. موقفها من إسرائيل .

وسواء كانت إسرائيل .. قاعدة عدوانية استعمارية أمريكية أو
كانت .. إسرائيل .. تسيطر على إمكانيات أمريكا المادية والدعائية
والانتخابية .. وتستغلها لصالحها .. فالنتيجة النهائية — هي أن أمريكا
بكل إمكانياتها .. تقف وراء إسرائيل ..

لا يهم من يحرك من .. ولا من يسيطر على من ..
المهم أننا نرى إسرائيل أعدى أعدائنا .. وأخطرهم علينا مرتبطة
ارتباطًا كاملاً .. بأمريكا .. بحيث لا ينطبق هنا مجرد القول بأن صديق
عدونا .. عدو لنا .. بل ينطبق عليه .. أن عدونا في إسرائيل .. يقطن
بعضه في إسرائيل .. وبعضه في أمريكا .. وأن علينا أن نواجهه في

إسرائيل .. وفي أمريكا .. معا ..
ولقد ثبت أن أمريكا .. يمكن أن تبيع كل صداقات العرب من أجل
إسرائيل .

ومن الخطأ أن نقول إن تأييد أمريكا لإسرائيل وخصومتها للعرب نابعة
من طبقة معينة .. أو من فئة معينة أو أن سببها مصادر الدعاية التي تسيطر
عليها إسرائيل .. لأن هذه المصادر والأدوات .. قد أفلحت فعلا في عمل
ما نسميه عملية مسح المخ الأمريكي بواسطة إسرائيل ضد العرب بحيث
أصبح العداء للعرب هو الشعور الأغلب في أمريكا وبحيث أصبح
الأمريكي أحد ثلاثة .. إما ضدنا .. أو لا يعرف شيئا عنا .. أو — وهم
القلة — يعطف علينا ولكن لا يعرف كيف يدافع عنا .

والتساؤل الذي يمكن أن يثار هنا .. بحكم كوننا لا نريد خصومات ..
يمكن أن نكون في غنى عنها .

هل يمكن حقيقة اكتساب صداقة أمريكا .. مع وجود إسرائيل ..
بموقفها العدواني .. المتجبر المعتمد أولا وآخرا على قوة أمريكا وتأييد
أمريكا .

أم إن علينا أن نعتبر عداء أمريكا .. كعداء إسرائيل .. عداء مؤبدا ..
وأن علينا أن نواجهه .. بوحدتنا .. وبنمو قوتنا الذاتية .. وبوجود
الدولة العربية الكبرى التي يجب أن نشابر على بنائها المتكامل بكل ما نملك
من جهد وإيمان ؟

إنى أو من بأن هذا هو السبيل إلى مواجهة أعدائنا .. في كل مكان
وزمان لكي نحرر وطننا العربي كله من الوجود الإسرائيلي الاستعماري .
على أية حال .. إن علينا دائما أن نشابر على كسب الصداقات .. فما
نكسبه من الصداقة في مرحلة يمكن أن يعيننا على خصومة لا يمكن تجنبها في
مرحلة أخرى .

وكما قلت .. يجب أن نتعامل في كل مرحلة .. بالوسائل التي تيسرها هذه المرحلة .. وألا نظل نحلم بهدف كبير لا نهىء له الوسائل التي نملكها .. ونظل نحيا بأحلام كبار .. عاجزين عن أن نخطو إليها .. لأن وسائلنا لا تمكننا إلا من أهداف أقل .. ونحن لا نريد سوى الأهداف الكبرى .. حتى يضيع العمر ونحن في أماكننا نحلم ولا نتحرك خطوة نحو تحقيق الهدف الأكبر .

وبعد ..

فهذه خواطر .. عن صداقتنا وعداوتنا ..

ومحاولات لتحليل أسبابها .. ولعلها تكون كما قلت مفيدة — في محاولتنا لتقدير موقفنا — لنفيد من صداقة أصدقائنا .. ولنكتسب أصدقاء جددا .. ولنواجه خصومة الأعداء الذين نعجز عن تحويلهم إلى أصدقاء .. إننا بكفاحنا من أجل تحقيق الحرية والأمان والرخاء لشعبنا العربى وإيماننا بأن الاشتراكية هى السبيل الإنسانى لتحقيق الكفاية والعدل .. وبكياننا العربى الكبير وبيدنا فى أيدي الأصدقاء الذين منحونا العون بغير قيود تثقل كواهلنا وبكل ما نملك من قدرة على كسب مزيد من الأصدقاء ، نتقدم إلى المستقبل وملء نفوسنا الثقة والأمل فى حياة ملؤها الرخاء والخير والحب والسلام .

الحقيقة .. من أفواه الأعداء

(١) حاربنا .. بوحشية !

مع التسليم بكل أخطائنا التي نتجت عنها النكسة .. سواء كانت أخطاء واقعية واضحة أو أخطاء يتحتم علينا أن ننقب عنها لكي نوجد مبررا للهزيمة .. (ولو كان النصر حليفنا .. لكانت هي بذاتها من أسبابه) .. كما يقول الشاعر :

والناس من يلقي خيرا قائلون له

ما يشتهي ولأم المخطيء الهبل

مع التسليم بسلسلة الأخطاء التي يتحدث عنها الجميع .. والتي بدأ بعضها يظهر على صفحات الصحف .. وما زال الجزء الأكبر يدور على الألسنة .

مع التسليم بكل هذه الأخطاء .. أو الخطايا .. أحس بشيء يقف كاللقمة في الزور .. لا أستطيع ابتلاعه .. هو قدرتنا على القتال .. أو قيمة المصري كمقاتل ..

ولقد كتبت من قبل عن محاولة العدو إظهارنا للعالم بمظهر غير المقاتلين وأن جيشنا فر أمام القوات الإسرائيلية .. ورحنا نحن أنفسنا .. نطلق التشنيعات على أنفسنا .. على قدرتنا في الجرى .. وبقية هذه النكت السمجة البلهاء التي تعودنا أن نتدربها في مجالسنا .

ولقد كتبت أقول إننا يجب ألا نضع أنفسنا حيث يريد العدو أن يضعنا .. وكتبت في مرارة عن هذه النكت العجيبة التي نطلقها على

أنفسنا .

ولعل ما كتبته وقتئذ بدا نوعا من الحماس الوطنى .. أو هو ميل لا إرادى إلى الجيش الذى خدمت به عشرين عاما من لب عمري .. أو هو إحساس بما يسمونه (Esprit de corps) أو حب الوحدة .. وأيا كان السبب .. فلقد قلته وأنا مؤمن أشد الإيمان بقدرة جيشنا .. وبقوة المقاتل العربى .

ولقد بنيت تقديرى على ما نعرفه من معلومات عامة عن المعركة .. ومعلومات خاصة استطعت أن ألمها من هنا ومن هناك .. وعن تصور شخصى لما يمكن أن يكون قد حدث مما لم أستطع أن أعرفه .
ولقد استطعت أن أحدد أيضا .. مما عرفت وما تصورت .. الأخطاء التى كانت (بالإضافة إلى الظروف الخارجة عن إرادتنا سواء كانت من صنع البشر أو من صنع القدر) سببا فى النكبة التى نزلت بنا .
والحديث الصريح المخلص عن هذه الأخطاء حديث طويل يحتاج إلى إسهاب فى الشرح .. (وقد تتاح لنا الفرصة لتناوله تفصيلا فيما بعد .. ولكن ما أود أن أؤكد هنا .. هو — كما سبق أن قدمت للحديث — أنه مهما قيل عن هذه الأخطاء .. سواء كانت سياسية أو عسكرية .. وسواء كانت استراتيجية أو تكتيكية .. وفى الإعداد للمعركة أو خوضها .. فلن يكون من بين هذه الأسباب أبدا .. قدرتنا كمقاتلين .. ولن يكون بينها أبدا .. أننا هربنا من مواجهة الجيش الإسرائيلى .
وإنما أكتب هذه المرة لأعيد ما قلت .. مبينا على وجهة نظر العدو فى المعركة التى خاضها ضدنا .

ووجهة النظر هذه قد وضحت بصراحة .. فى كتاب حرب الستة أيام .. الذى لا يعتبر تقييما للمعركة بقدر ما يعتبر وصفا لها من جانب واحد .. استقى مؤلفاه معلوماتهما عنها من أحاديث وتصريحات ويوميات

حرب لقادة إسرائيل .

وإذا كان هواة التكذيب والتشكيك .. يستطيعون أن يتهموا الذين يدافعون عن قدرة الجيش المصرى .. باختلاق وسائل الدفاع وفبركة الدعاية .. فلست أظن مؤلفى كتاب حرب الـ ٦ أيام .. ولا أظن القادة الإسرائيليين يمكن أن يكونوا قد تطوعوا للدعاية للجيش المصرى والدفاع عنه .

ولعل هؤلاء .. يسلمون بقدرة الجيش المصرى .. مستقاة من أفواه .. القادة الإسرائيليين .. ينقلها عنهم — فيما أعتقد بأمانة — ابن تشرشل وحفيده .

وقبل أن أذكر وجهة نظر قادة جيش العدو .. فى جيش عدوهم .. أحب أن أقسم المعركة إلى ثلاث مراحل زمنية ونوعية فى نفس الوقت . المرحلة الأولى : وهى مرحلة الهجوم الجوى الخاطف الذى قام به السلاح الجوى الإسرائيلى بتصفية السلاح الجوى المصرى وهو على الأرض .. ومهما قيل من الأسباب التى أدت إلى هذه العملية التى قررت مصير المعركة بعد ساعات من نشوبها ، فإنها لا يمكن أن تعتبر معركة فعلية .. بين قوات سلاح الجو الإسرائيلى وقوات سلاح الجو المصرى .. وإنما كانت بين سلاح الجو الإسرائيلى .. والطائرات المصرية .. راقدة على الأرض .. لم تكن هذه المرحلة معركة .. وإنما كانت ضربة تدميرية لسلاح الجو المصرى .. حتى يخرج من المعركة قبل بدئها .. ولقد بدأ الإعداد لهذه المرحلة .. بعد معركة السويس مباشرة .. وجهاز السلاح الجوى الإسرائيلى (حسب ما جاء على لسان وايزمان مهندس سلاح الجو الإسرائيلى فى كتاب حرب الـ ٦ أيام) تسليحا وتدريباً لمدة تسع سنوات على أساس القيام بهذه العملية التى لم تستغرق سوى بضع ساعات .. فى الوقت الذى وجهت مخبرات إسرائيل كل جهدها لكى تعطى للسلاح

الجوى الإسرائيلى صورة واضحة عن أرض العمليات التى سيقوم فيها بضربته .. وعن السلاح الذى سيوجه إليه ضربته لكى يقضى عليه قبل بدء المعركة .

وفى هذا المجال يقول هود قائد السلاح الجوى الإسرائيلى :
« كانت معلومات المخابرات الإسرائيلىة عن تحركات طائرات سلاح الجو المصرى ونشاطه وأماكن قواعده والتفاصيل الدقيقة حولها وعن أماكن وجود طائراته وعن أماكن أجهزة الرادار وقواعد الصواريخ على درجة عالية من الامتياز » .

تلك هى صورة المرحلة الأولى من المعركة .. وهى لم تكن معركة بقدر ما كانت تطبيقا عمليا لإعداد استمر تسع سنوات .. ساهم فيه الطرفان بكل التسهيلات الممكنة للتطبيق .. بحيث جاءت نتائجه — كما يقول خصمنا — فوق ما كان يتصور .

وكما قلت .. مهما كان من أخطائنا .. التى تسبب عنها تمكن إسرائيل من إنزال الضربة القاصمة بسلاحنا الجوى .. قبل المعركة .. وبغير معركة .. فإننا لا يمكن أن نضع فى حساب هذه الأسباب .. عجزنا عن مواجهة السلاح الجوى الإسرائيلى .. أو عدم قدرتنا فى قتاله .

وبعد هذه المرحلة .. التى تصيد فيها العدو سلاحنا الجوى وهو رابض على الأرض .. وقضى عليه قبل أن تبدأ المعركة .. ودون أن يخوض معركة .. تجيء المرحلة الثانية .. وهى .. مرحلة المواجهة الفعلية بين قوات إسرائيل البرية وقواتنا البرية .. والتى بدأت فى اليوم الأول للمعركة .. ونشبت قبل أن يدرك أحد الطرفين شيئا عن نتيجة الضربة الجوية التى أنزلت بسلاحنا الجوى .. وانتهت ببدء المرحلة الثالثة .. التى أصبحت قواتنا البرية تواجه فيها قوات العدو البرية معززة بكل قواته الجوية .. دون أن تملك هى طائرة تحلق فوقها .. وكان عليها أن تعود

القهقري عبر صحراء سيناء .. بقوات العدو الجوية فوق رأسها وقواته البرية في أذيالها .

المرحلة الثانية إذن .. هي التي يمكن اعتبارها .. معركة حقيقية .. يمكن أن يوزن فيها طرفا القتال .. لمعرفة ثقل كل منهما الصافي في المعركة .. وقيمته في القتال .. ففيها يقف الطرفان لمواجهة أحدهما الآخر — لوقت ما .. طال أو قصر — بقدرته الحقيقية على القتال .. مجردا .. من امتياز حصل عليه في المرحلة الأولى نتيجة لتحضير تسع سنوات لعمل بذاته .. ولتقصيرنا خلال هذه السنوات التسع في الاستعداد لمواجهة هذا العمل .. ومن امتياز حصل عليه في المرحلة الثالثة .. وهو مواجهة الآخر بسلاح جوى .. مع حرمان الطرف الآخر من كل قطعة منه .

ما الذي حدث في المرحلة الثانية .. التي واجه الطرفان فيها أحدهما الآخر .. مجردين من أية مزايا .. لا دخل لهما في وجودها أو الحرمان منها .

الذي نقوله نحن عما حدث في هذه المرحلة .. قد يكون — كما قلت — غير مقبول من هواة التكذيب والتشكيك .. لندع إذن خصمنا يروى ما حدث فيها .

يقول قواد الخصم عما جرى في هذه المرحلة من المعركة ما يلي :
« في الساعة ١٥, ٨ يوم ٥ يونية تلقت القوات البرية الإسرائيلية الأوامر التي طال انتظارها من القيادة الجنوبية ببدء الهجوم .. وكانت الموجة الأولى من الهجوم الذي قامت به طائرات إسرائيل قد انتهت وكان جزء كبير من طائرات مصر قد تم تدميره بالفعل ولكن أحدا من القوات البرية من الطرفين لم يكن يعرف شيئا .

تقدم اللواء الشمالى بقيادة تال رغم قصف المدفعية والمدفعية المضادة للدبابات التي كانت تنزل على قواته بشدة .. إلى خان يونس .

وفي اللحظات الأولى تم تدمير ٦ دبابات إسرائيلية .. ولكن التقدم إلى داخل خان يونس لم يتحقق إلا بعد أن دفعت القوات الإسرائيلية ثمنًا باهظًا من أرواح رجالها من بينهم ٣٥ من قواد الدبابات أحدهم برتبة قائد كتيبة . وفي نفس الوقت كان لواء الدبابات الثاني التابع لتال يتقدم جنوبى رفح للالتفاف حول الاستحكامات الدفاعية وحقول الألغام المصرية .

وقد تكبدوا في التفافهم خسارة ٥٠ شخصا وعندما أرسل القائد الإسرائيلي طائرة هليكوبتر لنقل المصابين واجهتها المدفعية المصرية بقصف شديد .. واكتشفت القيادة الإسرائيلية أن هناك لواء مصريًا مازال قابعا في استحكاماته فقرر قائد اللواء الإسرائيلي ومعه كتيبة دبابات شن هجوم على التحصينات المصرية . وكان الظلام قد بدا واستمرت المعركة ساعتين وسط الظلام .. وحارب المصريون بوحشية .. وخسر اللواء سبعين قتيلًا وأضعاف هذا العدد من الجرحى .

وفي فجر الثلاثاء استطاع الجنرال تال دخول العريش بلواءين مدرعين بعد معارك عنيفة في بير لحفان وجردة وصفها تال بأنها معارك وحشية وقال إن قوة المدفعية المصرية المضادة للدبابات ودقة إصابتها للهدف سببت متاعب هائلة لقواته .

وإن المدفعية المضادة للدبابات التي كانت تختبئ بين الكثبان الرملية في نظام دقيق كانت تضرب الدبابات الإسرائيلية بشدة وكانت طلقاتها أشبه بموجات الرعد على طول جبهة المعركة .. وكان من المستحيل أن تعرف أين توجد مواقع هذه المدفعية .

وكان التفوق الجوى الذى حققته طائرات السلاح الجوى الإسرائيلى خلال الساعات الأولى من الحرب هو العامل الوحيد الذى ضمن تقدم القوات الإسرائيلية من رفح إلى العريش .. وحتى في الساعات الأولى من صباح الاثنين حين كانت طائرات إسرائيل مشغولة بتدمير السلاح الجوى (من وراء الغيم)

المصرى كانت القوات البرية الإسرائيلية تستنجد بطائرات السلاح الجوى
الإسرائيلى لتساعدها فى ضرب مواقع العدو التى تبدى مقاومة شديدة .
هكذا يصف قادة إسرائيل المرحلة الحقيقية من القتال الذى نشب بين
الجيش المصرى والجيش الإسرائيلى .. والناقل عنهم هو ابن تشرشل
وحفيده ، اللذان استقيا كل معلوماتهما لكتابهما عن المعركة من مصدر
واحد .. هو قواد إسرائيل .

ولعل فى هذا الاعتراف .. الذى ذكر فى وصف مرحلة القتال
الحقيقية .. وسط سلسلة من التفاخر بالمرحلة الأولى التى قضى فيها على
سلاحنا الجوى .. نتيجة أشياء كثيرة جدا .. غير التفوق فى القتال ..
والمرحلة الثالثة التى وصفها أحد قوادهم بأنها كانت هزيمة لقوات لا تملك وقاية
نفسها .

ولعل هذا الاعتراف .. يعطى تقييما حقيقيا لقواتنا افتقدناه وسط
سلسلة الأكاذيب والنكات التى أطلقت على جيشنا .. وعاوننا نحن دون
أن ندرى .. عدونا .. فى وضع جيشنا فى الوضع الذى يريد .. لا الوضع
الذى يجب أن يكون فيه .

وأخيرا .. إننا نؤمن بقدرة قواتنا المسلحة .. رغم كل الأخطاء
والأقذار التى وضعتنا فى وضع جارح أليم .. ونؤمن بأن الجرح آخذ فى
الاندمال .. وأنها رغم كل ما حدث .. درعنا القوية .. ووجهنا المقاتل
القادر الشريف .

أقول هذا ليس بدافع من السنين العشرين التى تمثل زهرة عمرى ،
والتي قضيتها أرتدى — فخورا — الكاكي .. ولكن لأنها الحقيقة .. من
أفواه أعدائنا .

الحقيقة .. من أفواه الأعداء

(٢) كارثة كادت تحل بإسرائيل

كلما قرأت مزيدا من التفاصيل عن معركة سيناء .. أحس بألم ينكأ القرح .. ويدمى الجرح .
ومع كل ما أشعر به من ألم .. يملأ نفسي نوع من الارتياح .. لأن شيئا مما يقال .. سواء من أفواه الأعداء أو الأصدقاء .. لا يمس كفاءتنا .. كمقاتلين أو قدرتنا كقوة مسلحة .
وإذا كانت النكسة .. ومرارتها .. والصمت الذى أطبق الشفاه بعدها .. لم يدع للمرء فرصة معرفة الجوانب المضيئة من صفحاتها .. وإذا كانت النتيجة العامة للمعركة ، قد نشرت ظلالا من الحزن تطوى كل ما قامت به قواتنا من أعمال رائعة .. ولا تدع للإنسان فرصة الزهو بها .. وسط أوجاع الهزيمة .
وإذا كنا نكره .. أن نتفاخر ببطولات .. لم نستطع أن تقودنا إلى النصر .
فليس أقل من أن ننصف أنفسنا .. بكلمات .. لم نقلها نحن لنريح أنفسنا .. ولكن قالها الغير .. دون أن يضع مسألة إراحة قلوبنا .. وإنصافنا فى حسابه .
ولقد سبق أن تحدثت عما قاله الأعداء عن قواتنا المسلحة فى مرحلة الصدام الحقيقى بيننا وبينهم .. بعد أن اعتبرت مرحلة الهجوم الجوى المخاطف على قواعدنا الجوية مرحلة تمهيدية للمعركة .. أصابت سلاحنا

الجوى بضربة قاضية دون معركة .. واعتبرت المرحلة الثالثة انسحابا مريرا
بمدرعات العدو حولنا وفي أذيالنا .. وسلاحه الجوى على رءوسنا المتقهقرة
بغير غطاء .

ولقد التقطت أقوال العدو .. بغير نقاش .. واعتبرتها الحد الأدنى لما
يمكن أن ننصف به .. في معركة معنا .
وقد قرأت ما كتبه مجلة دير شبيجل (التى تصدر فى ألمانيا الغربية)
عن معركة سيناء .

وقفز إلى ذهني وأنا أقرأ ما كتبه المجلة .. المعلومات التى كنا نلتقطها
من هنا وهناك والمعركة لم يهدأ غبارها بعد .
ولكن ما كتبه المجلة الألمانية .. يلقي كثيرا من الضوء على الحقائق التى
كانت تبدو باهتة .

وإذا كنا نحن .. لا نستطيع وسط آلام النكسة .. أن نزيح عنها الظلال
الحزينة لنبدى بعض جوانبها المشرقة .. وإذا كنا .. وسط الصمت الذى
أطبق شفاهنا .. نكره أن ننسب بوضع كلمات طيبة عن أنفسنا .. فليس
أقل من أن نسمعها من شفاه الغير .. لعلها تنصفنا .. على الأقل أمام
أنفسنا .

تقول مجلة دير شبيجل فى وصف المعركة :

« فى الساعة العاشرة صباحا يوم ٥ يونية كانت القوات المصرية المدرعة
المكونة من ٢٠٠ مدرعة ثقيلة و ٨ آلاف جندي قد توغلت إلى مسافة ٨ كم
داخل خط الدفاع الإسرائيلى الأول ، كانت هذه القوات تتقدم بدون
حماية جوية ولكن هذا العامل لم يشكل أى عائق حتى لقد نصح قائد هذه
القوات بإعطاء الغطاء الجوى لمنطقة غزة بدلا من قواته المتقدمة . وكان
كل ما طلبه من القيادة هو تموينه أثناء الليل بألف طن من الذخيرة والوقود
ليواصل اندفاعه نحو جنوب البحر الميت ..

أما قائد القوات الإسرائيلية في إيلات فقد استنجد بالقيادة العامة والاحتياطي الذي كان محتشدا في شمال الكونتيلا قائلا إن الدبابات الأمريكية تحترق كالورق أمام نيران الدبابات السوفيتية الثقيلة وأنه فقد أغلب مدرعاته وهو يحاول مهاجمة القوات المصرية .

وكانت القوات المصرية لا تزال تواصل تقدمها بغير مشقة ولقد حاولت قوات المظلات الإسرائيلية وفرقة خفيفة أن تهاجم القوة المدرعة من الجناح الأيمن في الساعة الواحدة بعد الظهر . وبعد معركة خاطفة انسحبت بعد أن فقدت معظم عرباتها وأسلحتها .

وخلال هذه الفترة كانت القوات الإسرائيلية تهاجم بنجاح خان يونس جنوب غزة وتمكنت من فصل قطاع غزة ومنع تموينه واستطاعت سرية من المدرعات الإسرائيلية دخول خان يونس في الساعة الثالثة بعد ضرب شديد بالمدفعية الثقيلة والطائرات . وفي الساعة الخامسة أرسل المصريون ٨٠٠ جندي مسلحين بأسلحة خفيفة إلى المدينة حيث استطاعوا بعد معركة رهيبة طرد اليهود من البلدة .

ولم يمكن تموين القوة المصرية المتوغلة في خط الدفاع الإسرائيلي بالبترول لمواصلة اندفاعها نحو جنوب البحر الميت . لقد كان من المؤلم أن يتوقف جيش عرني عن التقدم لحاجته إلى سائل تعيش البلاد العربية كلها فوق بحيرة منه !!

وكان موسى ديان قلقا في ذلك الوقت لأن القوات المصرية المدرعة التي اخترقت صحراء النقب . والقوات الأخرى التي بدأت التوغل في جبهة الكونتيلا كانت تهدد بتطويق نصف الجيش اليهودي لو حصلت على كفايتها من الذخيرة والوقود .. وكادت الكارثة أن تحل بالقوات الإسرائيلية عندما أحيطت الفرقة المدرعة السادسة الإسرائيلية وتحطم نصفها بواسطة القوات المصرية .

وفي أثناء الليل حاول رجال الفرقة المدرعة المصرية الاقتصاد في الوقود بتحديد تحركاتهم وأخذ الجنود المصريون يسحبون البترول من خزانات سيارات العدو المهجورة . لينقلوها إلى دباباتهم التي تستهلك ٩٠٠ لتر من البترول في الساعة .

وفي الساعات الأولى من صباح يوم ٦ يونية كان الجيش المصري ما زال مرابطا داخل إسرائيل وكانت طلائعه تكاد تقسم إسرائيل إلى شطرين . ومع كل هذه العقبات فشل الجيش الإسرائيلي في اختراق الجبهة عندما هاجم ليلا . وقد سمعت أحد الجنود الإسرائيليين وهو أمريكي الأصل يتعجب من روح الجندي العربي قائلا : « إن أى جندي في العالم يجد نفسه دون ذخيرة لا يملك إلا التسليم ولكن يبدو أن الموت عند العرب لا يعنى شيئا أكثر من دخول الجنة » .

وبعد ..

ذلك هو بعض .. ما يقوله البعض عنا ..

أنقله .. كما هو .. لا أقصد به .. تسجيلا للمعركة .. أو توضيحا لخفاياها .. ولكن فقط لنعرف به بعض ما تخفيه عنا ظلال النكسة القائمة من جوانبها المشرقة .

وإذا كانت الهزيمة قد أطبقت شفافها .. وأضاعت مرارتها أية قابلية للزهو بما صار عنا به كل الظروف المضادة لنا في المعركة حتى صرعتنا . فليس أقل من أن نسمع ما يقوله عنا الآخرون .. لعل فيه إنصافا لنا .. أمام أنفسنا ..

ولست أظنهم .. يخدعوننا .. أو يكذبون علينا .

أهم ما في الأمر .. أن كل أخطائنا التي تسببت عنها هزيمتنا .. نملك إصلاحها .. لأنه ليس بينها « عجزنا عن القتال » كما يحاول العدو أن يوهمنا .. وكما أوشكنا نحن أن نصدقها ..

٢٥ أكتوبر ١٩٦٧

الحقيقة من أفواه الأعداء

(٣) المارك الأخيرة تحيب

في المقالين السابقين حاولت أن أضع إجابات — من أفواه أعدائنا — على أسئلة مريرة كانت تتخبط حبيسة في أذهاننا . لا نكاد نعرف لها من ردود إلا أباطيل دعاية العدو التي تحاول أن ترسم بها في إصرار .. صورة لعدم قدرتنا على القتال وعجزنا عن استعمال الأسلحة التي في أيدينا .

وإذا كنت قد استطعت إلى حد ما .. أن أجيب — بما التقطته — من أفواه قواد إسرائيل التي وردت على لسانهم في كتاب أبناء تشرشل من أن المصريين حاربوا بوحشية . وأن طلقات مدافعهم التي كانت كموجات الرعد على طول الجبهة قد حطمت جزءا كبيرا من دبابات إسرائيل وقضت على ٣٦ قائد دبابة في أول لقاء . ومما التقطته من وصف المعركة في مجلة دير شبيجل الألمانية .. عن أن الكارثة كادت تحل بإسرائيل عندما وصلت طلائع القوات المصرية إلى جنوب البحر الميت بعد أن شطرت إسرائيل شطرين وحطمت نصف الفرقة السادسة المدرعة الإسرائيلية .

إذا كنت قد استطعت أن أجيب على بعض هذه الأسئلة المريرة التي تتخبط في أذهاننا لتؤرقنا وتقض مضاجعنا .. وتثقل كواهلنا بأحاسيس العجز المريرة . وأن أضع من أفواه الأعداء ما يجيب بطريقة جازمة قاطعة .. بأننا لم نهرب ولم نعجز عن استعمال أسلحتنا .. بل « قاتلنا بوحشية . وأنزلنا بالعدو خسائر فادحة في المعدات والأرواح » .

إذا كنت قد استطعت إلى حد ما .. أن أزيل بالحقائق المستقاة من أفواه

الأعداء — بعض الأباطيل التي حاولت دعايته أن تنشرها عنا في أعقاب النكسة .. وغبار المعركة ما زال يحجب الصورة الواقعية لها .. وصدى دويها ما زال يغطي صوت الحقائق فيها .

إذا كنت قد استطعت أن أحقق شيئا مما حاولت أن أحققه فلقد استطاعت بضعة صواريخ من زوارق طوربيد بحريتنا .. أن تضع الإجابة الحاسمة .. لهذه الأسئلة الحائرة .. التي حاول العدو في أعقاب المعركة أن يرسم لها بترديد أباطيل دعايته هذه الصورة المشوهة الكاذبة لقواتنا المسلحة .

وإذا وضعنا جانبا التأثير المباشر الذي تركته الصواريخ المصرية التي جرت المدمرة الإسرائيلية إيلات في غمضة عين إلى قاع البحر — في معنويات العرب — وإذا أدخلنا في حسابنا ما أنزلته الضربة اللاأخلاقية الغادرة التي ردت بها إسرائيل على غرق إيلات . وحاولنا أن نزن الأحداث التي وقعت أخيرا في هذه المنطقة .. بميزان لا تذبذب كفته انفعالات الفرحة أو الضيق . فإننا نجد أن الأحداث قد أجابت على عدة أسئلة كثيرة .. كانت تطن في رءوسنا تحاول أن تجد لها .. إجابة .. دون جدوى .

هل سنصل إلى حل سياسى ؟ هل سنحارب ؟ .. وهل لدينا القدرة على القتال ؟ . وإذا لم نصل إلى حل سياسى .. ولم تكن لدينا القدرة على الهجوم ؟ فهل سنظل في وقتنا هذه ؟ . وهل وقتنا هذه في صالحنا أم في صالح العدو ؟ هل الزمن معنا أم معه ؟ وإذا تحرك هو ؟ . فما هي قدرتنا على مواجهة حركته ؟

ولقد أجابت الصواريخ التي انطلقت من أفواه مدافعنا لتجر إيلات إلى قاع البحر .. بسرعة انطلاقها .. وبحسم تأثير إصاباتنا في جسد المدمرة الغارقة .. على هذه الأسئلة ..

ولكيلا نأخذ الجانب المشرق من الأحداث . أؤكد أيضا .. أن رد

الضربة على مصانع السويس . بكل ما أنزلته من خسائر . قد أكدت هذه الإجابات .

أول .. وأسرع .. وأحسم رد .. نطقت به الصواريخ .. في انطلاقها .

هو أننا .. مصممون على مواجهة العدو .. وأنا نملك ما نواجهه به ..
وأنا نعرف كيف نستعمله لمواجهة .

إجابة .. تريح نفوس العرب . وتطمئن قلوبهم .. وهي في الوقت نفسه .. تزعج إسرائيل .. وتقلق بالهم ..

الإجابة إذن في معناها الكبير . أكبر من مجرد مدمرة غرقت . لأنها إزالة لوهم .. كان يقلق نفوس العرب .. ويطمئن نفس إسرائيل .

هذا الوهم . الذي عبر عنه في فقرة من كتاب « إسرائيل والعرب .
المعركة الثالثة » لجان لاتوتور وزوجته سيمون .. بأن إسرائيل مندهشة
وغاضبة من أن مثل هذا النصر الساحق لم يجعل العرب يستسلمون . حتى
لفكرة المفاوضة للوصول إلى حل دائم .

فإسرائيل تعتقد أنها أنزلت بالعرب ضربة قاضية .. وأن عليها أن
تستثمر هذه الضربة القاضية في انتزاع استسلام من العرب .. فتتزعج به
كل ما تريد .. نتيجة لهزيمتهم العسكرية .

وهي قد رسمت صورة للموقف بأن قوات العرب المسلحة قد دمرت
لأن العرب غير قادرين على القتال .. وعاجزون عن استعمال الأسلحة التي
في أيديهم ..

أى أن نتيجة الضربة القاضية .. لم تكن قط هي القضاء على قوات
العرب المسلحة .. بل وتأکید أنهم غير قادرين على القتال وغير قادرين على
استعمال الأسلحة .. أى أنهم مهما زودوا بالسلاح .. فلن يكونوا
قادرين أبدا على مواجهة إسرائيل .. أى أنهم لم يهزموا فقط في المعركة

السابقة .. بل وسيهزمون في كل معركة يخوضونها .. مهما كانت الأسلحة التي في أيديهم .

تلك هي الصورة التي حاولت أن تقنع بها نفسها .. وتقنع بها العالم .. بل وتقنعنا نحن بها .

ولقد ووجهت إسرائيل .. بواقع .. غير منطقي مع الصورة التي رسمتها ..

أوله .. هو أن العرب .. لم يستسلموا ..

فرغم أنهم — كما هيأت إسرائيل لنفسها — قد أفقدتهم الهزيمة قواتهم المسلحة .. ورغم أنهم غير قادرين على القتال .. وعاجزون عن استعمال أسلحتهم .. ما زالوا يقفون في عناد وصلابة .. ويأبون الاستسلام .. الذي توقعته إسرائيل .. نتيجة وهمها الكاذب .. ثم .. أكثر من هذا .. لا يريدون التفاوض .. وإغماض الأعين .. ولا يؤمنون بحكمة : « ابعد عن الشر وغنى له » .. ولا يتركون مراكب إسرائيل المنتصرة تتبخر داخل المياه الإقليمية المصرية .. ويفضون عنها الطرف .. لأنهم « منكوسون » ولا داعي أن ينكشوا .. خصمهم القوي .. المنتصر .. وينهار وهم إسرائيل .. وهي ترى المنكوسين .. العاجزين يصطادون .. مدمرتهم الكبيرة المختالة .. وهي تدخل في مياههم الإقليمية .. فينشونها بصواريخهم .. ويجعلونها تطب في قاع البحر .. في ملح البصر .. وكأنها ما كانت .

وتدوخ إسرائيل .. من الواقعة العجيبة التي لا تتفق أبدا مع منطقهم واستنتاجاتهم وتخيلاتهم .. ويروحون في تخطيط — ليربحوا منطقهم — قائلين إن ما حدث لا يمكن أن يكون من صنع المصريين .. لأن منطقهم قد سبق أن أكد .. هروب المصريين من مواجهتهم .. وعجزهم عن استعمال الأسلحة التي في أيديهم .. فإذا أتى زورق طوريد .. ليطلق

صاروخه .. ويصيب المدمرة المختالة بإصابة مباشرة ليغرقها في غمضة عين .. فلا يمكن أن يكون فاعل هذا مصرى ..

ولقد علق أحدهم على هذا قائلا : « طب لما مش هم المصريين اللى عملوا فيهم كده .. طب ثايرين على المصريين ليه .. وإذا كانوا فاكيرين مثلا أن الروس هم اللى عملوا كده .. طب مايروحو يسطفلوا مع الروس .. أهو الأسطول الروسى قدامهم .. يالله يورونا شطارتهم » .

أجاب الصاروخ الذى انطلق من الطوربيد المصرى على وهم إسرائيل .. ليؤكد .. أن الضربة لم تكن قاضية أبدا .. وأنها كانت نهاية جولة .. وليست نهاية معركة .. وأنها لم ترغم العرب على الاستسلام . فهم يقفون فى كل جبهاتهم على استعدادهم للنضال من أجل تحقيق السلام .. السلام العادل للجميع .. وليس السلام المحقق لأطماع إسرائيل .. القاضى على حقوق العرب .

وهو يجيب على الردود الحائرة فى نفوسنا .. بأننا من قلوبنا .. نسعى لحل سياسى .. لأننا أحرص على ألا نريق قطرة دم .. إذا كنا نملك أن نحقق العدل .. بغير إراقتها .. ولكننا لا نقبله كفرض ظالم .. نتيجة لعدوان .. يفرض علينا .. أن نخضع لما لا نؤمن به .

وهو يجيب بأننا فى الوقت الذى نسعى فيه للسلام العادل .. نقف لنواجه العدو بكل ما نملك من قوة مسلحة .. تتزايد مع الوقت .. وأن ما نعجز عن تحقيقه بالحل السياسى يجب أن نحشد له كل ما نملك من قوة لتحقيقه بالحل العسكرى .. عندما نتحقق لنا القدرة عليه .

فنحن نواجه العدو .. لنصد كل محاولة للعدوان .. ونحن نحشد .. لطرده من أرضنا .. عندما نملك من التفوق ما يمنحنا القدرة على ذلك .. وسنستمر فى مواجهته حتى نرد لشعب فلسطين حقه ..

ولقد أكد هجومه الانتقامى على السويس .. هذه الإجابة .. فلقد

واجهنا الهجوم ببسالة وقدرة .. كانت خسائرننا في الأرواح نادرة .. لأننا تعلمنا .. كيف نخوض معركة دفاعية .. واستطعنا أن نحصر الخسائر بكل ما نملك من جهد . وإذا كانت ضربة العدو قد أنزلت بنا خسائر مادية .. فإن حصيلة ضربتنا وضربته .. قد منحتنا من الأرباح المعنوية ما يفوق كثيرا الخسائر المادية .

لقد أجابت على أسئلتنا الحائرة .. التي أثارها العدوان .. وحيرتها النكسة ..

وإن كان قد بقي هناك مزيد من الأسئلة الحائرة .. في المشكلة الأصلية .. وهي القضية الفلسطينية .. ماذا خططنا للحصول على حق الشعب الفلسطيني ؟ . وما هو طريقنا لحل قضيته ؟ . لقد سألت في إحدى ندوات الاتحاد الاشتراكي .. الصديق العزيز الأستاذ محمود رياض وزير الخارجية .. سؤالا .. ما زال حتى الآن يدور في رأسي حائرا . قلت له : « نحن لا نريد .. أو على الأقل لا نستطيع أن ندمر إسرائيل .. ولا نريد أن نتفاوض معها .. ولا نريد أن نعترف بها .. ولا نريد الصلح معها .. ما الذي نريده .. إن كل خططنا مبنية على .. لا .. فما هي الخطة المبنية على نعم ؟ .. » .

وأن الزميل أحمد بهاء الدين .. قد بدأ نقاشا موضوعيا .. في هذه المسألة الرئيسية .. وطرح رأيه في شجاعة .. وأتاح الفرصة للناس أن يفكروا بصوت عال ..

وأن مجرد بدء النقاش بصراحة .. خطوة طبيعية .. في هذا السبيل . وهي تتطلب من كل مفكر مخلص أن يقول رأيه في شجاعة وصراحة . إن أبسط مبادئ الوصول إلى هدف هو وضوح الطريق إليه .. وأبسط مبادئ اختيار الطريق .. هو أن يكون الطريق الذي نختاره .. قابلا للسير .. وأن نكون مالكين وسيلة اجتيازه .

وبهذا الأسلوب الجاد يجب أن نطرق المسألة الأصلية التي يكافح
العرب جميعاً من أجلها .
ولعلنا نستطيع في مقال آخر .. أن نناقش الموضوع بتفاصيل
أكثر .

١ نوفمبر ١٩٦٧

فلسطين .. موجودة

● نبدأ من البداية لنسرد الظروف التي مرت بها القضية الفلسطينية ببساطة وبغير تعقيد أو انفعال بالأسى أو الحماس :

١ — الوطن الفلسطيني موجود بحدوده الأصلية لا يمكن إلغاؤه لأى سبب من الأسباب .

٢ — حدث غزر صهيوني احتل جزءا من الوطن الفلسطيني فى عام ١٩٤٨ .

٣ — استمر الوطن الفلسطيني موجودا جغرافيا بالأرض التى لم يتناولها الاحتلال بعد الغزو الأول ولكنه لم يوجد سياسيا . وهكذا استمرت الأرض الفلسطينية بغير وجود الفلسطينيين بعد أن تحول بعضهم إلى رعايا غير فلسطينيين رغم وجود أرضهم الفلسطينية فى المناطق غير المحتلة وتوزع الذين احتلت أرضهم على بقية البلاد العربية إما فى شكل لاجئين أو فى شكل عاملين ، وهاجرت القلة الباقية إلى بقية بلاد العالم .

٤ — وفى الغزو الثانى احتلت غزة ثم تركت وإيلات ولم تترك .

٥ — وفى الغزو الثالث غزت بقية الأراضى وما زالت محتلة حتى الآن .

٦ — أول مبدأ مسلم به هو استمرار وجود فلسطين الأصلية واعتبار أى أرض محتلة جزءا من الوطن الأصلى .. فليس معنى احتلال جزء من بلد ما تسليما بانفصال هذا الجزء .

٧ — كان رد الفعل الفلسطينى للغزو الصهيونى لفلسطين بالطريقة التى حدث بها ، هو الذى جعل للمسألة الفلسطينية هذا الشكل غير

الطبيعي والذي ضلل العالم كله وأغرق العرب أنفسهم في متاهة لا يعرفون أين نهايتها ولا كيف الخروج منها لأن نزوح الفلسطينيين من الجزء المحتل عقب الغزو الأول ساعد على عملية فصل هذا الجزء عن الوطن الأصلي بخلوه من سكانه الأصليين ومنح الفرصة لاحتلاله وفرض المعالم التي تجعل منه أمام العالم شيئاً جديداً لا علاقة له بالأصل . وجعله يبدو وكأنه وطن أصلي لسكانه رغم أن أغليتهم يشكلها الغزاة الذين استوطنوه قسراً بعملية الغزو .

وهكذا انمحت معالم فلسطين المادية . وطوى الشكل الفلسطيني . رغم أنه كان يمكن أن يوجد حتى لو احتل اليهود كل فلسطين .. بحكومة في المنفى .. ومقاومة في الداخل . وأن تعتبر فلسطين دائماً موجودة فعلاً مهما بلغت الرقعة المحتلة بها . وتكون الحركة الإيجابية الطبيعية في المجال الفلسطيني .. هي أولاً وقبل كل شيء العمل على تحرير الوطن الفلسطيني بأهله .. أينما كانوا ..

ومع ذلك فلم تكن كل فلسطين محتلة . بل بقي جزء كبير منها حتى الغزو الأخير .. بأرضه حراً .. وشعبه طليقاً . وكان أبسط منطق يحتم وجود فلسطين ذات الأرض والشعب والحكومة والعلم وكل معالم الأوطان .. في الجزء الحر من فلسطين الذي لم تسيطر عليه قوى الغزو الصهيوني وأن تتحرك فلسطين حركة طبيعية نحو تحرير الجزء الباقي من أرضها .. وتصبح المشكلة أمام العالم واضحة المعالم . بلداً اغتصب جزء منه وادعى الغزاة ملكيتهم لهذا الجزء .. ويتحتم على البلد الأصلي — فلسطين — أن يستعيد الجزء المحتل .. بكل ما يملك من وسائل .

ولم أعرف لماذا أنشئت منظمة فلسطين .. ولم تنشأ دولة .. مع أنها تملك البقعة التي تيسر لها كل إمكانيات الدولة .. من أرض وشعب . إن الشيء الذي لا يقبل الجدل .. هو أن فلسطين موجودة .. وأن

احتلال جزء منها أو احتلالها كلها .. لا يعنى فناءها .. ويصبح الحل الطبيعي بعد ذلك هو أن يوجد كيان الدولة .. فى أية بقعة من فلسطين يمكن أن يمارس فيها وجوده بحرية وأمان فإذا لم توجد الأرض الفلسطينية .. فليوجد كيان الدولة فى أية بقعة من الأرض العربية .. كما وجدت حكومة الجزائر فى القاهرة قبل استقلال الجزائر .

وليمارس الفلسطينيون كفاحهم من أجل تحرير وطنهم بالمقاومة فى الداخل . والعمل الموحد فى الخارج (وبكل ثقل البلاد العربية معهم فى المعركة لأنها معركة الوطن العربى كله) .

ولتنقل الحكومة الفلسطينية إلى أول جزء يتحرر من أرض الوطن الفلسطينى لتمارس فيه عملها .

وليتحرر اللاجئون من خيامهم ... كلما سنحت فرصة لذلك . إننا لا نستطيع أن نجسد الحياة الفلسطينية .. والنمو الفلسطينى .

إن اللاجئين .. لن يأخذ أحد بيدهم ليعيدهم إلى بيوتهم .. وهم لن يعودوا إليها .. من خيامهم كلاجئين .. ولن يمد إليهم أحد يده بحقوقهم .. ولكن عليهم أن يشبوا لأخذها وأن يتحولوا من جزء عاجز إلى جزء حى من فلسطين ..

إنهم يعيشون فى خيامهم فى بؤس .. ولكنه — بيننا وبين بعض — لا يفترق كثيرا عن بؤس كثير من أفراد الشعب العربى فى عقر دارهم .. واستعراض بؤسهم .. لم يعد يضيف إلى المسألة شيئا مفيدا .. فقد عرفه كل من يهمنى أن يعرفه . وبات على اللاجئين أن يتحولوا إلى عاملين مناضلين . وأصبح علينا أن نزيل لافتة اللجوء الفلسطينى من واجهة المسألة الفلسطينية .. ونضع بدلها الوجود الفلسطينى الكامل الذى يحوى الشعب الفلسطينى فى كل مكان .

وتصبح الحركة فى المسألة الفلسطينية نابعة من هذه القاعدة ومتحركة

في هذا الاتجاه .

- ١ — وجود الكيان الفلسطيني في أية بقعة من الوطن العربي .
 - ٢ — العمل مع بقية البلاد العربية على إزالة آثار العدوان الأخير بالعمل الخارجي والمقاومة الداخلية .
 - ٣ — وجود الدولة الفلسطينية في الأرض المتحررة من فلسطين بكيان نابع من الشعب الفلسطيني في الأرض الفلسطينية .
- ذلك أول شكل طبيعي يمكن أن توجد به الدولة الفلسطينية مع تعزيزها بكل إمكانيات الوطن العربي .
- ويصبح وجه المشكلة هو اعتداء صهيونيا على جزء من أراضي دولة فلسطين ، الموجودة شعبا وحكومة (وليست مجرد مجموعة من اللاجئين) وحق هذه الدولة في استرجاع أراضيها .. وفي استعادة حق المواطنين المشردين من الأرض المحتلة وفي رعاية مواطنيها الموجودين في الأرض المحتلة وحمايتهم من أى اضطهاد أو ظلم يقع عليهم .
- بهذا الشكل وبهذا المنطق يمكن أن نواجه إسرائيل ونواجه العالم الذي حولنا فلسطين في نظره .. إلى إسرائيل في جانب وإلى مجموعة من اللاجئين في الجانب الآخر ..
- وعلى قدر نمونا وتقدمنا ووجدتنا تصبح قدرتنا على مواجهة إسرائيل الغازية ، وعلى استرجاع الأرض المحتلة .. مهما طال الزمن .

٨ نوفمبر ١٩٦٧

(من وراء الغيم)

من أجل .. عمل عربي موحد

نحن نخوض معركة عربية . وأيا كان طريقنا إلى النصر سياسيا كان أم عسكريا .. فلا أظن بلدا عربيا يمكن أن يبلغه وحده .. وإذا كنا دائما في طريق التقدم العربي نحتاج إلى العمل الموحد فإن حاجتنا إليه أشد ونحن نواجه المصير العربي .

وعندما وجه العدو إلينا ضربته .. لم يوجهها إلى بلد منا .. ولكنه وجهها إلينا جميعا .. وعندما حلت بنا النكسة .. لم تحل ببلد دون بلد . طريقنا إذن في المعركة واحد .. ومصيرنا واحد .. وعملنا في مواجهة الخصم .. بداهة .. لا بد أن يكون واحدا .. ولقد خضنا المعركة السابقة .. تجمعنا — أو تجمع بعضنا — اتفاقية دفاع مشترك .. وقعت قبل بداية المعركة بثلاثة أيام .. ومع أن مجرد توقعها كان دقة خطر على رأس العدو جعله يعجل بهجومه قبل أن تتخذ القوات العربية مواضعها التي يمكن أن يتيحها العمل العسكري الموحد .. فإن هذا العمل العسكري الموحد لم يستطع أن يؤدي شيئا أكثر من دقة ناقوس الخطر في آذان العدو .. التي جعلته يوجه ضربته إلينا فوراً .

لقد دق ناقوس الخطر في آذان العدو .. دون أن نمنح فرصة .. لمواجهة خطره .

والنتيجة .. هي إن العمل العسكري الموحد .. الذي عقدت اتفاقيته قبل المعركة بثلاثة أيام .. لم يستطع أن يوضع في حيز التنفيذ .

لم يكن هناك خلال ستة أيام المعركة .. عمل عسكري واحد مشترك .. في الوقت الذي كنا فيه في أشد الحاجة إلى هذا العمل عندما

كانت تضرب مطارات بلد .. قلا تجد طائراته .. مطارا بديلا في بلد آخر .. يجعلها أقدر على خوض المعركة .. بدل أن ترقد مشلولة عاجزة .. والمعركة في أشد الحاجة إليها .

وحتى اتفاقيات الدفاع المشترك التي تهيأت لها الفرصة الكافية لكي تتيح عملا عسكريا موحدًا .. لم تمنح الإمكانيات التي تضعه موضع التنفيذ ، والتي تجعلنا نواجه أى تهديد من عدونا .. بقوة موحدة .. أو خطة مشتركة .

ونحن نقف الآن لنواجه العدو .. بعد النكسة .. نحاول أن نستعيد قدرتنا على العمل .. من أجل أن نزيل آثار العدوان .. ونحرر الأرض العربية .. ونستعيد الحق الفلسطيني .

ولقد حدد الرئيس جمال عبد الناصر في خطابه يوم ٢٣ نوفمبر عام ١٩٦٧ أهدافنا .. كما حدد بوضوح أسلوبنا في العمل .. وقدرتنا عليه .. عندما أكد أن الهدف هو المبدأ .. وأن المبدأ الذى نؤمن به هو العمل من أجل تحرير الأرض واستعادة الحقوق .. قائلا : إن الحرب ليست هدفا في حد ذاتها وإنما لسنا دعاة حرب ولكننا جنود حرب إذا كانت الحرب ضرورة نخوضها دفاعا عن مبادئنا وأرضنا وحقوقنا .

وأكد الرئيس أننا سنقوم بتطهير أرض لنا يحتلها العدو وهذا حق مشروع لنا ولكن التقدم إلى ذلك قبل امتلاك القدرة عليه خطأ فادح وجريمة في حق الوطن .. ونحن لا نتردد في محاولة العمل السياسى ولا نمانع في تجربة أى طريق سياسى بل ونرحب به .

وإذا لم يستطع العمل السياسى وحده صيانة كل ذلك والدفاع عنه واستخلاصه فإن العالم كله لن يكون فقط مقبرا لموقفنا في اللجوء إلى القوة المسلحة بل سوف يكون موقفه أكثر من مجرد التقدير .. سوف يكون موقف التأييد .

ولقد حدد الرئيس في وضوح كامل الأهداف التي نضع العمل — سياسيا كان أم عسكريا — في خدمتها ومن أجل تحقيقها .. في الانسحاب الكامل للمعتدى من كل شبر من الأراضي العربية التي جرى احتلالها وفي أنه لن يسمح لإسرائيل بالمرور في قناة السويس لأنه جزء لا يتجزأ من قضية فلسطين الأصلية .. وفي أنه لا مفاوضة ولا صلح مع إسرائيل ولا اعتراف بإسرائيل ولا تصرف بالقضية الفلسطينية فهي ملك لشعب فلسطين .

ومن موضع المسؤولية .. أوضح الرئيس قدرتنا العسكرية .. لمواجهة العدو .. وتحقيق الأهداف والمبادئ التي نسعى لتحقيقها .. فأكد بصراحة أن قواتنا المسلحة قد فاقت قدرتها واستعدادها .. ما بلغته قبل النكسة .. وإننا نقف في موقف القادر على الدفاع .. وأن الجهود التي تبذل حاليا لاستكمال البناء العسكري جهود تفوق طاقة الإنسان وأنها ستؤكد قيمتها العملية عندما تتاح لها فرصة الاختبار .. وأننا نواصل تدعيم قواتنا العسكرية حتى تصبح قادرة على خوض معركة يتحقق لها فيها النصر الكامل .

لقد حدد الرئيس إذن .. في وضوح كامل .. مبادئنا وأهدافنا كما أوضح أسلوبنا في العمل على صيانة المبادئ وتحقيق الأهداف .. مؤكدا أننا نقبل العمل السياسي إذا استطاع أن يحققها .. وإننا نواصل تدعيم القدرة العسكرية لخوض معركة المصير لتحقيق أهدافنا إذا فشل العمل السياسي في تحقيقها .

لقد أوضح الرئيس الأهداف وحدد أسلوب العمل .. وعرض قدرتنا عليه .

والمعركة معركة عربية .. والأهداف أهداف عربية واحدة .. وأسلوب العمل .. يجب أن يكون عربيا واحدا .. وقدرة كل بلد عربي يجب أن ترتبط بقدرة كل البلاد العربية .. لكي تكون كلها قدرة واحدة

فعالة .

والسؤال الآن .. ونحن نقف صفا في معركة واحدة .. ماذا نملك .. وكيف نوجه ما نملك من أجل تحقيق الأهداف والنصر في المعركة .

هل ترتبط قدرتنا العسكرية كلها بخطة موحدة .. استعدادا لمواجهة الصدام .. إذا تحتم حدوثه .. أم سنواجه المعركة بخطة توضع .. وسط دخان المعركة .. ودويها ولهبها .. وكل مشغول بمصيره .

هل تحققت القدرة الدفاعية لكل بلد عربى يواجه العدو .. وهل يواصل تدعيم قدراته لتوجيه الضربة من أجل استعادة الأرض المحتلة عندما نملك القدرة على استعادتها .. إذا استمر العدو جاثما عليها .. وعجز العمل السياسى عن إجلائه .

هل سنخوض المعركة القادمة — إذا تحتم خوضها — بجيش يمثل حقيقة قوة المائة مليون عربى .. وقدرتهم .
أم أن المائة مليون .. لن يكون إلا رقما يثير السخرية .. عندما يوضع في مواجهة مليونين في إسرائيل .

هل يمكن أن نكون قد أضعنا هذه الشهور التى مرت بعد النكسة سدى .. دون أن نستفيد من دروس الدفاع المشترك .. الذى لا ينتج عنه .. أى عمل عسكري مشترك ؟

هل ستظل كل بلد واقفة في مواجهة العدو .. حتى تبدأ المعركة فعلا .. فنهرول للاتفاق على عمل مشترك ؟

وأكثر من هذا .. هل يستند عملنا العسكري المشترك .. على أسس اقتصادية مدعمة موحدة متكاملة ؟

الذى نعرفه هو أن أى عمل عربى موحد لا بد أن يستند إلى تكامل اقتصادى يمنحه القدرة على الثبات والاستمرار حتى النصر .

والطريق إلى النصر .. سواء كان سياسيا .. أم عسكريا .. لا بد له من قاعدة انطلاق اقتصادية سليمة .

ولقد سبق أن وضعت اتفاقية للوحدة الاقتصادية بين البلاد العربية في نطاق جامعة الدول العربية . ولقد وافق المجلس الاقتصادي عليها منذ عام ١٩٥٧ ووقع عليها مندوبو حكومات الأردن وسوريا ومصر والكويت والمغرب في عام ١٩٦٢ والعراق واليمن في عام ١٩٦٣ ؟ وكانت أهداف هذه الاتفاقية هي :

- ١ — حرية انتقال الأشخاص ورءوس الأموال .
- ٢ — حرية تبادل البضائع والمنتجات الوطنية والأجنبية .
- ٣ — حرية الإقامة والعمل والاستخدام وممارسة النشاط الاقتصادي .
- ٤ — حرية النقل والترانزيت واستعمال وسائل النقل والمرافئ والمطارات المدنية .
- ٥ — حقوق التملك والإيضاء والإرث .

كما قرر مجلس الوحدة الاقتصادية العربية إنشاء السوق العربية المشتركة بتاريخ ١٩٦٤ لتحقيق التكامل الاقتصادي بين البلاد العربية وإرساء دعائم الوحدة الاقتصادية على أسس سليمة من التنمية الاقتصادية المتناسقة المستمرة .

والسؤال هنا : ماذا تم .. في اتفاق الوحدة الاقتصادية ؟ . والسوق العربية المشتركة ؟ . هل حققت وجود القاعدة التي تعتبر أساسا ومنطلقا .. لكل عمل عربي موحد من أجل مصير العرب وحريتهم ورخائهم ؟

الرد مطلوب ممن يملكون الرد .
وألى لقاء آخر .. لمناقشة .. هذه المسألة التي تثير الدهشة وتبعث على الأسى والأسف .

أين نقف ؟ وإلى أين نتحرك ؟

في هذه المرحلة الخطيرة من تاريخنا يجب علينا أن نسأل أنفسنا في كل لحظة .. أين نحن ؟

هل نقف ؟ .. هل نتحرك ؟ ونقف أين ؟ .. ونتحرك إلى أين ؟ ..
أما هل نقف أمام نتحرك .. فنحن بالتأكيد نتحرك .. لأننا يجب ألا
نقف .. ليس فقط لأن من طبيعة الحياة .. الحركة في سبيل النمو .. ولأن
التوقف جمود .. وضمور .. ينتهي بالفناء .. بل لأننا في وضع لا يمكن
التوقف فيه .. أو الصبر عليه .. بل يجب بكل ما نملك من قدرة على
الحركة أن نتجاوزه ونخلص منه .. ونحن نشعر بما يجثم على صدورنا ..
ويضيق أنفاسنا .

وحركتنا .. وإن كانت لا تبدو .. وثبا ظاهرا .. تنقلنا من مكان ..
إلى مكان .. إلا أنها حركة حيوية متواصلة أشبه بنمو النبات .. لا
تبصرها .. وإن كنت تحسها .. في علوه وامتلائه وقوته يوما بعد يوم ..
وفي قدرته على المقاومة .. والإعطاء .. الذي يمنح هو نفسه القدرة .. على
الحركة الواضحة .. التي تنقله من حالة إلى حالة .. ومن مكان إلى
مكان .

وحركتنا الدائبة المستمرة .. تتمثل في نمو قدرتنا العسكرية .. التي
تجعل عملية الانتقال من وقتنا .. والخلاص مما يجثم على أرضنا .. أو
صدورنا .. عملية .. مستطاعة .. بمجرد تحقيقها .. عندما تشعر الأظافر
التي تنشب في لحمنا .. أنها تطبق على شيء صلب .. قادر على تحطيمها .
إن تدعيم القدرة العسكرية .. حركة .. تنقلنا بتحقيقها من وضع

سياسى .. إلى وضع سياسى أفضل .. ولا شك أن الوضع الذى نفقه الآن .. فى مواجهة العدو .. يضعنا على أرض أصلب كثيرا مما كنا نقف عليها من شهور مضت وصلابة هذه الأرض من تحتنا تعتمد إلى حد كبير .. على نمو قدرتنا العسكرية .

ولكن .. من خلال حركتنا الأصلية الدائبة التى تمنحنا الأمان .. والضمان .. والقدرة على الحركة .. لا نستطيع أن نقف جامدين فى محيط يتحرك من حولنا .. ولكننا يجب أن نكون على استعداد دائم للحركة الملائمة لنا .

ونحن نعرف بوضوح .. ما يلائمنا .

ففى مجال العمل السياسى الذى تحول فى الأمم المتحدة إلى وثيقة .. ذات فقرات وبنود .. نعرف أن هناك فقرة أولى حدد الرئيس جمال عبد الناصر موقفنا منها بأنها لا تقبل الجدل وليست خاضعة لأى أخذ أو عطاء .. وهى الانسحاب الكامل من الأراضى العربية التى جرى احتلالها فى معارك يونية سواء فى الجمهورية العربية المتحدة أو المملكة الأردنية أو الجمهورية العربية السورية .

أما الفقرة الثانية فمعلقة كلها بقضية فلسطين .. فالمرور فى القناة — كما قال الرئيس عبد الناصر — جزء لا يتجزأ من قضية فلسطين الأصلية .. التى يملكها شعب فلسطين .. والتى يحدد وضعها للعرب .. لا اعتراف .. لا صلح .. لا مفاوضات مع إسرائيل .

وإذا كانت إسرائيل .. تعلق الأولى على الثانية .. فنحن نعلق أجزاء الثانية .. على الثانية .. ككل .

ويصبح السؤال بوضوح .. هو ما وجهه الرئيس عبد الناصر فى خطابه « هل تسحب إسرائيل فعلا من كل الأراضى التى جرى احتلالها فى معارك يونيو أو لن تنسحب .. هنا الحد الفاصل بين القول والفعل » .

وتبرز بعد ذلك .. القضية الفلسطينية ككل .. ويرز أماننا أسلوب إسرائيل في التعامل معها .

لقد دابت إسرائيل منذ توقيع اتفاقيات الهدنة عام ١٩٤٩ على ممارسة سياسة عدوانية بشن هجمات عسكرية عبر خطوط الهدنة وبغزو أراضي الدول العربية بصورة متكررة .. مما أدى إلى إدارتها ولومها خمس مرات بواسطة مجلس الأمن وست من الجمعية العامة .. في الوقت الذي لم يدن أى بلد في العالم بمثل هذا القدر من الأمم المتحدة ولم يدن أى بلد عربى منها بسبب قيامه بهجمات عسكرية على إسرائيل .

كما واصلت إسرائيل الاعتداء على مراقبى وموظفى الأمم المتحدة على امتداد خطوط الهدنة واغتالت الوسيط الدولى الأول ومساعدته العسكرى واحتجزت بعض مراقبى الهدنة واحتلت عسكريا وفتشت بصورة غير شرعية .. المقر العام لموظفى الأمم المتحدة وقاطعت اجتماعات لجان الهدنة المشتركة كما رفضت تنفيذ قرارات الأمم المتحدة جميعها وأصرت على عدم منح اللاجئين الفلسطينيين حقوقهم المشروعة فى أرضهم وأموالهم وعلى فرض نظام التمييز العنصرى ضد العرب الذين بقوا فى أرضهم فاستمر أكثر من ٩٠٪ منهم يعيشون فى مناطق محظور مغادرتها وفى ظل حكم عسكرى يقيد حريتهم وأخيرا تجمع العرب بعد العدوان فى معسكرات أشبه بمعسكرات النازية .

هذا هو أسلوب إسرائيل حتى الآن فى التعامل مع القضية الفلسطينية الذى تميز فى كل نواحيه بالعدوان والعنف والبلطجة .

وهى تقف الآن وفى يقينها أنها تملك من أسباب الإملاء والفرص .. بالعدوان العسكرى .. ما يحقق لها أمانها فى التوسع والاستقرار .

ومع ذلك — وبرغم أنها حققت من الانتصار ما لم تحلم بتحقيقه من قبل ولن تحلم بتحقيقه من بعد — فإنها قد غرست فى موضع لا تملك التقدم

منه إلى هدفها الحقيقي وهو الاستقرار .. ولا تستطيع الحركة للأمام سياسيا أو عسكريا .

بل هي بغير جدال .. تتحرك سياسيا للخلف بعد أن كشفت لدى الرأي العام العالمى .. وبعد الموقف الإيجابى لفرنسا برئاسة ديغول مع الدول العربية وضد إسرائيل .

أما عسكريا فرغم ثبات القوات العسكرية عند خط قرار وقف القتال فإنه قد حدث من التغيير فى ميزان القوى .. ما يضع إسرائيل فى موقف المتحرك للخلف بالنسبة للتدعيم الذى أحرزته القوات العربية فى مصر وبالنسبة لدخول فرنسا كعنصر للتسليح كسبه العرب وفقدته إسرائيل . وهكذا تصبح الورقة التى انتهى إليها العمل السياسى فى الأمم المتحدة بكل ما فيها من فقرات وبنود .. تقضى من وجهه نظر إسرائيل إلى محاولة استقرار توسعى يفرضها العدوان المسلح ومن وجهة نظر العرب إلى إزالة آثار العدوان أولا بغير مساومة .. ثم حل القضية الفلسطينية ككل على أساس استعادة العرب حقوقهم الشرعية فى وطنهم .

وإذا كانت وجهة نظر إسرائيل تحاول إملأها بالعمل العدوانى الذى فرضته القوة المسلحة .. فلن يغير وجهة النظر هذه إلا الإحساس بأن أسلوب العدوان غير مجد .. وبأن القوة المسلحة يمكن أن تلغيها قوة مسلحة مقابلة قادرة على صدها .. ثم دحرها .

ومن هذا الإحساس تنبت قيمة العمل العربى الموحد وخطورته فى هذه المرحلة .

وتبرز كلمات الرئيس عن العمل العربى .. عندما قال :
« نحن نعتقد أن إمكانية العمل العربى الموحد الذى أثبت فاعلية فى الخرطوم يجب أن تستمر .. يجب أن تؤدى دورها إلى نهاية الأزمة .. يجب أن نعطيها فرصة كاملة حتى بعد نهاية الأزمة . »

وإذا نجحتا في ذلك فنحن نعتقد أن نظاما عربيا جديدا يمكن أن يولد يعطى العالم العربى دفعة كبيرة في عصر التجمعات الاقتصادية الكبيرة في هذا العصر وما تقتضيه ظروفه من مطالب التكنولوجيا والموارد المنسقة والأسواق المفتوحة .. إن الدول العربية لا تستطيع أن تحقق أهداف نموها بالسرعة الواجبة وكل منها على انفراد وفي عزلة عن الباقيين .

ويستطرد الرئيس متسائلا : « كان فيه تساؤل إزاي اثنين ونص مليون إسرائيلي هزموا ١٠٠ مليون عربى ؟ » .

ثم يجيب على التساؤل قائلا :

« الحقيقة الاثنين ونص مليون إسرائيلي عبأوا قواهم وقوى أيضا من ورائهم أما الـ ١٠٠ مليون عربى ما عبأوش قواهم .. لا قواهم العسكرية ولا الاقتصادية .

التعبئة العربية العسكرية والاقتصادية هي إذن .. مرتبط الفرس .. هي بيت القصيد .. لقد كان فقدانها .. سبب نكستنا .. ولن يكون انتصارنا بغير تحقيقها .

أما التعبئة العسكرية .. فأمر حيوى .. لا نملك مناقشته على صفحات الصحف .

أما التعبئة الاقتصادية .. وهى أساس ومنطلق كل تعبئة .. فى كل وقت .. فهو ما يمكن وما يجب مناقشته ..

لقد سبق أن تحدثت عن الوحدة الاقتصادية العربية وعن السوق العربية المشتركة .. وعن سبب تجميدها ولا سيما بعد أن قرر مجلس الملوك والرؤساء فى دورته الثانية سنة ١٩٦٤ :

« إن المجلس يوجه عناية خاصة إلى دعم التعاون الاقتصادى العربى وتنفيذ الاتفاقية الخاصة به بوصفه الأساس الأول للقوة والتقدم العربيين وللمقدرة على مواجهة التحديات الأجنبية فضلا عن أنه الهدف الأول

للتجمعات الدولية المعاصرة » .

ولكن ما حدث هو أن كثيرا من البلاد العربية لم يوقع على هذه الاتفاقيات الاقتصادية وحتى ما وقع من هذه الاتفاقيات قد توقف .. نظرا للتحفظات المختلفة التي تتحفظ بها مختلف الدول الأعضاء على الاتفاقيات .. ولقد كان مفروضا أن تبلور في تكامل اقتصادى عربى متين الدعائم إلا أن النتيجة المأمولة لم تتحقق لأن الاقتصاد العربى ما زال مفككا بسبب عدم وجود التنسيق الاقتصادى الذى يضمن أقصى استغلال للموارد العربية لسد احتياجات الاقتصاد العربى والتنمية العربية .

ولقد اطلعت على الاتفاقيات الاقتصادية التى سبق أن عقدت والتى يمكن أن تحقق التكامل الاقتصادى . وهى أربع اتفاقيات اقتصادية تبدأ باتفاقية تسهيل التبادل التجارى وتنظيم تجارة الترانزيت ثم اتفاقية تسديد مدفوعات المعاملات الجارية وانتقال رؤوس الأموال بين دول الجامعة العربية واتفاقية إنشاء المؤسسة المالية للإئتماء الاقتصادى .. وأخيرا اتفاقية الوحدة الاقتصادية وقرار السوق العربية المشتركة . وكلها حبر على ورق . بسبب تحفظات بعض الدول عليها وعدم انضمام البعض الآخر إليها أو عدم إتمام إجراءات التصديق عليها .

وهناك غير ذلك اتفاقيات البترول التى تشمل اتفاق تنسيق البترول واتفاقية إنشاء الشركة العربية لناقلات البترول والتى اشتركت فيها العراق وسوريا ومصر والكويت (التى لم تصدق عليها بعد) ولكن الشركة لم يمكن قيامها بسبب نقص مجموع حصص الدول الثلاث التى صدقت على الاتفاقية عن النصاب المالى اللازم لكى تصبح اتفاقية الشركة نافذة المفعول .

وهناك اتفاقيات المواصلات التى تشمل اتفاقية منح حرية الطيران والهبوط المدنى فى المطارات الدولية وقد صدق عليها الأردن ومصر

والعراق والكويت وأصبحت الاتفاقية نافذة فقط بالنسبة لهذه الدول الأربع ابتداء من ١٩٦٥ .

واتفاقية الشركة العربية للملاحة البحرية وقد أصبحت هذه الاتفاقية نافذة المفعول بالنسبة للدول الموقعة عليها ، والتي بلغ اكتابهم فيها ٥٦٪ من رأس المال وهي الأردن والعراق وسوريا ومصر والكويت . ابتداء من ١٩٦٥ .

هذه هي الاتفاقيات التي عقدت حتى الآن .. ومعظمها غير نافذ والباقي معطل . ولقد أنشئ مجلس الوحدة الاقتصادية الذي يتولى أمانته الدكتور عبد المنعم البنا والذي استطاع أن يحقق بعد سنتين من إنشائه تخفيضا جمركيا بلغ ٨٠٪ من المنتجات الزراعية و ٤٠٪ من الصناعة . وقد أوصى مؤتمر الخرطوم بعقد مؤتمر خبراء للبحث عن وسائل لإقامة مجموعة عربية اقتصادية مشتركة ترمي إلى تحقيق التكامل الاقتصادي والاكتفاء الذاتي والوحدة الاقتصادية بواسطة المشاريع العربية المشتركة وإنشاء صندوق عربي للإئتماء .

وقد انعقد هذا المؤتمر في مدينة الجزائر في أكتوبر ١٩٦٧ وقرر أن الوحدة الاقتصادية العربية هي الأداة الضرورية لتقوية الكيان العربي كما رأى أن اختلاف النظم الاقتصادية والظروف الخاصة لبعض الدول العربية قد حال دون انضمامها إلى اتفاقية الوحدة الاقتصادية حتى الآن ، وأوصى الدول التي لم تنضم إلى الاتفاقية « وهي تونس وليبيا والسودان ولبنان والسعودية » بدراسة الموضوع مع الأمانة العامة لمجلس الوحدة الاقتصادية على أن تقدم النتيجة إلى المجلس الاقتصادي .

وقد عقد في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ في مقر الجامعة اجتماع لخبراء الاقتصاد العرب لدراسة اتفاقية الوحدة الاقتصادية وبيان الأسباب التي تحول دون انضمام بعض الدول إليها وكانت أهم النقاط التي أثيرت فيه أن اختلاف النظم والفلسفات الاقتصادية يعتبر من أهم العوائق لتنفيذ الاتفاقية

وكذلك اختلاف مستوى التنمية واختلاف هيكل التكاليف في الإنتاج الزراعي والصناعي .

وقد وضع مؤتمر الجزائر مشروع اتفاقية لإنشاء صندوق عربي للإئتماء الاقتصادي حدد رأسماله بمائة مليون دينار كويتي لتمويل المشاريع الاقتصادية وتشجيع توظيف الأموال العامة والخاصة وتوفير الخبرات والمعونات الفنية . في مختلف مجالات التنمية الاقتصادية .

تلك هي الصورة العامة للمحاولات التي بذلت من أجل تحقيق الوحدة الاقتصادية التي تمكن من التعبئة الاقتصادية التي يتوقف عليها المصير العربي أمام التحديات الخطيرة التي يواجهها .

والذي يواجهه الرؤساء العرب في مؤتمر القمة هو وضع هذه الوحدة موضع التنفيذ . أو كما قال الرئيس عبد الناصر خلق نظام عربي جديد يعطي العالم العربي دفعة كبيرة في عصر التجمعات الاقتصادية الكبيرة .

والمشكلة الحقيقية تتبلور في كيفية تحقيق التنسيق الاقتصادي الذي يجعل من التحرر التجاري في الكتلة العربية عملاً مجدياً فمن العبث أن تترك التجارة حرة إذا كانت مواردنا لا توفر لنا احتياجاتنا .

وإن مواردنا العربية لقادرة على أن تكفل لنا إذا ما استغلت داخل تخطيط علمي سليم التكامل الاقتصادي والاكتفاء الذاتي .

فلا تعود تجارتنا العربية المتبادلة تشكل ٧٪ من مجموع تجارتنا مع العالم (تستورد مصر الحبوب من الخارج في الوقت الذي تعتبر سوريا مصدراً للحبوب) ولا نستورد من العالم الخارجي ما تقدر مصانعنا العربية على إنتاجه .

إن المشاريع العربية المشتركة قادرة على أن تمنح العمل والرخاء لكل عربي . وتوفر لنا القدرة العربية في كل مجال وأولها المجال العسكري .. الذي يمكن أن يحقق لنا حقوقنا وحريتنا ورخاءنا ونهضتنا .

٢٠ ديسمبر ١٩٦٧

القضية ملك للفلسطينيين

في الأسبوع الماضي قرأت في الأهرام نبأ عن وكالة أ. ش. أمن باريس جاء فيه :

أن جريدة لوموند الفرنسية نشرت حديثا للسيد يحيى حمودة القائم بأعمال رئيس منظمة التحرير الفلسطينية أكد فيه أن كل ما يهم العرب هو تحرير فلسطين من الدولة الصهيونية التوسعية التي أنشئت فيها على أسس عنصرية ودينية والتي تعتبر امتدادا للاستعمار الجديد في الشرق الأوسط . وقال إن العرب واليهود كانوا يعيشون في فلسطين منذ قرون عديدة في صفاء وسلام وكانت تجمعهم المصالح المشتركة والمصير الواحد ولكن الصهيونية أفسدت هذه العلاقات الإنسانية . وأضاف « إننا نقول دائما لليهود حتى لهؤلاء الذين جاءوا إلى فلسطين بعد عام ١٩٤٨ إذا كنتم تريدون حقا السلام والتعايش مع العرب فيجب أن تتحرروا من الصهيونية بوصفها حركة سياسية تقوم على التمييز العنصري والديني . وأن تقبلوا الحياة مع العرب في دولة فلسطينية يتمتع فيها العرب واليهود بحقوقهم كاملة كمواطنين ..

وبعد بضعة أيام قرأت في الأهرام في الصفحة الأولى بعنوان تصريحات حمودة عن فلسطين أسى نقلها في بعض الصحف وجاء في تفاصيل الخبر أن السيد يحيى حمودة قد صرح بأن الحديث الذي أدلى به لصحيفة لوموند الفرنسية والذي نشرته بعض الصحف اللبنانية وأذاعته الإذاعة البريطانية قد أسى نقل أقواله فيه .

وقال « لقد أوضحت أننا لن نسمح بأن تتحول قضية فلسطين —

وهي قضية وطن مغتصب — إلى قضية لاجئين وأكد أن الشعب الفلسطيني سيواصل النضال حتى النهاية وإلى أن يتحقق النصر ..
ولم أعرف بالضبط كيف أسئ نقل أقوال السيد يحيى حمودة . أعنى ما هي أقواله الأصلية وما هي الأقوال التي أسئ نقلها . وهل يعتبر ما نشر في الأهرام نقلا عن وكالة أ . ش . أ . نقلا عن الموند والذى علقت عليه الأهرام في رأيها في اليوم التالى تحت عنوان وضوح الرؤية وصلابة الموقف النضالى بأن الفكر الذى عبرت عنه القيادة الجديدة لمنظمة التحرير الفلسطينية يعبر عن وضوح الرؤية ونضج الفكر لدى القيادة العربية الفلسطينية التى صقلتها المحن والتجارب .

كما يؤكد الحديث السياسى الهام الطابع الإنسانى للحضارة العربية على مر القرون وهو الطابع الذى حاولت الصهيونية إفساده بكل ما فيها من تعاليم عنصرية وبكل ما ارتكب من جرائم ومذابح . وأن هذا الوضوح الذى تتميز به القيادة الفلسطينية العربية الجديدة كفيل بتصحيح كثير من الأخطاء التى تردى فيها رأى العام العالمى بفعل التضليل الصهيونى . وبفعل الأخطاء التى تورطت فيها بعض الدعايات العربية . ويدعم هذا الوضوح زيادة فاعلية النضال المسلح ضد الإرهاب الصهيونى فى الأراضى المحتلة وهو نضال يرى القيادة العربية عن أية مظنة للتراخى فى استرداد الحقوق المغتصبة للشعب الفلسطينى ..

لم أعرف كيف أسئ نقل الحديث السياسى الهام ..
ولكن الذى أعرفه هو أن ما قرأته من تصريح السيد القائم بأعمال منظمة التحرير الفلسطينية بصرف النظر عن التحليل التفصيلى له . قد منحنى إحساسا بأنه يحمل طابعا موضوعيا وأنه يتسم بالشجاعة . ولم أجد مبررا لما جاء بتعليق الأهرام مما يحمل نوعا من الدفاع من القيادة الفلسطينية الجديدة من مظنة التراخى فى استرداد الحقوق المغتصبة للشعب

الفلسطينى . بتأكيد زيادة فاعلية النضال المسلح ضد الإرهاب الصهيونى .

ومناقشة التصريح تبدأ من نقطة اعتبار أن القضية الفلسطينية .. ملك لشعب فلسطين .. وأنه هو وحده الذى يملك حق تقرير مصيره فيها .. ومن أجل ذلك ولأن شعب فلسطين هو مالك قضيته وصاحب حق تقرير مصيره . يجب أن يكون حلها نابعا منه .

ولكن هناك عوامل حيوية يجب أن توضع فى الحسبان . وأولها أن الشعب الفلسطينى جزء من الوطن العربى . وأن أى حل يمكن أن يقرره لحل قضيته إنما يستند فى تنفيذه إلى قوى الوطن العربى كلها . فبرغم أن الشعب الفلسطينى يجب أن يتصدر أية عملية لتقرير المصير الفلسطينى وحل القضية الفلسطينية واستعادة حق الشعب المسلوب فإن إمكانيات الوطن العربى كله لا غنى عنها فى فرض هذا الحل كما أن الشعوب العربية الأخرى لا تعتبر إسرائيل والصهيونية مجرد مشكلة فلسطينية بل هى مشكلة عربية تهدد كل بلد عربى بالتوسع العدوانى .

وبهذا الفهم يتأكد أن القضية الفلسطينية ملك لشعب فلسطين ينبع حلها منه . بالإمكانيات العربية كلها . لأنها لا تهدد فلسطين وحدها بل تهدد الوطن العربى كله .

وإذا كان حل القضية الفلسطينية يجب أن ينبع من الشعب الفلسطينى بإمكانيات الوطن العربى كله والشعب الفلسطينى فى الصدارة فيجب أن يكون الحل النابع من الشعب الفلسطينى ، دارسا تماما لإمكانيات الوطن العربى .. وأن يكون عمل الشعب الفلسطينى ضمن تخطيط قائم على إمكانيات الشعب العربى المضمونة المؤكدة .

ولست أظن أن هناك شعبا عربيا يخل على الشعب الفلسطينى بكل إمكانيات يملكها والتجارب قد وضعت الشعب العربى فى امتحان (من وراء الغيم)

عملي .. أثبت أن قضية فلسطين ، رغم أنها ملك الشعب الفلسطيني ،
هي قضية كل عربى .. لأن فلسطين جزء من الوطن العربى ولأنها فعلا
تهدد المصير العربى كله .

وعلى ذلك لا يجب أن نعزل القيادة الفلسطينية فى عملها أو فى تفكيرها
أو فى تخطيطها عن العمل العربى كله .. بالإمكانات العربية كلها ..
ورغم أن هناك هدفا واضحا لا محيد عنه تحتّمه المبادئ والحقوق ..
فإن الهدف .. أى هدف يجب ألا يكون حلما أو أمنية .. بل يجب أن
توضع الخطط العلمية المحكمة لتحقيقه وبقدر الإمكانات .. يجب أن
تحدد الخطى التى توصل إلى الهدف .. خطوة خطوة .

يجب أن نسأل أنفسنا دائما .. ماذا نريد .. وكيف وبماذا ومتى ..
يجب أن تكون الأسئلة دائما مقرونة بإجابة محددة .. واضحة .
فماذا نريد فقط .. يسهل قولها كأمنية .

ولكن عندما نضع أمامها كيف وبماذا ثم متى .. تتحول من مجرد
أمنية .. إلى هدف .. له محطات للوصول بإمكانات واضحة فى أوقات
محددة ويحتاج إلى حشد القوى العربية الممكنة كلها وتخطيط العمل بهذه
القوى .. فى مخطط مترابط متناسق .

وينقلنا هذا الكلام العام إلى .. أسئلة محددة .. يجب على القيادة
الفلسطينية أن تحدد لها لوضع حل القضية الفلسطينية الذى يجب أن ينبع من
الشعب الفلسطينى بإمكانات الوطن العربى — وأولاها كما قلت —
إمكانات الشعب الفلسطينى نفسه كصاحب القضية الأصلية وجزء من
الوطن العربى .

الهدف الأصلى هو استعادة حق الشعب الفلسطينى فى وطنه وأرضه .
ولقد اندفعنا كلنا فى سبيل تحقيق هذا الهدف بالقول والفعل وكانت
النتيجة هى وقفنا الآن وإسرائيل تحتل كل فلسطين وأجزاء من بلاد عربية

أخرى غير فلسطين .

ورغم استمرار وجود الهدف الأصلي .. فلقد نبت هدف فرعى يجب أن نحققه قبل معاودة الوصول إلى الهدف الأصلي .. أو حتى في الطريق إليه .. وهو إزالة آثار العدوان .

وهنا يبرز السؤال التالي مباشرة كيف ؟ .. وبماذا ؟ .. ومتى ؟ ..
أما كيف ؟ .. فهذا هو ما يجب أن توضح صورته في أذهاننا .
ما هي الصورة التي نتصور فيها الشعب الفلسطيني مستردا حقه في وطنه ؟

وقبل أن نجيب على السؤال يجب أن نجيب على السؤالين الآخرين ..
بماذا ؟ ومتى ؟ .. لأن هذين السؤالين بلا جدال سيحددان شكل
الصورة التي يمكن أن نهدف إلى تحقيقها .

على أية حال يجب أن تكون هناك صورة واضحة في أذهاننا ..
ويجب أن تكون لدينا الشجاعة في إبرازها وإبراز الإمكانات التي يمكن أن نحققها بها .

ومن هذه الصورة يجب أن ينبع العمل الفلسطيني فكرا وعملا .
إن القضية الفلسطينية رغم أنها ملك للشعب الفلسطيني .. ورغم أن حلها يجب أن ينبع من الشعب الفلسطيني .. فإنه يجب أن يكون بإمكانات الوطن العربي التي في اليد — لا التي على الشجرة — وأن يكون العمل الفلسطيني جزءا منه وفي الصدارة من خطته .

١٠ يناير ١٩٦٨

إنه مصيرنا كيف نواجهه ؟

● أعمال إسرائيل العدوانية المستمرة .. تؤكد أن إسرائيل قد شرعت بالفعل في قطف ثمار العدوان . يؤكد ذلك سلسلة الأعمال التالية التي تتواتر أنباؤها يوما بعد يوم .

١ — ضم القدس ونقل ٣٨ سفارة إليها من تل أبيب كمحاولة تثبيت ضمها .

٢ — إقامة المستعمرات في الأراضي المحتلة .

٣ — نزع الملكية العربية في بعض المناطق لتوطين اليهود فيها .

٤ — تغيير اسم مدينة نابلس العربى إلى سميريا الإسرائيلى .

٥ — إلغاء القرار الخاص بعدم شراء اليهود للأراضي في غزة .

٦ — قتل المدنيين وإرهابهم وتهديم بيوتهم لإرغامهم إما على ترك ديارهم لإحلال اليهود محلهم أو البقاء مع الخضوع للسلطة غير الشرعية وخلق موقف يتسم بالشرعية في مناطق الاحتلال .

وإسرائيل تحاول أن تثبت الأوضاع الناتجة عن العدوان بالاستمرار في الحصول على مزيد من الأسلحة الأمريكية والتأييد الأمريكى الذى أعلن أنه يمنح لها لغرض الدفاع . والدفاع هنا — بغير جدال — يقصد به الدفاع عن مناطق الاحتلال ومكاسب العدوان ..

وتثبيت إسرائيل للأوضاع الناتجة عن العدوان يقصد به :

١ — تأمين إسرائيل ومستقبل إسرائيل .

٢ — تحقيق أكبر قدر من مكاسب العدوان .. التى تمثل إحدى

خطوات إسرائيل في تحقيق حلمها المعروف : « إسرائيل الكبرى » .

وخطه إسرائيل تبدو لنا واضحة . ووسائل تحقيقها خطوة خطوة .. كانت تحشد دائما من أجل تنفيذ الجزء المناسب لما تملك إسرائيل من وسائل .

وإذا اعتبرنا الهدف النهائي لإسرائيل هو إسرائيل الكبرى . فإننا نرى أن إسرائيل لم تقفز مرة واحدة إلى هدفها . وإنما استمرت تسعى إلى تحقيقه على خطوات يمكن ترتيبها كالاتي :

- ١ — الوجود الإسرائيلي : بعدوان ١٩٤٨ وطرد العرب .
- ٢ — استمرار التهجير لشغل الأرض المحتلة وتعميرها .
- ٣ — محاولة تأمين إسرائيل وتثبيت وجودها في المنطقة وضمها مستقبلها . بعدوانين أولهما عام ١٩٥٦ وثانيهما عام ١٩٦٧
- ٤ — محاولة التوسع العدواني وكسب مزيد من الأرض وتنشيط حركة التهجير في سبيل بسط رقعة إسرائيل بحيث تتسع شيئا فشيئا لتصل إلى حدود إسرائيل الكبرى . وفي كل عدوان استطاعت أن تكسب شيئا . كسبت النقب عام ١٩٤٨ ومضيق تيران عام ١٩٥٦ واحتلال الأراضي التي احتلتها من البلاد العربية للمساومة على تأمين إسرائيل مع كسب مناطق جديدة شرعت إسرائيل فعلا في ضمها .

ولقد كانت وسيلة إسرائيل في تنفيذ خططها .. القوة المسلحة . وكل هذا الذي ذكرته لا يحمل معلومات جديدة حتى أحاول أن أعيد نشره . ولكنني فقط أذكره لكي أقارن بينه وبين خطط العرب لمواجهة إسرائيل ووسائلها في تنفيذ هذه الخطط .

إذا وضعنا لأنفسنا هدفا كبيرا مقابل هدف إسرائيل في إنشاء دولة إسرائيل الكبرى . فلا شك أن هذا الهدف هو إعادة وجود فلسطين العربية . وإنهاء الوجود الإسرائيلي المبني على إقامة دولة عنصرية عدوانية تمارس العدوان والتفرقة العنصرية وتشكل رأس جسر للاستعمار في البلاد

العربية يهدد وجودها وأمنها وتقدمها .

وإذا كانت إسرائيل تهدف إلى إنشاء إسرائيل الكبرى فمن حق العرب أن يهدفوا إلى إعادة فلسطين العربية التي يعيش فيها كل المواطنين الفلسطينيين الذين نشأوا في فلسطين سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين أو يهودا يجمعهم وطن واحد ويتساوون في الحقوق والواجبات . بلا تفرقة دينية أو تميز عنصري .

ذلك هو الهدف الأكبر وهو هدف عادل طبيعي بعد أن اغتصب اليهود من شتى أنحاء العالم ممتلكاتهم وسلبوا وطنهم .

والهدف لا يمكن أن يكون محل مناقشة . ولكن الخطة لتحقيقه والوسائل لتنفيذ الخطة هي التي يجب أن تناقش .. وإذا كانت إسرائيل لم تثب مرة واحدة لتواجه العالم بلأنها تريد أن تحقق وجود إسرائيل الكبرى .. لأنها لا تملك الوسائل لها .. بل أخذت تتقدم خطوة خطوة في تحقيق هدفها بقدر ما تملك من وسائل . فإن من الطبيعي أن نتقدم نحن إلى هدفنا أيضا خطوة خطوة وبقدر ما نملك من وسائل .

لقد أصررنا دائما أنه ليس أمامنا ما نفعل أقل من الوثب إلى الهدف . وهو إعادة الوطن الفلسطيني وإنهاء الوجود الإسرائيلي دون وضع خطة كاملة تيسر لها الوسائل التي نملكها لتنفيذ هذه الخطة أو جزء منها . بل لو سألنا أنفسنا ماذا يمكن أن نفعل لو قدر لنا أن نصل إلى تل أبيب . ودمرنا كل ما تملك إسرائيل من قوات مسلحة ؟

نجد السؤال محيرا ؟

ماذا نفعل بالمليون يهودي الذين يحتشدون في إسرائيل ؟
لقد كانت المسألة سهلة لو أن إسرائيل ما زال بها النصف مليون يهودي الذين كانوا بها قبل ١٩٤٧ وكان من الممكن أن نعيد العرب إلى أراضيهم وننشئ دولة فلسطينية عربية يمارس فيها كل مواطن حقه أيا كان دينه .

ولكن الآن إسرائيل يشغلها ٢ مليون يهودى .. (تحاول السلطات الإسرائيلية زيادتهم بشتى وسائل الإغراء فى التهجير) فما العمل فى هؤلاء .. المليونى بشر الموجودين فى الأرض الفلسطينية هل يعاد ترحيلهم إلى بلادهم .. هل نقذف بهم فى البحر ؟
هذه مشكلة أحسن التصورات .

ولقد أعلن السيد يحيى حموده فى تصريحه لجريدة لموند (والذى قيل إنه نقل محرفاً) .. شكلاً واضحاً .. للهدف الكبير .. وهو إيجاد الدولة الفلسطينية العربية .. التى يمكن أن تتسع حتى هؤلاء الذين جاءوا بعد عام ١٩٤٨ والذين يمكن أن يعيشوا إلى جانب العرب ليمارسوا حق المواطن فى مساواة تامة .

ومن قبل ذلك .. لم يكن أحد يجروء على أن يحدد أو يصرح .. بماذا يمكن أن يكون عليه شكل الهدف الأكبر إذا أمكن تحقيقه .

وتحقيق الهدف الكبير وهو إعادة فلسطين العربية التى تتسع لكل المواطنين وإنهاء الوجود الإسرائيلى والقضاء على الصهيونية يحتاج إلى وضع خطة كبيرة .. ويحتاج كما قلت إلى تحديد الوسائل القادرة على تنفيذ هذه الخطة . سواء كانت وسائل سياسية أو اقتصادية أو عسكرية .

ولكن الذى يحدث هو أننا لا نعرف سوى شئ واحد .. هو أننا نريد تحقيق هذا الهدف فقط . ثم نطلق .. فى جهود مشتتة .. لكى نصل إلى تحقيقه بلا خطة محددة وبلا وسائل لتنفيذ الخطة .

وإذا استعرضنا الموقف المقابل لما هو موجود فى إسرائيل وجدناه باختصار وبساطة يتلخص فيما يلى :

- ١ — أراض محتلة من مصر وسوريا والضفة الغربية لنهر الأردن غير الأراضى الأصلية التى سبق احتلالها من فلسطين .
- ٢ — المقاومة الشعبية المسلحة تشتد فى الأراضى المحتلة .

٣ — القوة المسلحة في الجمهورية العربية المتحدة قد عادت إلى أفضل مما كانت عليه قبل العدوان وهي قادرة على صد أى هجوم وتواصل استعدادها لكي تملك القدرة على استعادة الأرض المحتلة بالهجوم إذا لم يكن هناك — وهو ما يبدو حتى الآن — سبيل غيره .

٤ — الدول العربية تقوم بالدعم الاقتصادى الذى أقره مؤتمر الخرطوم لكي تواصل البلاد المعتدى عليها قدرتها على مقاومة أى ضغط اقتصادى والصمود أمام أى نوع من الضغوط .

٥ — قرار مجلس الأمن بتأرجح به تاريخ هنا وهناك في عجز واضح عن الوصول إلى حل سياسى للمشكلة .

٦ — العجز عن عقد مؤتمر قمة عربى . سوريا تريد الهجوم والسعودية تريد الدراسة ..

٧ — اللجنة الثلاثية للمصالحة عاجزة عن التوفيق بين طرفى الخصومة فى اليمن .

٨ — وزير الخارجية المصرية يزور البلاد العربية للدراسة وتبادل وجهات النظر . والقيام بما لم يقم به مؤتمر القمة الذى لم يعقد .
والصحافة تعرض خطورة الموقف وخطورة ما تقوم به إسرائيل من محاولات لقطف ثمار العدوان وتناقش الحلول التى تلخص فيما يلى :

١ — محمد حسنين هيكل يلح على ضرورة العمل العربى المشترك وعلى أهمية دور مصر ومسئوليتها فيه وعلى ضرورة وضع صيغة ملائمة وأسلوب صحيح للعمل العربى المشترك .

٢ — فى رأى للأهرام يرى الأهرام ضرورة التعجيل بتوحيد قوى المقاومة الفلسطينية وفى رأى آخر يرى ضرورة وضع القضية فى يد الشعوب وأن على السلطات الحاكمة أن تطلق الطاقات النضالية العظيمة للشعوب العربية .

٣ — وكتب إحسان عبد القدوس يقول إن الواقعية هي أساس التفكير السليم ولكن الاعتراف بالواقع يجب أن يكون نقطة ارتكاز للانطلاق إلى تحقيق واقع أفضل والوصول إلى مصالح أكبر . وأنه يجب أن ينبع من تفكير دراسي علمي ولا ينطلق من الهزيمة ولا يتنازل عن حق ولا يتجاهل المستقبل ويراجع ولا يتراجع .

٤ — وأحمد بهاء الدين قد كتب رؤية في أن الفلسطينيين يجب أن يكونوا لفلسطين قبل أن تكون فلسطين للفلسطينيين . وأكد بوجوب إنشاء الدولة الفلسطينية أيا كان شكلها ملكية أو جمهورية لتضم جميع الفلسطينيين الذين يكونون فلسطين التي يمكن أن تكون المنطلق لاستعادة الوطن السليب لإيجاد فلسطين العربية الكبرى .

٥ — وفتحى غانم يرى أن المهمة العاجلة التي تواجهنا تتطلب في المقام الأول الإعداد العملي والمواجهة العملية المباشرة للعدوان عن طريق الحل السياسي أو عن طريق الحل العسكري . وبعد أن تحقق هدف إزالة العدوان علينا أن نفكر في حل أساسي للعلاقات العربية في إطار مبدأ الوحدة العربية والتحرر العربي .

٦ — ويرى موسى صبرى في الأخبار أن معالجة الموقف لا تحتل أكثر من مسيرتين .. مسيرة صادقة نحو سياسة موحدة في كفاح طويل المدى يحتاج إلى التخطيط العلمي الدقيق . ومسيرة تواجه مرحلة التهديد القائم على أساس من حقيقة القدرات المختلفة وهي قدرات ضخمة لو أحسن استعمالها .

٧ — ويرى أحمد حمروش في روز اليوسف أن الجماهير تعيش مرحلة انتظار وترقب للحل السياسي الذي يمكن أن تسفر عنه الاتصالات مع يارنج كما تنتظر الجديد في العمل العربي المشترك من ناحية التعاون الإيجابي في أي عمل عسكري محتمل كما تترقب تطورا حقيقيا في قواتنا المسلحة

لتكون دائما في مستوى المعركة .

* * *

ولا جدال في أن كل هذه الآراء تكون رصيда ثمينا يعيننا على التفكير في كيفية مواجهة الخطر الذي يحدق بنا .
ولكنني أشعر مع كل هذا أننا نعيش في دوامة ترقب وقلق .. وأنه ليس هناك شيء صلب محدد الكيان يمكن أن نواجه به الخطر .

* * *

وعندما انتهى مؤتمر الخرطوم إلى ثلاثة تأكيدات يمكن أن نواجه بها الخطر هي : لا صلح مع إسرائيل ، لا مفاوضات مع إسرائيل ، لا اعتراف بإسرائيل .

أحسست أنها ثلاثة محظورات .. يجب ألا تقع فيها .. دون أن يكون هناك ما يقابلها من خطوات محددة إيجابية لمقاومة الخطر ودرئه .. ولإنقاذ الأرض واستعادة الحقوق الضائعة .

ليس أمامنا شيء محدد إلا الهدف البعيد الذي نؤكد جميعا وهو استعادة شعب فلسطين لوطنه السليب والهدف القريب وهو إزالة آثار العدوان ، ويتحتم علينا عندما نفكر في تحقيق أهدافنا هذه أن نضع الخطة ونوجد الوسائل .

وليس هناك خطة يمكن أن توضع دون أن تكون مرتبطة ارتباطا كاملا بوسائل تنفيذها .

فالخطة توضع لتحقيق هدف .. ولكنها تقوم على الوسائل المتيسرة .
وإذا لم تكن الوسائل كافية .. فيجب أن يحدد الهدف الجزئي الذي يمكن تحقيقه بالوسائل الممكنة .. في الوقت الذي يوضح فيه التخطيط اللازم لإعداد الوسائل الكاملة وحشدتها من أجل تنفيذ الخطة اللازمة لتحقيق الهدف الأكبر .

ومن كل ما قاله الكتاب وفكر فيه المفكرون .. ومن كل التجارب التي مرت بنا .. يبدو أن هناك حقيقة واحدة .. هي أن مواجهة إسرائيل .. وتحقيق الهدف العربى .. يجب أن يكونا بعمل عربى مشترك .. مبنى على وحدة القوى العربية .. ولكن لا يمكن أن تترك المسألة مطلقة بغير تحديد .. بل يجب أن تحدد مراحل للخطوة حسب الإمكانيات يحقق بها الأهداف الجزئية .. التي توصل للهدف الأكبر .

لأننا لا نستطيع الآن .. ومرة واحدة .. أن نحدد للعمل العربى المشترك المتيسر حاليا هدف إنقاذ فلسطين .. والقضاء على الصهيونية .. رغم أن هذا هو الهدف النهائى .

ولكن يجب أن نحدد حسب ما ييسره العمل العربى المشترك الآن .. ما يمكن تحقيقه به .. فى الوقت الذى نحدد الخطوات اللازمة .. لإنهاء العمل العربى المشترك بحيث يصل فى النهاية إلى القدرة على تحقيق الهدف النهائى .. ولو بعد مائة عام .

يجب أن تكون الخطوات الموصلة للهدف النهائى واضحة .. ويجب أن تكون وسائل الوصول إليها محددة .. حسب قدرتنا العربية التي يمكن حشدتها بالعمل المشترك .

يجب ألا نطلق القدرات مبعثرة .. حسب ما يمليه الحماس .. وراء الأمنى البعيدة .. التي لا يمكن لقدراتنا تحقيقها .

إن هذا مصيرنا .. وإذا كنا فى أقل منه نضع التخطيط العلمى الذى يهيئ لنا الإمكانيات لتحقيق الخطوة .

فكيف لا نضع التخطيط للمصير الذى يواجه الأمة العربية كلها .
يجب علينا أن نملك الشجاعة لمواجهة الناس .. وإذا كنا نقول للشعب .. فى مسائله العادية لا يمكن أن نحقق كذا .. لأننا لا نملك إلا كذا ، فيجب أن نواجه الشعب العربى كله .. لنقول له سنفعل كذا لأننا

لا نملك إلا كذا .. وسنبني الامكانيات لكي نحقق كذا
وكذا ..

إننا نملك الامكانيات الكبرى .. ونملك الصبر .. ويجب أن نملك
الشجاعة لمواجهة أنفسنا قبل أن نواجه الآخرين .

٢٤ يناير ١٩٦٨

الطريق مسدود أمام الحل السياسى

تعرضت إسرائيل لعملية إخراج السفن المحتجزة بالسلاح .
ومنذ أن وجدت إسرائيل وهى تفرض وجودها بالسلاح .
والسلاح قد يكون وسيلة مؤقتة لفرض وجودها لزمن ما .. ولكنه لن
يكون أبدا الوسيلة الطبيعية لفرض وجود طبيعى بصفة دائمة .
فالقدره على العدوان المستمدة من قوة البطش لم تكن لها أبدا فى حياتنا
صفة الدوام .. حتى تصبح أسلوبا لفرض وجود دائم .. فقوة البطش فى
الكائنات وفى المجموعات .. ظاهرة تتصاعد حتى تصل إلى قمته ثم تنحدر
حتى تصل إلى نهايتها .. تشهد بذلك الحياة البسيطة للأفراد .. التى تبدأ
بالولادة وتنتهى بالموت .. الذى يكون خاتمة لبطش أى فرد مهما
تصاعدت به قوته إلى قمة الجبروت والعدوان ، وكذلك يشهد تاريخ الأمم
بأن بطشها المعتمد على القوة إنما هو مرحلة من مراحل التاريخ طالت أم
قصرت لا بد أن تنتهى بانحدار القوة الباطشة حتى تصل إلى الانحلال
والذوبان .. وتاريخ الإمبراطوريات الباطشة يقدم الدليل الواضح على أن
القوة موجهة مهما علت فهى لا تلبث حتى تنحسر على شاطئ الزمن تتساوى
فى ذلك الإمبراطوريات القديمة والحديثة منذ الإمبراطورية الرومانية ..
والفارسية .. حتى النازية والبريطانية .

وإذا كان التاريخ قد حكم على إمبراطوريات القوة بالزوال .. فإن
إسرائيل لم تصل إلى مرتبة إمبراطوريات القوة .. وإنما هى مجرد ذنب .. لا
يملك قوته الذاتية .. إلا من قوة سيده إسرائيل تعتمد فى وجودها .. على
قوة البطش الأمريكى .. وحتى هذه القوة .. لم يعد تاريخنا الحديث

يمهلها .. كما أمهل التاريخ سواها فيما غير من الزمن .. ولا عاد لها قوة البطش المطلقة التي كانت تملكها قوى العدوان السابقة .. فأمريكا .. اليوم .. وهى فى أوج قوتها .. قد مرغ أنفها الشعب الفيتنامى فى التراب واحتل سفارتها ومراكز قيادتها والمدن التى تسيطر عليها .. وجعل الجنود الأمريكين يفرون كالأرانب .

وتلك هى القوة التى تستمد منها إسرائيل قدرتها على العدوان .. قوة ليست مستمرة بحكم النظام الطبيعى للوجود .. وهى مع ذلك يمرغ أنفها فى التراب شعب لا يملك غير الإيمان بوجوده والتصميم على انتزاع حريته . ولقد ردت القوات المصرية المسلحة .. على آخر بلطجة إسرائيلية ردا عنيفا وأدبتها جيدا .. بما يؤكد لإسرائيل .. أن القوة يمكن أن تجد قوة تقابلها وتفوقها .. لكى تبطل مفعولها .. وتمنعها من فرض إرادتها . والدرس المستفاد من حركة إسرائيل الأخيرة .. هو أن إسرائيل .. لا تريد حلا سياسيا .. بمعنى التفاهم السياسى ولكنها تريد أن تفرض ما تريد بقوة السلاح .. أو التهديد به .. والتفاهم فى هذه الحالة لا يمكن أن يكون إلا .. بنفس الأسلوب أسلوب الرد بالسلاح أو التهديد به ..

ولقد أمضى مبعوث الأمم المتحدة كل هذه الفترة التى أمضاها متجولا فى الشرق الأوسط .. وهو يوشك أن ينهى مهمته هذا الأسبوع وهو مقتنع بأن مهمته تكاد تكون مستحيلة وأن محاولته فى تنفيذ قرار مجلس الأمن لم تحرز أى نجاح .. ولقد استغرقت مهمة يارنج حتى الآن ما يربو على الشهرين ونصف الشهر ، وكان مجلس الأمن على وشك أن يحدد مهمته بمدة شهر ولكنه منحه فرصة مفتوحة حتى يواصل جهوده .. لعلها تثمر فى النهاية .. والذى يبدو أن القرار الذى يحمله يارنج .. لا يطلب شيئا إيجابيا من العرب .. بحيث يمكن أن يكون امتناعهم عن فعله عقبة فى سبيل

تنفيذه .. وإنما أول ما يطلب القرار في أولى فقراته هو انسحاب القوات الإسرائيلية من المواقع التي تمكنت من احتلالها يوم ٥ يونيه .
وانسحاب إسرائيل .. لا يتطلب شيئا من العرب .. وإنما يتطلب من إسرائيل أن تقوم به وحدها ولو أنه يتطلب عملا إيجابيا من العرب لما كان هناك من حاجة إلى يارنج .. ولا إلى قرار مجلس الأمن .. لأن العرب سيقومون به .. عندما .. تكمل العدة له .. ولا يكون أمامهم غيره .
وإذن فإسرائيل هي التي عليها أن تقوم بشيء إيجابي لتنفيذ قرار الأمم المتحدة ولكن إسرائيل أصرت على ألا تقوم بأي عمل سوى التفاوض المباشر مع العرب .. وهو أمر مع التسليم بأنه مستحيل من وجهة نظر أي عربي .. فإنه أيضا لا وجود له في القرار الذي يحمله جوناواريارنج .
وإسرائيل بذلك تريد أن تفرض إرادتها .. لا أن تفاهم .. وهي تريد أن تفرض إرادتها بقوة العدوان الذي قامت به في ٥ يونيو .. وإرادتها ليست مجرد .. تأمين وجودها .. بل عمليات نهب في شتى الأراضي العربية .. تمارس الآن فعلا .. بكل ما تملك إسرائيل من أساليب العنف والقوة .. وتشريد العرب وتدمير ممتلكاتهم وطردهم من أراضيهم .

وبعد ..

نعود مرة أخرى .. لنقول كما قلنا في كل مرة نظرق هذا الموضوع .
يجب أن يحشد العرب كل ما لديهم من قوة حالية .. يجب أن توضع خطة موحدة لمواجهة إسرائيل .. بالقوات المسلحة .. لأن إسرائيل تعتمد على القوة المسلحة في ضربنا وفي فرض إرادة النهب لممتلكاتنا والسيطرة على أراضيها .

**

لا يكفي أن تصل القوة المسلحة المصرية إلى ما كانت عليه .. ولا

يكفى أن نستمر في التدريب حتى نصل إلى مرحلة القدرة على الهجوم فليست مصر وحدها هي التي تتعرض لعدوان إسرائيل .. ولكنهم العرب جميعا .. فيجب أن يحشد كل بلد عربى كل ما يستطيع من قوة مسلحة ويجب أن يصل بتدريبيها إلى أقصاه .

ولا يكفى هذا ..

لا يكفى أن يكون كل جيش قويا مدربا قادرا بمفرده .

ولكن يجب أن تكون الجيوش العربية كلها قوة واحدة توضع في خطة واحدة .. وتتحرك لهدف واحد ، فعندما يتهم العرب بأن ٢ مليون إسرائيلي هزموا مائة مليون عربى .. يجب أن ينصف العرب أنفسهم فيضعوا قدرة المائة مليون عربى فعلا في مواجهة الـ ٢ مليون إسرائيلي . ولن يكون هناك سبيل لردع إسرائيل إلا حشد قوى العرب المسلحة وتنميتها وتدريبها إلى الحد الذى يجعلها قادرة على الحركة العسكرية الموحدة .. والعمل الحربى المشترك.

إن إسرائيل .. فى كل ما تفعل فى مواجهتنا .. تقيم قدرتها على القوة المسلحة .

ولن يكون هناك سبيل لمقاومتها إلا بالقوة المسلحة .. استعمالا .. أو تهديدا .

إن العرب لا يؤمنون بالقوة المسلحة كمظهر للوجود .. لأن حضارتهم أعرق وتاريخهم أعرق وتاريخهم أعظم من أن يعتمدوا فى وجودهم على قوة أسلحة .

ولكن عندما يهدد مصيرهم بالقوة المسلحة .. لا بد أن تكون لديهم القوة المسلحة الكافية لمواجهة هذا التهديد .

وإذا كانت إسرائيل تنتفخ غرورا وتمنح لنفسها موقف المتعالى الذى يملى الشروط بمحاولة فرض التفوق العسكرى .. ولانتصارها فى معركة من

المعارك .. فإن كرامة العربى .. ومصيره .. ومستقبل أجياله القادمة ..
تحم عليه أن يسترد كرامته وأرضه وعزته .. بمواجهة عسكرية .. تلوى
عنق إسرائيل .. وتخفض رأسها .
إن هذا من حق العرب على أنفسهم .. ومن واجبهم نحو أجيالهم
القادمة .

٧ فبراير ١٩٦٨

لكى لا نبدأ .. من الصفر

أبدأ الحديث بجملة وردت فى مقال الأستاذ محمد حسنين هيكل الأسبوعى عن الجامعة العربية وعجزها — بأوضاعها التى هى عليها — عن أن تكون المجال الصحيح الذى نستطيع فى نطقة تحقيق ما تتطلبه الظروف من عمل عربى مشترك .

والجملة تدلل على أحد مظاهر العجز الذى يشل الجامعة وأجهزتها .. وهى « لا بحث داخل الجامعة له قيمة ولا فكرة تلمع ولا تحرك يستطيع أن يشد أى انتباه » .

ولقد قال الأستاذ هيكل فى مقدمة مقاله « إن هناك اعتقاداً شائعاً يلقى اللوم كله فى هذا العجز على الجامعة نفسها أو بمعنى أدق على الأمانة العامة للجامعة وذلك فى ظنى ليس دقيقاً كل الدقة إلى جانب أنه مبالغة فى تبسيط الأمور .. إن جامعة الدول العربية تتحمل بغير شك جزءاً من المسئولية ولكن من الإنصاف أن نقول إن المسئولية الأكبر بعيدة عنها وهى من صنع غيرها » .

وأعفى الأستاذ هيكل أمانة الجامعة من المسئولية الأكبر عندما لخص تحليله للتناقضات التى مرت بها الجامعة بأنها لم تعد حشداً لكل ما هو عربى وإنما أصبحت حشداً لكل ما هو سلبى .. وأنها لم تعد محصلة عملية جمع للطاقات العربية وإنما أصبحت محصلة عملية طرح لهذه الطاقات بعضها يلغى فعل بعضها الآخر ووجوده .

ولكنه لم يعف الأمانة من المسئولية الأكبر التى هى من صنع غيرها . وعدد المفارقات التى أساءت إلى صورة الجامعة — رغم تضائل

دورها — وهى أن المغرب العربى لم يمثل بمسئول واحد وأن السعودية لها موظف غير موجود ومسئولو الإدارات لا علاقة لهم بالمسئولية وأن مكاتب الجامعة فى الخارج أضحوكة .
ثم آخر هذه المفارقات ما ذكرته فى أول الحديث من أنه :
« لا بحث داخل الجامعة له قيمة ولا فكرة تلمع ولا تحرك يستطيع أن يشد أى انتباه » .

ولست أظننى سأضع نفسى موضع المدافع عن أمانة الجامعة . لأنى أعتقد أنه إذا كان هناك دفاع عنها فلست أنا الذى أملك أسبابه .. إذا وجدت .

ولكننى فقط أشعر أن تسليمنا بأنه لم يحدث فى الجامعة تحرك يستطيع أن يشد أى انتباه .. يجعلنا نبدأ من الصفر إذا أردنا التحرك نحو عمل عربى مشترك .. بينا هناك قاعدة للانطلاق ساهمت فى وضعها جهود عربية مخلصه قادرة .. وأن بعض ما اقترح الأستاذ هيكل القيام به فى المجال العربى المشترك فى المرحلة الثانية قد وضعت أسسه فعلا وتحول إلى اتفاقيات أمضتها بعض الدول العربية ، وأن التوقف عن تنفيذها لا يمكن أن ترجعه إلا إلى العلة الحقيقية فى قصور كل عمل عربى مشترك وهو التناقضات التى كانت تشمل البلاد العربية والتى قال عنها الأستاذ هيكل إنها جعلت الجامعة العربية حشدا لكل ما هو سلبى بدلا من أن تكون حشدا لكل ما هو عربى .

وإذا اعتبرنا قرار مؤتمر الرؤساء العرب فى دورته الثانية بلورة لجوهر العمل العربى الموحد :

« إن المجلس يوجه عناية خاصة إلى دعم التعاون الاقتصادى العربى وتنفيذ الاتفاقية الخاصة به بوصفه الأساس الأول للقوة والتقدم العربيين وللمقدرة على مواجهة التحديات الأجنبية فضلا عن أنه الهدف الأول

للتجمعات الدولية المعاصرة » .

وإذا اعتبرنا ما قاله الرئيس جمال عبد الناصر عن أهمية العمل العربى الموحد تأكيداً لدور الوحدة الاقتصادية فى العمل العربى المشترك :
« نحن نعتقد أن نظاماً عربياً جديداً يمكن أن يولد يعطى العالم العربى دفعة كبيرة فى عصر التجمعات الاقتصادية الكبيرة فى هذا العصر وما تقتضيه ظروفه من مطالب التكنولوجيا والموارد المنسقة والأسواق المفتوحة .. إن الدول العربية لا تستطيع أن تحقق أهداف نموها بالسرعة الواجبة وكل منها على انفراد وفى عزلة عن الباقين » .

ولقد حدث تحرك من الجامعة العربية فى هذا السبيل الحيوى الخطير .. وإذا كان هذا التحرك لم يشد انتباه أحد . فالمسئولية لا تقع على من قام بالتحرك .. وإنما على من استطاعوا أن يجمدوا الحركة .. بحيث تصبح هى والعدم سواء :

* أول هذه التحركات فى عام ١٩٥٣ حيث وضعت اتفاقية تسهيل التبادل التجارى وتنظيم تجارة الترانزيت بين دول الجامعة العربية .
وافق المجلس الاقتصادى عليها فى دور انعقاده الرابع ووقعت عليها كل من الأردن وسوريا والسعودية ومصر واليمن والعراق ولبنان .. وهى تقضى بتسهيل تبادل الإنتاج الزراعى والحيوانى والثروة الطبيعية والإنتاج الصناعى .

* وثانيها اتفاقية تسديد مدفوعات المعاملات الجارية وانتقاء رءوس الأموال فى نفس العام ، وصدقت عليها نفس الدول وهى تعمل على تسهيل تمويل مدفوعات المعاملات الجارية وانتقال رءوس الأموال العربية للمساهمين فى مشاريع الإعمار مع عدم خضوعها لأية رسوم أو ضرائب استثنائية تفرض للحيلولة دون ذلك الانتقال .

* وثالثها شركة البوتاس وغايتها استغلال أملاح البحر الميت ووقعت

عليها في سنة ١٩٥٦ نفس الدول العربية السابقة .

* ورابعها إنشاء المؤسسة المالية العربية للإئتماء الاقتصادي برأسمال ٢٥ مليون جنيه ووقعت بتاريخ ١٩٥٧ من الدول السبع السابقة مضافا إليها المملكة الليبية ودولة الكويت والغرض منها التنمية الاقتصادية في البلاد العربية بتشجيع المشروعات الإنتاجية للحكومات والهيئات والأفراد على النمو سواء بإقراضها أو ضمان قروضها أو المساهمة فيها أو إعداد الدراسات الفنية لها ووسيلتها إلى تحقيق أغراضها :

١ — المساعدة على تمويل المشروعات الإنتاجية التي تساهم في إئتماء اقتصاديات البلاد .

٢ — العمل على توظيف رؤوس الأموال الخاصة بما يحقق أفضل استغلال للإمكانات الاقتصادية في البلاد الأعضاء والاستعانة في ذلك بالخبرة الفنية والإدارية .

٣ — العمل على جذب رؤوس الأموال الخاصة لاستثمارها في المشروعات الإنتاجية .

* وخامس هذه التحركات وأهمها اتفاقية الوحدة الاقتصادية بين دول الجامعة العربية .. وقد وافق عليها المجلس الاقتصادي في عام ١٩٥٧ ووقعت عليها الأردن وسوريا ومصر والكويت والمغرب والعراق واليمن في عام ١٩٦٢ وعام ١٩٦٣

وتقضى هذه الاتفاقية بأن تقوم بين دول الجامعة العربية وحدة اقتصادية كاملة تضمن بصورة خاصة لتلك الدول ولرعاياها على قدم المساواة :

١ — حرية انتقال الأشخاص ورؤوس الأموال .

٢ — حرية تبادل البضائع والمنتجات الوطنية والأجنبية .

٣ — حرية الإقامة والعمل والاستخدام وممارسة النشاط الاقتصادي .

٤ — حرية النقل والترانزيت واستعمال وسائل النقل والموانئ والمطارات المدنية .

٥ — حقوق التملك والإيضاء والإرث .
وسبيلها إلى تحقيق هذه الأغراض :

١ — جعل البلاد العربية منطقة جمركية واحدة تخضع لإدارة موحدة وتوحيد التعريف والتشريع والأنظمة الجمركية المطبقة في كل منها .

٢ — توحيد سياسة الاستيراد والتصدير والأنظمة المتعلقة بها .

٣ — توحيد أنظمة النقل والترانزيت .

٤ — عقد الاتفاقات التجارية واتفاقات المدفوعات مع البلدان الأخرى بصورة مشتركة .

٥ — تنسيق السياسة المتعلقة بالزراعة والصناعة والتجارة الداخلية وتوحيد التشريع الاقتصادي بشكل يكفل لمن يعمل من رعايا البلاد المتعاقدة في الزراعة والصناعة والمهن شروطا متكافئة .

٦ — تنسيق العمل والضمان الجماعي .

٧ — (أ) تنسيق تشريع الضرائب والرسوم الحكومية والبلدية وسائر الضرائب والرسوم الأخرى المتعلقة بالزراعة والصناعة والتجارة والعقارات وتوظيف رموس الأموال بما يكفل مبدأ تكافؤ الفرص .
(ب) تلافي ازدواج الضرائب والرسوم على المكلفين من رعايا الدول المتعاقدة .

٨ — تنسيق السياسات النقدية والمالية والأنظمة المتعلقة بها في بلدان الأطراف المتعاقدة تمهيدا لتوحيد النقد بها .

٩ — توحيد أساليب التصنيف والتبويب الإحصائية .

وتنفيذا لأحكام اتفاقية الوحدة الاقتصادية بين دول الجامعة العربية ورغبة في تحقيق التقدم الاجتماعي والازدهار الاقتصادي وإرساء دعائم

الوحدة الاقتصادية المتناسقة المستمرة ورغبة في تحقيق التكامل الاقتصادي بين البلاد العربية وتوحيد الجهود لتحقيق أفضل الشروط لتنمية ثرواتها ورفع مستوى المعيشة وتحسين ظروف العمل.. أنشئت السوق العربية المشتركة التي تهدف إلى إطلاق حرية تبادل المنتجات الزراعية والحيوانية والثروات الطبيعية والمنتجات الصناعية في البلاد العربية .

* وسادس هذه التحركات في سبيل عمل عربى موحد هو اتفاقية تنسيق السياسة البترولية عام ١٩٦٠ التي تعمل على إصدار قانون موحد خاص باستغلال البترول ومشتقاته يضمن المبادئ الأساسية لتنظيم علاقات الحكومات بشركات الامتياز في جميع النواحي كما تعمل على أن تكون الأفضلية في منح امتيازات استغلالات جديدة للزيت في البلاد العربية للشركات العربية الخالصة وعلى أن يكون مرور أنابيب الزيت العربى ومشتقاته في بلاد عربية كما أنها لا تنتهى أو تصب إلا في موانئ عربية .

* وسابع هذه التحركات التي لم تستطع أن تشد انتباه أحد وهى نفسها أحد مقترحات الأستاذ هيكل فى « المرحلة الثانية » هو إنشاء مؤسسة الخطوط الجوية العربية العالمية برأسمال ١٧ مليون جنيه استرلىنى . التى وقعت عليها ست دول عام ١٩٦١ والغرض منها توحيد جهود البلاد العربية فى ميدان الطيران المدنى التجارى والعمل على ازدهار صناعة الطيران ولزيادة التعاون الاقتصادى فيما بينها وبين البلاد الأخرى .

ووسائلها فى تحقيق أغراضها هى :

١ — تسير خطوط منتظمة عالمية بعيدة المدى وخطوط متوسطة المدى واقعة على طرق الخطوط البعيدة المدى وأية خطوط أخرى تحصل عليها المؤسسة .

٢ — شراء وبيع وتأجير واستئجار الطائرات وقطع الغيار والمعدات الأخرى وصناعتها والقيام بأعمال الصيانة .

٣ — القيام بأعمال الوكالة الأرضية والتجارية والفنية لخطوط الطيران العربية والأجنبية .

٤ — إعداد تدريب الفنيين اللازمين لأعمال هذه المؤسسة أو غيرها .

٥ — القيام بسائر العمليات المتصلة بصورة مباشرة أو غير مباشرة باستثمار النقل الجوي العالمى .

كما وقعت فى عام ١٩٦٣ اتفاقية حرية الطيران عبر البلاد العربية دون هبوط وحرية الهبوط فى مطاراتها الدولية لأغراض تجارية للطائرات المدنية العربية .

* وثامن هذه التحركات التى قامت بها الجامعة العربية هو إنشاء الشركة العربية للملاحة البحرية برأسمال ٥ ملايين جنيه فى أواخر عام ١٩٦٣ والغرض منها القيام بجميع عمليات الملاحة والنقل للأشخاص والبضائع والبتروول برا وبحرا وقبول التوكيل عن شركات الملاحة والنقل وأعمال التأمين والإنقاذ والعمولة والتحويل والتخليص على البضائع وتستيفها والتخزين والتطهير وكذلك شراء واستغلال وبيع وإيجار واستئجار وتهيئة جميع أنواع السفن والمراكب والمهمات العائمة ومهمات النقل .

* وتاسع هذه التحركات هو إنشاء الشركة العربية لناقلات البترول عام ١٩٦٣ برأسمال قدره ٣٥ مليون جنيه استرلينى بغرض تنسيق السياسة البترولية وأغراضها :

١ — القيام بجميع عمليات النقل البحرى للبترول الخام ومنتجاته ومشتقاته وتصريفه .

٢ — شراء واستغلال وبيع وإيجار واستئجار وسائل النقل البحرى المتعلقة بنقل البترول .

٣ — شراء واستئجار الأراضى اللازمة لإقامة الموانئ والأحواض

والمستودعات .

٤ — شراء وبيع البترول الخام ومنتجاته .

* وآخر هذه التحركات (وهو أحد مقترحات الأستاذ هيكل في المرحلة الثانية أيضا) هو اتفاقية التعاون العربى فى استخدام الطاقة الذرية فى الأغراض السلمية عام ١٩٦٥ ، بإنشاء المجلس العلمى العربى المشترك لاستخدام الطاقة الذرية فى الأغراض السلمية ، الذى يهدف إلى تنمية المجتمع العربى بما يؤدى إلى رفع مستوى المعيشة للشعوب العربية ومسايرة التقدم العلمى فى ميدان الطاقة الذرية وذلك بالوسائل الآتية :

١ — العمل على تقدم البحوث العلمية فى الطاقة الذرية .

٢ — العمل على الكشف عن الخامات الذرية واستخراجها من الدول العربية .

٣ — توفير رصيد دائم فى البلاد العربية من المواد الذرية .

٤ — إقامة المشروعات التى تهدف للاستفادة من الطاقة الذرية ..

هذه هى تحركات الجامعة العربية فى المجالات الحيوية والتى يمكن أن ينبع منها نظام عربى جديد يعطى العالم العربى — كما قال الرئيس عبد الناصر — دفعة قوية فى عصر التجمعات الاقتصادية الكبيرة وما تقتضيه ظروفه من مطالب التكنولوجيا والموارد المنسقة والأسواق المفتوحة .

ولست أظن أن هذه التحركات — التى لم تشد أى انتباه — قد نبئت هكذا فجأة دون أن يكون وراءها بحث له قيمة .. أو فكرة تلمع . ومع ذلك . ليس هذا هو المهم . فسواء شدت هذه التحركات أى انتباه أو لم تشده .. وسواء خلت من البحث والأفكار اللامعة .. أو لم تخل .. وسواء أنصفت الأمانة العامة للجامعة العربية .. أو لم تنصف (فالمنصف هو الله) .

فالذى يهم حقيقة .. هو السؤال الحائر :

لماذا لم تفلح كل هذه الحصيلة الضخمة من الاتفاقيات في أن تدفع إلى عمل عربى مشترك ؟

والرد لا أظنه يحتاج إلى كثير من جهد أو تفكير .. بل هو ببساطة .. لأنه لم يكن هناك .. صفاء .. أو حسن نية .
ليست المشكلة الحقيقية هي أنه ليس هناك بحث ولا فكرة تلمع ولا تحرك يشد الانتباه .

بل هي أن بلدا عربيا .. لم يكن يطمئن لبلد عربى آخر ..
ولست أظن هذا وقت نبش رفات الماضى .. لأن الصفاء فعلا .. قد بدأ . وليس من صالح أحد أن يعكره .. بالبحث عن أسباب افتقاده فيما مضى . ولكن الشيء الذى لا شك فيه هو أننا لن نبدأ من الصفر .. عندما تصفو النفوس .. وتملأها الثقة فى التعامل والطمأنينة فى المشاركة .
لو أننا نفضنا الغبار عن كل هذه الاتفاقيات . ودفعنا بها إلى حيز التنفيذ .. بعد أن أزلنا من أمامها ما يعوقها من عقبات .. فلن يكون الوصول إلى العمل العربى الموحد بالأمر المستعصى .

لقد أوصى مؤتمر الخرطوم بعقد مؤتمر خبراء للبحث عن وسائل لإقامة مجموعة عربية اقتصادية مشتركة ترمى إلى تحقيق التكامل الاقتصادى والاكتفاء الذاتى والوحدة الاقتصادية بواسطة المشاريع العربية المشتركة وإنشاء صندوق عربى للإئتماء .

وقد انعقد المؤتمر المذكور فى الجزائر فى أكتوبر ١٩٦٧ وقرر أن الوحدة الاقتصادية العربية هي الأداة الضرورية لتقوية الكيان العربى وقد رأى أن اختلاف النظم الاقتصادية والظروف الخاصة لبعض الدول العربية قد حال دون انضمامها إلى اتفاقية الوحدة الاقتصادية وأوصى الدول التى لم تنضم إلى الاتفاقية بدراسة الموضوع مع الأمانة العامة .

وقد عقدت الأمانة العامة فى نوفمبر ١٩٦٧ اجتماعا لخبراء الاقتصاد

لدراسة الأسباب التي تحول دون انضمام بعض الدول العربية إلى اتفاقية الوحدة والعوائق التي تحول دون تنفيذها وكانت أهم هذه الأسباب هي :

- ١ — اختلاف النظم والفلسفات الاقتصادية .
- ٢ — اختلاف مستوى التنمية .
- ٣ — اختلاف هيكل التكاليف في الإنتاج الزراعى والصناعى .

وهذه العوائق كلها يمكن إزالتها إذا حدث التنسيق الاقتصادى أو تنسيق الموارد . فمن العبث تحرير التجارة وإزالة القيود الجمركية قبل أن يحدث توزيع الصناعات والتنسيق الزراعى . بحيث لا يقع التنافس بين صناعة واحدة في بلدين قد يختلف تكاليف الإنتاج فيهما بما يحتم على أحدهما فرض الحماية الجمركية على صناعته وبحيث تستطيع الصناعة العربية أن تعد مجالا في أسواق الوطن العربى كله . وبحيث تصبح السوق العربية المشتركة قادرة على الوفاء الفعلى باحتياجات البلاد العربية وبحيث نتخلص من قبضة الاحتكارات العالمية التي تمسك بنا فرادى فتتحكم في أسعار خاماتنا المصدرة وفي أسعار احتياجاتنا المستوردة دون أن نملك فرادى القدرة على المقاومة .

إن المطلوب منا هو الصفاء .

وهو ليس أمرا سهلا . بعد كل ما شاب علاقاتنا العربية من شوائب . ولكنه أيضا ليس أمرا متعذرا .. بل لقد بدأنا فيه وكل ما هو مطلوب منا أن نواصله بصبر .. وأن نخلص نوايانا بحيث نتجاوز عن رواسب الشكوك .. والقلق .. وعدم اطمئنان بعضنا إلى بعض .

ومهما اختلف النظم والفلسفات الاقتصادية فمسيرنا العربى المشترك .. يجب أن يكون فوق هذه الاختلافات . وعملنا العربى الموحد يجب أن يكون أقوى على إزالة العوائق التي تقف في سبيله .
أن السؤال .. الآن .. هو أن نكون أمة عربية .. أو لا نكون .

والعدو الذى يواجهنا .. يواجه أمة عربية يجد فيها خصما واحدا ..
ومن أجل هذا يجب أن نواجهه .. كتلة واحدة مهما كانت نظمنا
وفلسفتنا .

وإذا وجد الصفاء .. وخلصت النوايا واطمأنت النفوس فلن يكون
متعذرا أن توجد فورا .. شركة الطيران .. وشركة الملاحة .. وشركة
ناقلات للبترول . وكل هذه الشركات التى وضعت نصوصها وأمضيت
اتفاقياتها .. دون أن تملك النفوس القلقة الموجسة أن تحولها من كلمات
جامدة على الورق .. إلى طائرات تشق الفضاء وسفن تمخر البحار .
إن رءوس أموال هذه الشركات يجب أن تؤمن بنص فى قوانين الدول
العربية بما يطمئن أصحابها أفرادا وشركات ودولا بما يحقق اندفاع العمل
الاقتصادى المشترك نحو تحقيق التكامل الاقتصادى فى البلاد العربية فى
أقرب وقت .

ومرة أخرى ..

نحن لا نبدأ من الصفر ..

فلدينا رصيد كبير من العمل المجد يمكن أن نطلقه من عقاله لكى يحقق
نتائج حاسمة وباهرة .

فقط .. ليسود الصفاء ولتحل الطمأنينة محل الوساس والشكوك ..
ولننتقل معا فى العمل العربى الموحد .. لنخلق فى وطننا العربى .. نظاما
عربيا يمكن أن يعطى العالم العربى دفعة قوية مشمرة فى عصر التجمعات
الاقتصادية الكبيرة .. ويكون الأساس الأول للقوة والتقدم العربيين
ويمنحهما القدرة على مواجهة جميع التحديات .. وأولها التحدى
الإسرائيلى الاستعمارى ..

١٤ فبراير سنة ١٩٦٨

كلمات .. من أجل التغيير

التغيير من أجل تحقيق القدرة على الصمود والنضال والانتصار قد باتت الرغبة الملحة لجماهير الشعب ..

هتف العمال في لقائهم مع الرئيس في حلوان « غير .. غير يا جمال » ..

وكانت أحداث الجامعة — كما قال الرئيس جمال — إذا ما وضعت في إطارها السليم « ظاهرة من ظواهر الاهتمام الشعبى الواسع بالأحداث المصرية التى نعيش وسطها والتى يجب أن تؤخذ كعلامة من علامات التصميم الشعبى على فتح الطريق أمام النضال الوطنى لكى يصل إلى غايته » .

ورغبة التغيير إذا حللنا دوافعها وجدناها تنبع — بالنسبة لنا — من سببين أولهما سبب طبيعى دائم هو أحاسيس الإنسان الطبيعية بالرغبة فى التغيير .. مما جعل مظهر الحياة نفسها يتغير من حوله سواء بتتابع الليل والنهار أو بتتابع الفصول بكل ما يتبعها من تغير مظاهر الحياة من حولنا . أو بتتابع الأجيال بالموت والولادة بحيث نكون نحن أنفسنا أحد مظاهر التغيير فى الحياة .

ونحن نمارس التغيير بإرادتنا بكل ما تتيحه لنا إمكانياتنا من قدرة على التغيير .. سواء فى محيطنا الفردى أو محيط مجتمعنا .. بحيث نضع أنفسنا أو مجتمعنا بالتغيير فى مكان أفضل .

والسبب الثانى الملح فى رغبة التغيير .. هو ما أصابنا من هزيمة نتجت بالطبيعة عن علة أصيب بها جسدنا بسبب أسلوب خاطئ للحياة فتحتم

التغيير من أجل القضاء على العلة لكى نحشد قوانا ونستعيد قدرتنا على الحركة من أجل استرجاع حقنا الضائع ومواصلة السير فى سبيل تحقيق حياة أفضل .

فرغبة التغيير بالنسبة لنا إذن هى رغبة طبيعية وضرورية .
ولكن السؤال الذى ينبت بعد ذلك .. هو .. كيف .. وأين .. ومتى ؟

كيف نجرى التغيير .. وأين نجره .. وأى الأوقات أنسب له ؟
ونحن لا نبدأ الخطو فى التغيير من اليوم .. فلقد اتخذنا مسيرتنا فيه بعد النكسة بطريقة حتمية ..

ويتحتم علينا قبل الإجابة على السؤال المطروح .. أن نستعرض الظروف التى لا بدته والخطوات التى اتخذت فى سبيله .
ونستطيع أن نركز هذه الظروف والخطوات فى النقاط التالية :

١ — اعتبار يومى ٩ ، ١٠ يونية ثورة من أجل تأكيد إرادة النضال والصمود وتفويضاً للرئيس بالتغيير من أجل الحشد كمرحلة كفاح تحقق إزالة آثار الهزيمة وتقود إلى النصر .

٢ — قبول الرئيس للتفويض بالتغيير على الأسس التالية التى أكدها فى حديثه للشعب يومى ٢٣ يولية و ٢٣ نوفمبر .

(أ) العزم على النضال من أجل تحقيق النصر بكل السبل بحيث لا تقفز من غير تدبير .

(ب) إقامة حياة ديموقراطية سليمة بالحل الاشتراكى وإذابة الفوارق بين الطبقات بالطريق السلمى لتأكيد الحرية الاجتماعية التى تعتبر أساساً للحرية السياسية وإعادة البناء الشعبى لقوى الوطن المصرى وتوسيع نطاق القيادة فى الاتحاد الاشتراكى .

(ج) وقوفه مع الشعب فى المطالبة ببداية جادة وحازمة تتفق مع

جدية ظروف الحرب التي نواجهها والعمل على وقف الإسراف ووضع حد لكل الامتيازات عدا امتياز الكفاءة في العمل وتحقيق النقاء الثورى والتمسك بقيم الدين .

(د) تحقيق مجتمع مفتوح على أساس عدم الانحياز والسياسة الحرة المستقلة وعدم المساومة .

٣ — اتخاذ الخطوات العملية التالية من أجل التغيير لتحقيق القدرة على النضال منذ النكسة حتى الآن .

(ا) إعادة بناء القوات المسلحة بتنظيم الوحدات والتدريب واستيعاب السلاح بحيث فاقت ما كانت عليه والتزمت بواجبها الحقيقى وهو الدفاع عن أرض الوطن الذى أصبحت قادرة عليه تماما .

(ب) القضاء على مراكز القوى القديمة التى تتمثل فى عناصر أدت دورها ولكنها أصرت على التمسك بالسلطة رغم أن الثورة تجاوزت قدرتها ومصالحها واستعدادها للتطور .

(ج) إعادة جهاز المخابرات إلى وضعه الطبيعى للعمل ضد أعداء الوطن وليس للسيطرة فى الداخل واعتقال الأفراد .

(د) إلغاء الامتيازات وتأكيد تكافؤ الفرص .

(هـ) تحقيق المجتمع المفتوح بعلمية قضية المؤامرة التى قصد بها صيانة النقاء الثورى والقضاء على الانحراف تحت حماية السلطة . وبوجود كتلة معارضة فى مجلس الأمة لها حق التعبير عن معارضتها وبحرية الصحافة فى التعبير فى حدود الميثاق مع الرقابة على النواحي العسكرية التى تختمها ظروف الحروب . وإصدار قانون الكسب غير المشروع وإعادة بحث قانون الحريات العامة وإلغاء محاكمة المدنيين بقانون الأحكام العسكرية . ذلك هو العرض الواقعى لظروف التغيير وخطواته .

ولقد وعد الرئيس جمال الشعب فى خطابه فى حلوان بعرض خطة

كاملة بعد عيد الأضحى ترسم خطوات العمل المستقبل وتوضح أسلوب التغيير ووسائله وأسبابه وتقوم على أساس استمرار الثورة الاشتراكية في مجتمع مفتوح وبمؤسسات ثابتة تجمع شمل الدولة بدون مراكز للقوى وعلى أساس تغيير أشمل وأوسع يكون محققا لآمال الشعب الذى خرج في ٩ ، ١٠ يونية ليبقى قائده في موضعه من قيادته ويؤكد إصراره على الصمود والنضال ويفوضه في التغيير حشدا لطاقة خالصة من الشوائب التى أدت إلى النكسة ودافعا إلى كفاح يزيل آثار النكسة ويسترد الحق الضائع ويمهد لانطلاقة جديدة من أجل البناء والرخاء والعدالة والسلام .

والتغيير كما قال الرئيس ليس مجرد نقل شيء من مكانه وإحلال شيء آخر موضعه بل هو عملية تحتاج إلى وقت وجهد وبرنامج وأرض صلبة واسعة نقف عليها ونمارس فوقها التغيير وهو ليس أيضا تغييرات خاصة تمارس من وجهات النظر الخاصة لتحقيق لأصحابها قائدة ما . ولكنه تغيير أشمل لكل الآمال وأسمى من مجرد تحقيق بعض وجهات النظر الخاصة .

وإذا كان للمرء أن يشارك بفكره في رسم الصورة التى تحدث عنها الرئيس .. والتى يمكن أن تكون محققة لآمال الشعب مدعمة لقوته على النضال ..

فإن على المرء أن يطرح أمام فكره .. الجسد المصاب .. ويتحسس مظاهر العلة ويتلمس أسبابها .. بحيث يبنى خطته في براء الجسد وسلامته واستعادة حيويته وقدرته .. على استئصال أسباب العلة وإزالة مظاهرها ووضع أسلوب الحياة الذى يضمن عدم عودة الأسباب المهيئة للداء وضمان استمرار سلامة الجسد وقوته .

وقد تكون أسباب الداء .. نابعة من أسلوب أولى للوقاية .. جمده بحيث أضحي هو نفسه أسلوبا لوقاية العلة بدل أن يكون وقاية للجسد ، فعندما تنبت الثورة لا بد أن يصاحبها نوع من الوقاية المحكمة التى تمنحها

الفرصة في أن تعمق جذورها وتدعم نموها وتصلب عودها .. ويصبح السبؤال الحيوى بعد ذلك متى يمكن أن توقف هذه الوقاية بحيث لا تتحول من وقاية لمبادئ إلى وقاية لأشخاص .. بعد أن تأكدت مبادئ الثورة وثبتت دعائمها بحيث يصبح اقتلاعها لا يعنى سوى اقتلاع شعب بأكمله .

إن الثورة المصرية نبتت من صميم الإحساس المصرى بالظلم وبالرغبة في التغيير ولكنها كانت ككل الثورات في حاجة إلى حماية من العناصر المضادة التى يمكن أن تقتلعها من منبتها .

واتخذت الطليعة التى قامت بها كل الوسائل الممكنة لحمايتها .
ومن هذه الحماية نبتت بالطبيعة عناصر الداء والتى يمكن حصرها في
النقطتين التاليتين :

١ — خلق الأجهزة الواقية التى يمارس أصحابها الحماية كمهنة تعيش على وجود التهديد والتآمر .. بحيث يتحتم عليهم في بعض الأحيان خلق التآمر لممارسة مهنتهم .. أو انتزاعه نزعا بالتجسس على الناس وتعرية المجتمع بحيث تزداد مجالات نشاطهم وتزداد مظاهر نجاحهم وأهمية عملهم وحيويته للثورة .. بحيث يتحولون مع الوقت بعد أن أصبحوا القوة الحامية للثورة الضامنة لوجودها إلى أسياد للثورة وأصحاب للسلطان فيها ويجعلون من أنفسهم مراكز للقوى تتمتع بحماية السلطة بغير رقابة إلا رقابة أجهزتهم .

٢ — الاعتماد على العناصر الموالية لمن يسمونهم أهل الثقة لضمان التطبيق الثورى والمحافظة على الثورة واتجاهاتها ومبادئها وتجميع المسئوليات في أيديهم بحيث تنأى عن الثورة مختلف العناصر من الكفاءات التى لم تسنح لها الفرصة بوضع ولائها للثورة وإيمانها بها موضع الاختبار .

وما من شك هناك أن وجود الاتحاد الاشتراكى كتحالف لقوى
(من وراء الغيم)

الشعب العاملة كان هو المحاولة لنقل السلطة إلى الشعب من أجل مصلحة الشعب وتوسيع رقعة القيادات التي يمكن أن تتناول المسؤوليات الثورية ولكي يصبح الشعب نفسه وهو صاحب المصلحة فيما حققته الثورة من مكاسب هو نفسه حاميا لمكاسبه وبالتالي حاميا للثورة وبهذا تتسع مسئولية الثورة من مجموعة محدودة هي أصحاب الولاء للثورة من أهل الثقة إلى القاعدة الشعبية العريضة بكل ما تملك من كفاءات وبحيث تتسع مسئولية حماية الثورة من جهاز معين يفرض سيادته بالحماية ويمارس السلطة بغير رقابة إلا رقبته إلى حماية الشعب كله للثورة ورقابته على أجهزتها .

تلك هي العلل الطبيعية التي أنبتها طبيعة الثورة وذلك هو العلاج الطبيعي الذي وضع للقضاء على تلك العلل .. وتحويل الثورة إلى سلطة يتولاها الشعب .

والسؤال هنا .. كيف حقق الاتحاد الاشتراكي المهمة التي وجد من أجلها والتي تلخص في أمرين :

- ١ — تحمل الشعب مسئولية الثورة وممارسته لسلطانها .
 - ٢ — تحمل الشعب عبء الدفاع عن الثورة وحماية مكاسبها بحيث تتحرك الثورة بالشعب وللشعب وبحيث يصبح الشعب صاحبها حاميا .
- إن الذين ينكرون ما حققه الاتحاد الاشتراكي من تنظيمات شعبية في كل أنحاء البلاد وما استطاعت أن تحققه هذه التنظيمات في شتى المجالات .. إنما ينكرون حقيقة واقعة ويبدأون تقديمهم على أساس من محاولة التدمير التي تضيع فرص النقد الحقيقية .

ولقد تساءل الرئيس عبد الناصر لماذا ينادى البعض بإلغاء الاتحاد الاشتراكي ولا ينادون بإصلاحه .. وهو على حق .. فنحن لا نريد أن نبني ثم نهدم .. ونسير ثم نعود القهقري .. ونحن لا نريد أن نبدأ دائما من

الصفير ، ولكننا نريد أن نعرف حقيقة أخطائنا لكي نصلحها ونتجنب تكرارها .

وقبل أن نحاول البحث عن أخطاء الاتحاد الاشتراكي أو على الأصح بعض تنظيماته لأن التعميم نوع من الظلم والتضليل يجب أن نعترف بالصعوبة البالغة في طريقة تكوين الاتحاد الاشتراكي والتأرجح بين الانتخاب والتعيين .

فأسلوب الانتخاب ، وهو الأسلوب الطبيعي الذي بدأ به تكوين الاتحاد لم يعط أفضل الثمار لإتاحته الفرصة لمخترفي الانتخابات ممن لا يكونون غالبا أفضل العناصر ومن يجعلون العمل الجماهيري نوعا من التملق القائم على الإثارة واستجداء الشعبية على حساب المصلحة الحقيقية للوطن أكثر منه عملا جادا يقوم على الإحساس بالمسئولية والتصدى لها .
وأسلوب التعيين الذي أخذ به بعد ذلك .. لا يمكن أن يضمن ألا تشوبه الميول والأمزجة والصلات الشخصية في الاختيار ، وهو يؤدي بالطبيعة إلى إحساس بالولاء للسلطة صاحبة الحق في التعيين أكثر منه للجماهير وبذلك تصبح القيادة عنصر إملاء من أعلى لأسفل أكثر مما تصبح عنصر تعبير من أسفل لأعلى وتكون النتيجة أن تصبح التنظيمات الجماهيرية أميل إلى التعبير عما تريده القيادة بدل أن تلتقط القيادة من التنظيمات ما تجيش به الجماهير .

وهكذا نبع أول الأخطاء التي يمكن أن تنزلق فيها تنظيمات الاتحاد الاشتراكي من صعوبة تكوينه ولا سيما وهو يكون بواسطة قيادة تمارس الحكم فعلا .. وحققت جزءا كبيرا من أهدافها ، وكاد ينتفى عند التكوين عنصر التضحية والكفاح من أجل تحقيق أهداف تكتنفها المخاطر والصعاب .

وهكذا .. ورغم وجود التنظيمات المحكمة في الاتحاد الاشتراكي على

شتى المستويات لم يكن الارتباط الذى يجعله جزءا من الجماهير أمرا سهلا وبات كالعضو الذى نحاول زرع في جسد بدلا من أن يكون كالعضو الذى ينبت من جسد .

وزاد من صعوبة التصاقه بالجسد الأصلي ، وهو الجماهير .. الأسلوب الذى اتبع في بعض تنظيماته في أداء الواجب الثانى وهو حماية الثورة . فبدلا من أن تتحقق الحماية بطريقة طبيعية نابعة من الارتباط الوثيق الذى يجعل الثورة جزءا من الشعب ، أخذت بعض التنظيمات تمارس الحماية للثورة بنفس الطريقة التى تمارسها أجهزة الأمن وهى الرقابة والتبليغ عن العناصر المضادة للثورة بدل النقاش معها وإقناعها ومحاولاة جذبها إلى الثورة .

وما من شك أنه يجب أن يكون هناك فارق كبير بين طريقة تعامل قيادة تنظيمات الاتحاد الاشتراكى مع العناصر المضادة للثورة وطريقة تعامل أجهزة الأمن معهم لأن وجود الاتحاد الاشتراكى لم يكن لضبط هذه العناصر وعقابها بل لمحاولة مقارعتها بالحجة بالحجة وكسبها أو كشفها للجماهير وعزلها عنها وسلبها أى قدرة على التأثير فيها ..

وعنصر آخر لا أدرى ما مدى تأثيره في صلة تنظيمات الاتحاد الاشتراكى بالجماهير وهو عنصر قد تكون أنبته الحاجة إلى تعميق مفهوم الاشتراكية في مجالات الاتحاد الاشتراكى ، وهو أن يتصدر لهذه المهمة — بدل عناصر كان يمكن أن تنبثها الثورة — هؤلاء الذين سبق أن نادوا بالاشتراكية الماركسية .. ثم قاموا بحل تنظيمهم إيمانا بالاشتراكية الثورة .

ومن حق هؤلاء جميعا كمواطنين شرفاء أكدوا إيمانهم بالثورة وإخلاصهم للوطن أن يمارسوا حقهم في العمل كبقية المواطنين حسب ما تهيئه لهم كفاءتهم ولكن ليس من الصالح في شيء — صالحهم وصالح الثورة — أن يتكثروا في أماكن بعينها .. بحيث يوحى وجودهم في أذهان

ال جماهير باتجاه معين أو يديهم وكأنهم يخططون لهدف معين ، بما يثير القلق في نفوس الجماهير .

والطبيعى أن يذوب هؤلاء المواطنون الصالحون في جماهير الشعب وأن ينتشروا في مجالات العمل المختلفة ولكن ليس من الطبيعى أن يتركزوا في مناطق بعينها كالثقافة والإعلام والاتحاد الاشتراكى بحيث يبدون وكأنهم يحتلون مناطق استراتيجية في تخطيط معين .. بحيث يصبح السؤال المحير كم منهم يعملون في هذه المجالات . وكم منهم يعملون في مجالات الخدمة الأخرى .. كالصحة والصناعة والزراعة والرى والكهرباء والطرق والكبارى والمباني .. و .. وإلخ .

إنهم كما قلت مواطنون شرفاء أكفاء .. ويجب أن يتمتعوا بكل ما يتمتع به المواطنون الشرفاء الأكفاء .. من ممارسة لجميع الأعمال في كل المجالات .. وليس بالتمركز في مناطق عمل بعينها .

هذه بعض آراء تعن للمرء وهو يستعرض منابع الداء التى توجب عملية التغيير .. وقد أكون لم أسلم في التعبير عنها من تهمة التعبير عن وجهة نظر خاصة .

ولكننا لا نملك بطبيعتنا إلا أن نعبر عن آرائنا أولا .. وقد تلتقى هذه الآراء بآراء الغير فتكون رأيا عاما له تأثير في المجال العام ، وقد تنعزل فتبقى مجرد رأى خاص لا يعبر إلا عن صاحبه .

ولكن من حق الناس علينا .. أن يسمعو كيف تفكر .. وماذا نريد أن نقول .

وإذا كنت لم أقل شيئا مفيدا فى ما هو جار من عملية التغيير فإنى أكون على الأقل .. قد حققت شيئا مما يريد التغيير أن يحققه وهو حرية التعبير . وبعد .. فى كلمات قلائل أرجو أن الخص رأى فيما يمكن أن يكون التغيير محققا له ..

١ — أن يكون أولا وقبل كل شيء محققا للحشد الكامل لطاقتنا في مواجهة العدو من أجل رده عن أرضنا واستردادنا لحقنا .

٢ — أن يقوم التغيير على أساس الثورة الاشتراكية بمفهومها غير المعقد الذى أكدته الرئيس عبد الناصر والذى لا يضيعنا في متاهات فلسفية ولكنه البيت السعيد يحققه القادرون على العمل والذى لا محظورات فيه سوى الاستغلال .

٣ — أن تتسع السلطة لجميع الكفاءات وأن يفسح المجال أمامها بحيث تمنح الفرصة لكل من تكون أهل ثقة .. ولا يعود قصر الثقة على مجموعة محدودة لا شك أنها قد تصدت بنجاح لإنجازات الثورة ولكن بات من حق الثورة بعد أن رست دعائمها أن توسع قاعدة قياداتها بحيث تشمل أكبر عدد ممكن من الكفاءات ..

٤ — أن يكون حماية الثورة بواسطة الشعب نفسه عن طريق المجتمع المفتوح الذى تمارس فيه حرية التعبير والمناقشة والمعارضة في حدود الميثاق ودون الإخلال بأمن الدولة .

١٣ مارس ١٩٦٨

هل بات .. مجرد أمنية ؟

حاولت إسرائيل بعدوانها الأخير على الأردن — كما زعمت — أن تقصم ظهر قوات المقاومة العربية .. والواضح الذى لا لبس فيه أن ظهرها فى هذا الهجوم هو الذى قد قصم بعد أن أعلن جميع المراقبين من أنحاء العالم كله أن قوات المقاومة سيطرت على ميدان المعركة وأن الجيش الأردنى دافع ببسالة عن المنطقة المهاجمة وأن الأرقام التى تضيعها إسرائيل عن خسائرها فى المعركة كانت تتزايد ساعة بعد أخرى .

ولقد أثبت العدوان الأخير مدى حيوية المقاومة الفلسطينية الشعبية فى معركة المصير العربية وفى أن تكون رأس حربة لاسترداد حق الشعب العربى الفلسطينى فى وطنه السليب .. تحشد وراءها كل طاقات الوطن العربى وإمكانياته وموارده فى جبهة وجيش واحد يستطيع أن يرد للعرب اعتبارهم ويستعيد أرضهم وحقهم .

وإسرائيل قد قدمت للعالم كله من الأدلة ما كانت تعجز عنه أقوى أجهزة الدعاية مما يؤكد أنها دولة دخيلة عدوانية توسعية وأنها قاعدة استعمارية سلحتها الاستعمار كى تهاجم وتخرّب وتمزق أوصال الأمة العربية وتهدد السلام فى المنطقة كلها .

ومناقشات مجلس الأمن قد كشفت إسرائيل عندما تحدى مندوب الأردن أن تعلن إسرائيل قبولها قرار مجلس الأمن .. فتمحك المندوب الإسرائيلى فى المفاوضات .

ولقد آن للعالم كله أن يعرف أن إسرائيل قد ضربت بقرار مجلس الأمن عرض الحائط وأنها أوصلت مندوبه إلى طريق مسدود بإصرارها على

معاهدة صلح عن طريق المفاوضات وهو ما يرفضه العرب رفضا باتا سواء كان ذلك بمفاوضات مباشرة أو غير مباشرة .

وقرار مجلس الأمن بالنسبة للعرب واضح وهو يقوم أولا على انسحاب إسرائيل إلى حدود ٥ يونيه قبل أن تقوم إسرائيل بعدوانها والمفروض على مجلس الأمن أن يضع برنامجا تنفيذيا يكون هو نفسه ضامنا لتنفيذه إذا أراد لقراره أن يكون هو الطريق إلى حل سلمي .

ولكن النفوذ الاستعماري الذي تتزعمه الولايات المتحدة الأمريكية قد جعل من الأمم المتحدة مسرحا للمناورات وأضاع الثقة في قدرتها على أن تضع قراراتها موضع التنفيذ وأن تقدم بها حلا إيجابيا يوقف عدوان المعتدى ويرد الحق إلى المعتدى عليه .

والمناقشات التي دارت في الجلسة الأخيرة لمجلس الأمن تكون صورة معادة لجميع المناقشات التي أعقبت الاعتداءات الإسرائيلية . أغلبية توضح الحق وتقدم أدلته وأسانيده .

وأقلية تميع الموقف بسلسلة دعاوى باطلة .. وافتراءات كاذبة .

قال مندوب الأردن إن إسرائيل لا تريد السلام وأن أحدا لا يستطيع إقناعها به بعد أن امتلأت غرورا وطلب من مجلس الأمن أن يدين العدوان الإسرائيلي وأن يطبق الفقرة السابعة من ميثاق الأمم المتحدة التي تنص على فرض العقوبات الاقتصادية واستخدام القوة إذا اقتضت الضرورة تنفيذ قرارات المجلس .

وقال مندوب سوريا إن القراصنة الإسرائيليين قد شنوا هجوما مدبرا ومتهورا على الأردن وأنها تحاول تبرير هجومها بأنه انتقام لأعمال المقاومة وهذه حجة لا يمكن أن يقبلها المجلس فقد شنت إسرائيل هجوما على مناطق مدنية وقرى آمنة وليس هناك أى مبرر لنسف البيوت والمدارس والمستشفيات وطالب مجلس الأمن بتوجيه اللوم العنيف إلى إسرائيل على

هذا العدوان الاجرامى .

وقال مندوب الجمهورية العربية المتحدة إن إسرائيل قد لجأت مرة أخرى إلى القوة العسكرية لإخضاع الشعوب العربية تحت سيطرتها منذ عدوانها الأخير وأنها تستهدف تقليل عدد الفلسطينيين العرب إلى أقل حد ممكن وأن من حق الشعوب العربية في المناطق المحتلة مواصلة النضال من أجل حريتها وأعلن أن إدانة إسرائيل لا تكفى ولا بد أن يتخذ المجلس خطوات أخرى لمواجهة المعتدى والحفاظ على مبادئ ميثاق الأمم المتحدة .

وقال مندوب الاتحاد السوفيتى إن إسرائيل تتحدى الأمم المتحدة وتقوم بالعدوان لاعتمادها على التأييد السياسى والعسكرى والاقتصادى لأمريكا وبعض الدول الغربية وأكد أن حكومته قد أعلنت أن استمرار الاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية تهديد للسلام العالمى وطالبت حكومة إسرائيل بتنفيذ قرار مجلس الأمن والانسحاب من الأراضى العربية فوراً وأكدت أنها ستواصل مساعدة الدول التى تعرضت للعدوان .

وقال المندوب البريطانى : إن الهجوم الإسرائيلى الأخير قد عرض مهمة يارنج للخطر وطالب المجلس بالإصرار على قراره الذى أصدره فى نوفمبر لأنه لا يوجد طريق آخر للعمل غير هذا القرار إذا كان هناك أمل فى إقرار تسوية دائمة للسلام فى المنطقة .

وتستمر المناقشة فى مجلس الأمن ..

والنتيجة !! ..

مزيد من قرارات اللوم والإدانة ..

ولن يضير إسرائيل .. قرار آخر من اللوم أو الادانة .. لأنها بلغت حدا

من الغرور .. تحاول معه أن تفرض إرادتها بالقوة .

وخير من قرار الإدانة أو اللوم ..

هو هذا الذى أوقعته بها قوات المقاومة والجيش الأردنى .
ولكن قوات المقاومة وحدها .. وأى جيش عربى وحده .. لن
يستطيع أن يعطى لإسرائيل الدرس الذى تستحقه .
من كل ما مر بنا من تجارب .. نخرج بحقيقة واحدة .
مجلس الأمن لا يعطى غير القرارات ..
والقرارات .. تذروها رياح القوة .. والغرور .. والصلف .
ومعاونات الأصدقاء المعنوية والمادية .. تشد أزرنا .. وتزيد حقنا
وضوحا .. وصمودنا صلابة .
ولكن مجابهتنا لإسرائيل .. وصدامنا معها .. وجهها لوجه .. لا يقدر
عليهما .. غير الجبهة العربية المتناسكة والجيش العربى الموحد .. والخطوة
العسكرية الواحدة .. التى تجعل القوى العربية المحيطة بإسرائيل جسدا
واحدا .. تتحرك كلها بذهن واحد .. ولا تجعل هناك معارك محلية
متفرقة .. ولكنها معركة واحدة .. فى عدة جبهات .. يخدم العمل
العسكرى فيها .. الخطوة كلها ..
هذا أمر .. لا يحتاج إل بحث أو إقناع .
إن المصير العربى كله مهدد .
وعندما تضرب الأردن .. يشعر كل مصرى بأنه يضرب .. ويشعر
كل عراقى بأن بيته مهدد .
فلماذا نحمد وكأن بنا شللا .. يجعل كل منا يصيح .. ولا يتحرك ..
أمعقول .. أننا لا نصيح فى طلب عقد مؤتمر قمة .. إلا كلما أنزلت
إسرائيل ضربة بأحدنا .. ولطمت إحدى جبهاتنا .
ثم لماذا مؤتمر قمة ؟ !
إن الأمر يحتاج إلى وضع الوسائل والخطط التى تحشد الموارد فى خدمة
العمل الموحد .

فلماذا لا توضع هذه المشروعات فوراً ونبدأ الاتصالات من أجل تنفيذها .. حسب إمكانيات كل بلد عربى .
إن المصير العربى مهدد .. بسيف إسرائيل المصلت على عنقه فى كل وقت .

وتهديد إسرائيل لا ينتظر ..
ولن يعيننا أحد على مواجهته سوى أنفسنا نحن العرب .
والطريق إلى الهدف .. سواء كان سياسيا أو عسكريا .. يحتاج إلى العمل العربى المشترك .
ولقد أضحى هذا العمل يئس وكأنه مجرد أمنية .
حتى بات الكاتب يحس بترديدها .. إنه يردد كلاما معادا .. لا أمل فى أن يتحول إلى حقيقة واقعة .
ومع ذلك لا نملك إلا أن ننادى به مرة .. بعد مرة .
لأنه ليس هناك غيره .
وبدونه .. سيتحطم المصير العربى .. والحضارة العربية .. وسنحمل نحن وزره .. على مدى التاريخ .
٢٧ مارس ١٩٦٨

بين الديمقراطية .. والعلم

في بيان ٣٠ مارس أكد الرئيس جمال عبد الناصر في تصوره لبعض المهام الرئيسية في المرحلة القادمة من نضالنا ضرورة تدعيم بناء الدولة الحديثة في مصر قائلاً إن الدولة الحديثة لا تقوم بعد الديمقراطية إلا استناداً إلى العلم والتكنولوجيا ولذلك فإنه من المحتم إنشاء المجالس المتخصصة على المستوى القومي ، سياسياً وفنياً لكي تساعد على الحكم .

كما أكد الرئيس مرة ثانية في اقتراحه للخطوط الأساسية العامة التي تتضمنها مواد الدستور أن ينص الدستور على قيام الدولة العصرية وإدارتها . لأن الدولة العصرية لم تعد مسألة فرد ولم تعد بالتنظيم السياسي وحده .. وإنما أصبح للعلوم والتكنولوجيا دورها الحيوي . ولهذا فإنه يجب أن يكون واضحاً أن رئيس الجمهورية يباشر مسؤولية الحكم بواسطة الوزراء وبواسطة المجالس المتخصصة التي تضم خلاصة الكفاءة والتجربة الوطنية بما يحقق إدارة الحكومة عن طريق التخصص واللامركزية . وإذا كانت الديمقراطية والعلم هما دعائمي الدولة الحديثة . فإن الترابط والتساند والتنسيق والتوفيق بين كلتا الدعائمتين بحيث لا تجور أحدهما على الأخرى أو تنعزل عنها أو تواجهها في نوع من التحدى والتسلط والاستئثار والتجبر . هي أساس النجاح في بناء الدولة الحديثة وتهيئتها لتقوم بدورها في سبيل التقدم الإنساني والنمو وتحقيق الحرية والرخاء والعدالة للشعوب وإقرار السلام في العالم أجمع .

وعملية الربط بين الديمقراطية والعلم بحيث يتكون منهما قوة فعالة تصون البشرية وتحقق للإنسانية كل ما تصبو إليه من رخاء واستقرار

ليست قط عملية هينة .

وقد يكون إطلاق قدرة كل منهما لكى تحقق بإمكانياتها الهدف منها أمرا — رغم أنه يحتاج إلى جهد شاق — مستطاعا .. بل لقد حققه الكثير من الشعوب . ولكن المشكلة الحقيقية هي ربط كل منهما بالآخر ودفعهما معا بحيث يحققان للمجتمع الرخاء الحقيقى .

وقد لا يبدو هناك .. فى النظرة الأولى العابرة .. ما يمكن أن يسمى تناقضا بين الديمقراطية والعلم .. ولكنى أعتقد — وقد يبدو تعبيرى غريبا لأول وهلة — أن التناقض موجود دائما بين قوة الديمقراطية .. وقوة العلم ..

والديمقراطية .. هي قوة الناس .. قوة البشر العاديين .. مجتمعة لتعمل من أجل المجتمع ولتعبّر عن رغبات المجتمع .. وتحقق سلطة المجموع .. فى خدمة المجموع .

وقوة العلم .. هي قوة أفراد متميزين .. يستطيعون بتمييزهم أن يحققوا أشياء لا يستطيع سواهم أن يحققوها .. أشياء قادرة على أن تحقق للمجموع .. ما لا يملك المجموع أن يحققه بكل ما يملك من قوى العمل والتجمع .

والمجموع .. لا يملك من أسباب التقدم والنمو الحضارى شيئا بغير هؤلاء المتميزين منه .. فهو بغيرهم .. يمكن أن يجمد فى مكانه الزمنى من الحضارة .. لا يحقق لنفسه .. إلا أسباب العيش البسيطة البدائية .

ومجرد ذكر .. أسماء أفراد .. كإديسون أو غيره .. يمكن أن يقدم الدليل الواضح على قيمة هؤلاء الأفراد المتميزين وما استطاعوا أن يؤدوه فى تاريخ البشرية .. والدفع الحضارى الذى أمكنهم أن يقدموه للإنسان . ومع ذلك .. وبقدر ما تحتاج قوة المجموع التى تمثل بسلطتها قوة الديمقراطية .. إلى هؤلاء الأفراد الذين يمثلون بقدرتهم قوة العلم .. بقدر

ما تشعر بحاجتها إلى فرض السيطرة عليهم .. والرقابة على جنوحهم .
ولقد خطر ببالي مرة .. أن الاشتراكية .. والديمقراطية .. هما التجمع
الشعبي .. ضد سيطرة المميزين .. وحماية للمجموع .. من جنوحهم .
وقوة الديمقراطية .. بقياداتها السياسية المنتخبة تشكل السلطان الذى
يستخدم قوة العلم فى صالح المجموع .. والذى يضع المميزين بكل ما
يملكون من طاقات خلاقة فى خدمة الجماهير .. ويقي من انحرافهم لخدمة
فئة معينة على حساب بقية الجماهير .

ومن غير ما شك أن سيطرة المجموع على نتاج القوة المميزة الخلاقة
لوضعها فى خدمة البشرية وخيرها أمر حتمى .. ونحن نرى الآن كيف
يمكن أن يوجه نتاج هذه القوة المتميزة .. فى غير صالح البشر .. وفى غير
خدمة مجموع الجماهير ..

وأن عجز سلطان الجماهير بقوة الديمقراطية عن السيطرة على هذا
النتاج .. وتوجيه واستخدام قوة الذرة فى أعمال التدمير .. لا يمكن أن
يكون حصيلة سيطرة قوة الديمقراطية على العلم .

ومع ذلك .. ومع كل تسليمنا بحيوية سيطرة قوة الديمقراطية على نتائج
القوة المتميزة .. بحيث تجعله سبيلا للخير .. بدل أن يكون وسيلة
للتدمير .. أو استعراضا لعضلات الذهن البشرى .. فى انطلاق أهوج لا
فائدة منه .. يجب أن نسلم بأن هذه السيطرة يجب أن تكون فى حدود
معينة .. بل وقد تكون بتعبير أدق .. سيطرة متبادلة من كل من القوتين ..
إحدهما على الأخرى .

ولقد استمعت ذات مرة إلى خطبة لخروشوف فى اجتماع مجلس
السوفيت الأعلى .. يحمل فيها .. على محاولات فرض سيطرة القيادات
السياسية فى المجالات العلمية والفنية .. وعلى تدخلها بالتوجيه فى مجالات
بعيدة عن تخصصها . تدخل مخللا متلفا وأذكر قوله فى سخرية عن تدخل

رجال الحزب في المجال الزراعى بما معناه « هو كل من أكل أكلة بطاطس ..
حاي اعتبر نفسه خبير زراعى ؟ » وطلب من رجال الحزب الكف عن
التدخل فيما لا يفهمون فيه . وأن يتركوا الأمر للمتخصصين فيه .

ومن هنا تنبت مشكلة التوفيق في الدولة العصرية بين دعامتى
الديمقراطية والعلم .. أو بين القيادات الشعبية السياسية والخبرات الفنية .
وسيطرة وقوة الديمقراطية المتمثلة في سلطة القيادات السياسية المنتخبة
تبدأ بالتعبير عن احتياجات الناس ورغباتهم وآمالهم وأمانيتهم .. ثم بترجمة
هذه الاحتياجات إلى خطوط عريضة لخطة عمل .. تبدأ بعدها سيطرة قوة
العلم والتكنولوجيا . بحيث تنبت من خطة العمل — بكل ما تملك من
قدرة وجهد — أفضل ثمرات الإنتاج متحررة من أية سيطرة إلا سيطرة
العلم والقدرة الخلاقة .. مسيطرة بدورها — علميا على وسائل الإنتاج
ومن بينها قوى الجماهير الكادحة بحيث تحقق بواسطتها أكبر قدر من الخير
للجماهير نفسها .. ويكون دور قوة الديمقراطية في هذه المرحلة .. هو
دور الرقابة .. لتوقف أى جنوح لغير صالح الجماهير .. ولضمان توجيه
حصيلة الإنتاج بالعدالة لرخائها ..

فقوة العلم يجب أن تطلق متحررة من أجل البحث العلمى وإنتاجها
يجب أن يخضع لقوة الديمقراطية من أجل توجيهه لخير الناس والتمو
الحضارى ..

وقوة العلم يجب أن تطلق .. من أجل توجيه عمل الجماهير الكادحة
علميا لكى يحقق أفضل الإنتاج لصالح الجماهير .. ولرخاء البشر .
وإطلاق القوتين .. قوة الديمقراطية .. وقوة العلم أمر حيوى .. ولكن
ربطهما في قيادة واحدة منسقة — أمر أشد حيوية .

ولا جدال أن الوصول بالقوة الديمقراطية الممثلة في القيادات السياسية
المنتخبة .. إلى أفضل مستوى علمى نستطيعه .. والوصول بقوة العلم

الممثلة في المتميزين من الشعب بالقدرة البانية والموهبة الخلاقة إلى أفضل مستوى سياسى هما خير وسيلة لتحقيق الحياة الحرة الكريمة العادلة الآمنة المستقرة للشعوب .

إن تنمية القيادة السياسية علميا وتنمية الكفاءة العلمية سياسيا بقدر ما تسمح به قدرات الأولى .. ووقت الثانية هما خير طريق لربط القوتين في قيادة متآلفة متجانسة .. من أجل بناء الدولة العصرية التى تحقق للشعب ما يصبو إليه من آمال فى الرخاء والعدالة والسلام .

السلام .. من موقع القوة

في بيان ٣٠ مارس أكد الرئيس جمال عبد الناصر في حديثه عن إعادة بناء القوات المسلحة أن منطق هذا العصر ولعله منطق كل العصور أن الحق بغير القوة ضائع وأن أمل السلام بغير إمكانية الدفاع عنه استسلام ، وأن المبادئ بغير مقدرة على حمايتها أحلام مثالية مكانها السماء وليس لها مكان على الأرض .

وعندما يقبل الشعب الفيتنامي العرض الذي تقدم به جونسون لتحقيق السلام في فيتنام عن طريق المفاوضات فإنه يسعى إلى السلام وملء يديه إمكانية الدفاع عنه . ففي الوقت الذي يقبل فيه مفاوضات السلام نجد أنه قد استطاع في بضعة أسابيع تعد على أصابع اليد وفي الفترة من ٣٠ يناير إلى ١٥ مارس قد استطاع أن ينزل بالقوات الأمريكية الخسائر التالية :

- ١٥٠ ألف جندي (منهم ٤٥ ألف جندي أمريكي) قتل وأسرى .
- ٢٢٠ طائرة أسقطت .
- ٣٥٠٠ سيارة أمريكية دمرت .
- ١٧٥٠ دبابة ومصفحة .
- ٣٠٠ مدفع ثقيل .
- ٢٣٣ سفينة وزورقا أغرقت .
- ٣٠٠ جسر في فيتنام الجنوبية دمرت .
- ٨٢٣ نقطة حراسة دمرت .

كما تم تحرير أكثر من ٦٠٠ قرية تضم ١,٠٠٠,٠٠٠ مواطن فيتنامي .
في شهر ونصف .. أنزل الشعب الفيتنامي هذه الخسائر بالقوات

الأمريكية المعتدية . ومن هذا الموقف يقبل المفاوضات وبهذه الإمكانية يتقدم لتحقيق السلام مبدى استعداده للدخول مع الأمريكيين في مباحثات حول وقف جميع العمليات الحربية التى تشنها أمريكا ضد فيتنام الشمالية على أن تتخذ الخطوة التالية على أساس نتائج هذه المباحثات .

والشعب الفيتنامى تقدم من موقع الاستعداد للنضال لتحقيق السلام القائم على العدل والحرية والحق المطلق فى تقرير المصير .

وقد خاض الشعب الفيتنامى قتالا مريرا .. وحربا ضارية .. ليس لأنه لم يكن منها مفر للدفاع عن وجوده وحقه فى الحياة الحرة الكريمة .. وهو لم يرفض الحل السياسى إذا أمكن أن يجنبه مرارة القتال وآلام الحرب التى قاسى منها سنوات طويلة .. ويحقق له مبادئه وحرته ..

ولقد وضعه استعداده العسكرى .. موضع القوة فى الحل السياسى .. يقدم عليه بغير عجز أو استسلام .

ونحن نقف من العدوان الإسرائيلى الاستعمارى .. موقف الشعب الفيتنامى من العدوان الأمريكى .. حقنا فى أرضنا بغير القوة ضائع ، وأملنا فى السلام بغير إمكانية الدفاع عنه استسلام .

وعندما يؤكّد بيان ٣٠ مارس أنه لا ينبغى أن يكون هناك الآن صوت أعلى من صوت المعركة ولا نداء أقدس من ندائها ..

وأن أى تفكير أو حساب لا يضع المعركة وضرورتها أولا وقبل كل شىء لا يستحق أن يكون تفكيرا ولا تزيد نتيجته على الصفر ..

وأن المعركة لها الأولوية على كل ما عداها وفى سبيلها وعلى طريق تحقيق النصر فيها يهون كل شىء ويرخص كل بذل . مالا كان .. أو جهدا .. أو دما .

ومهما كان السبيل الذى نسلكه إلى تحرير الأرض وتحقيق النصر .. فإنه يصبح سبيلا مسدودا بغير استعداد للمعركة .

ولكيلا نتخذ إلى مستقبلنا طريقا مسدودا .. يجب أن نستعد
للمعركة .. أو نعيش المعركة ..
والاستعداد للمعركة يجب أن يكون في نطاقات ثلاثة :
النطاق العربى بالجبهة العربية الكبيرة .. الموحدة .. المنسقة .. التى
تتحرك فيها القوات العربية كوحدة واحدة .. فى خطة واحدة .
والنطاق الثانى : على الجبهة المصرية التى ترابط فيها قواتنا العسكرية .
والنطاق الثالث : على الجبهة الداخلية .. بكل ما تملكه من حشد
للقوى .. فى الاستعداد للقتال .. وفى زيادة الإنتاج .
والنطاق الثانى قد تحقق النجاح فيه بما يملأ النفس ثقة .
والنطاق الثالث نسعى إلى تحقيقه بكل ما نملك من رغبة وقدرة .
أما النطاق الأول .. فلشد ما أخشى أن يظل كما قلت من قبل .. مجرد
أمنية .. فى مرحلة نحن فى أشد الحاجة إلى الأعمال منا إلى الأمانى .
إن المصير العربى معلق بالاستعداد للمعركة .. نحقق به السلام من
موقع الثقة أو نخوض به القتال من موقع القوة .
ولن نمل من ترديد الأمنية والدعوة إلى تحقيقها حتى تصبح حقيقة
واقعة .

غصن الزيتون وطلقات الغدر

كانت آخر كلمات الزعيم الزنجي مارتن لوثر كنج التي حملتها إلينا وكالات الأنباء هو ما قاله في مؤتمره الصحفي إن الاضطرابات التي ينتظر أن تحدث ستكون أعنف بمراحل من اضطرابات العام الماضي .
وقال كنج « لست أحب أن أتنبأ بوقوع أعمال عنيفة غير أن الأوضاع التي تسببت في اضطرابات وقلاقل الصيف الماضي لا تزال قائمة » .

وهاجم كنج سياسة جونسون العدوانية قائلاً إنه يشن حرباً في فيتنام من أشد الحروب ظلماً في تاريخ العالم وأن الولايات المتحدة تنفق خمسين ألف دولار على قتل كل واحد من الثوار في فيتنام الجنوبية .

وبعد أيام لقي الرجل الذي كان يكافح الظلم والغدر بغصن الزيتون تلميذ غاندى الحائز على جائزة نوبل من أجل السلام — مصرعه بطلقة غادرة اعتبرت كما قال المسئولون الأمريكيون أنفسهم في موجة خجلهم « وصمة تجلب العار على المجتمع الأمريكى الذى يتسم بالعنف والغدر والاختلال العقلى » .

رحل الرجل الذى يكره العنف .. والذى تنبأ بوقوع أعمال أعنف بمراحل من أعمال العام الماضي — دون أن يدري أن رحيله .. سيسبب — كما قالت إنديرا غاندى — نكسة لبحث البشرية عن الضوء .. ودون أن يدري أن رحيله سيدفع بأمريكا إلى حافة حرب أهلية .. وسيكون — كما قال هيوبرت همفرى نائب الرئيس جونسون — « مأساة كبرى لأمريكا وسيجلب العار عليها » .. كأنما أمريكا ينقصها العار .

ولقد كنت أحب مارتن لوثر كنج .. لأنه يحمل غصن الزيتون .. كما أحببت من قبله غاندى .. وفجعت فى مصرعه .. كما فجعت فى مصرع غاندى .. وكرهت سخرية القدر .. وهو يصرع حاملى أغصان الزيتون .. بطعنات الغدر .. التى يحاولون أن يجنبوا البشرية آلامها . ولم تسنح لى فرصة لقاء كنج .. ولكنى لقيت نقيضه الزعيم الزنجى صاحب دعوة العنف .. ستوكلى كارميكىل .. عدة مرات .

وقال لى كارميكىل : لانه لا يقر أسلوب كنج فى مكافحة العنصرية لأن تاريخ النضال الزنجى من أجل إزالة التفرقة العنصرية يؤكد أن السبيل الوحيد إلى القضاء عليها هو الكفاح المسلح .

وقال إن الزوج فى أمريكا أفريقيون يشاركون بقية الإفرقيين فى المعاناة من سطوة الاستعمار وظلمه .. وأن الإفرقيين قتل منهم ما يقرب من مائة مليون فى ترحيلهم كعبيد إلى أمريكا ، وأن السفن كانت تلقى بكل حمولتها من العبيد فى البحر عندما تضبط متلبسة بنقل العبيد هروبا من تهمة الاتجار بالرق . وكان الزوج يشدون بسلسلة واحدة فى السفينة بحيث يتعذر على أحدهم الهروب إلا إذا جر الحمولة كلها معه إلى البحر .

وقال لى كارميكىل إن مطلب الزوج فى أمريكا ليس إزالة التفرقة العنصرية .. بمعنى أن يشارك الزوج البيض فى مطاعهم ودور لهم ، لأن الزوج لا يهتم أن يجلسوا مع البيض فى مكان واحد .. وأنه إذا كان البيض يرفضون مخالطتهم .. فهم أشد منهم رفضا لهذه المخالطة .. ولكن ما يريده الزوج هو حقهم فى حياة كريمة . هو أن تكون لهم كل ما للمواطن الأمريكى من حقوق . وعندما يحصلون لن يهتم أن يجلسهم البيض معهم أو يبعدوهم عنهم .. بل قد يكونون هم أشد حرصا من البيض على تجنب البيض .

ولقد قرأت لى كارميكىل تصريحاً بعد اغتيال كنج يقول : « إن أمريكا

البيضاء أعلنت الليلة الماضية الحرب ضد أمريكا السوداء وأن ما نحتاج إليه هو المزيد من البنادق وليست ثمة حاجة إلى الكثير من المناقشات الفكرية حول الموضوع . وأنه عندما قتل كنج في الليلة الماضية قتل أيضا آخر أمل للرجل الأبيض .

ولقد اشتعلت الحرائق في كل المدن الأمريكية الكبرى .

ووجدنا أمريكا التي مارست بكل ما تملك من غرور و صلف .. أعمال العنف .. في شتى أنحاء العالم .. تشيع في ربوعها بين يوم وليلة أعمال العنف وتشتعل الحرائق في دورها ويدوى الرصاص في طرقاتها ويسقط في شوارعها القتلى والجرحى .

أمريكا التي غطت سماء فيتنام بدخان الحرائق قد غطى سماء عاصمتها الدخان الأسود .

أمريكا التي مكنت إسرائيل من أن تشن العدوان على العرب وتشردهم قد غصت مستشفياتها بالجرحى وأصبحت شوارعها ميادين قتال وبيتها الأبيض حصنا حربيا .

أمريكا التي ظنت أنها تصدر الدمار ولا تستورده قد أضحت عاصمتها مدينة أشباح وهجرها سكانها .. وباتت شيكاغو مدينة يمزقها الخوف وتسرى النار في كل أرجائها .

لقد سخر أحد الشعراء .. في قصيدة أخيرة له من أن الشرق ما زال يلجأ إلى الله .. ويقول : « يا قهار يا غلاب » .

وأنا لا أؤمن بالتواكل .. ولا أؤمن بانتظار المعجزات من الله .

ولكنى لا أملك وسط هذا الدمار الذى أنزل بتجار الدمار ..

الا أن أهتف برغم كل شيء « يا قهار .. يا غلاب » .

١٠ أبريل ١٩٦٨

نظرة .. شاملة

قدم الرئيس جمال عبد الناصر برنامج ٣٠ مارس إلى جماهير الشعب بأن خير ما نستطيع أن نتسلح به لمواجهة مسئوليتنا المقبلة . هو أن يكون في يدنا برنامج عمل محدد تتفق عليه إرادتنا جميعا .

برنامج عمل يكفل وصولنا إلى الأهداف القريبة لنضالنا .. ويقرب منا يوم الوصول إلى الأهداف البعيدة لهذا النضال .

برنامج عمل نتمسك به في أيدينا . ثم نمضي على طريق الكفاح الطويل . وفي يدنا خريطة للأفق الفسيح أمامنا وخطة عمل لتقدمنا على هذا الأفق .

ولقد وضع برنامج العمل واتفقت عليه إرادة شعبنا في مصر . ونحن نتمسك به الآن في أيدينا ونمضي به على طريق الكفاح الطويل بخريطة واضحة لأفقنا وخطة عمل لتقدمنا إلى أهدافنا القريبة . وأهدافنا البعيدة .

ولكننا .. هنا في مصر .. لا نتحرك وحدنا .. لنحقق هدفا خاصا بنا .. لأننا .. أردنا أو لم نرد .. نشارك الوطن العربي كله أهدافه بل إن وحدة المصير العربي تشكل في حد ذاتها هدفا هو وحده القادر على خلق وجود عربي تتحقق فيه الرفاهية والعدالة والقدرة على المشاركة في نمو الحضارة الإنسانية وتحقيق السلام العالمي .

فنحن ببرنامج عملنا .. الذي نمضي به على طريق الكفاح .. لا يمكن أن نمضي به وحدنا .. لأن الخيوط الوثيقة التي تشدنا بالوطن العربي يمكن أن تقيد من حركتنا .. وتثقل من خطواتنا ما لم تكن جزءا من حركة عامة للوطن العربي كله ..

وخريطة الأفق الفسيح في وطننا .. وخطة عملنا للسير عليه ..

ستكفل لنا التقدم إلى أهداف نضالنا .

ولو كانت هذه الأهداف .. مرتبطة بشعبنا .. محددة في وطننا ..
لأصبح برنامجنا للعمل .. وخريطة أفقنا التي وضعنا خططنا للتقدم عليها ..
كافية لبلوغ هذه الأهداف ..

ولكن ... هذه الأهداف التي تتطلب منا حشد كل قوانا العسكرية
والاقتصادية والفكرية .. على خطوطنا مع العدو لتحرير الأرض وتحقيق
النصر .

هذه الأهداف .. لا يمكن أن تكون أهدافا خاصة بنا .. فالعدو الذي
يرابط على خطوطنا الأمامية هو نفس العدو الذي يرابط على خطوط سوريا
والأردن والذي يمكن أن يهدد حدود لبنان .

وحركته هنا لا تنفصل عن حركته هناك . فنحن وغيرنا من البلاد
العربية مسئولون عن مجابهته في كل جبهة ..

وتهديد مصير أية دولة عربية .. هو تهديد لمصير الوطن العربي كله ..
لأن مطامع العدو التوسعية لا تتخير بلدا عربيا دون آخر .. وإنما هو يخطط
لوجوده العدواني .. في الأرض العربية كلها .

فنحن إذن في خطة عملنا للتقدم على طريق النضال . لا نستطيع أن
نتقدم في عزلة عن الآخرين .. ولا نستطيع أن ننجو بأنفسنا بأسهل
الطرق .. لأننا مسئولون عن الوجود العربي .. ليس لمجرد أننا جزء منه ..
بل صيانة لأنفسنا ولوجودنا .. ومواجهة للعدو .. بوجود كبير ..
قادر .. بوحدة عمله المشترك وحشد إمكانياته .. على تدمير العدو
ووضع حد لعدوانه ومطامعه .

نحن إذن في حشد قوانا على خطوطنا مع العدو لتحرير الأرض وتحقيق
النصر .. مرتبطون ارتباطا وثيقا بخطة عمل يجب أن تكون جزءا من خطة
عربية كبرى .. تتقدم على خريطة تشمل أفقا أوسع من أفقنا .. تشمل

الأفق العربى كله .

أما تعبئة جماهيرنا فى الداخل بكل ما لها من إمكانيات وطاقات كامنة من أجل واجبات التحرير والنصر وآمال ما بعد التحرير والنصر .. فهى أيضا مرتبطة ارتباطا وثيقا بالعمل الشامل الذى يشدنا مع بقية الوطن العربى .. وإذا لم تكن خريطة الأفق العربى واضحة .. وخطة العمل للتقدم عليه محددة .. فإن تعبئة إمكانيات الجماهير وطاقاتها الكامنة .. يمكن أن تستنزف ونحن نوجهها لتحقيق واجبات التحرير والنصر . إذا لم يحكم توجيهها عمل عربى موحد .. وخطة عربية محكمة شاملة .

والبرنامج نفسه يؤكد الانتماء المصرى إلى الأمة العربية تاريخيا ونضالبا ومصيريا .

ومن أجل ذلك يجب أن تتسع خريطة الأفق الفسيح التى فى أيدينا لتمنحنا نظرة شاملة على قدرة الوطن العربى وإمكانياته .. ولتحدد لنا خطة عمل لتقدمنا على هذا الأفق تكفل لنا الوصول إلى الأهداف القريبة لنضالنا .. وتقرب يوم الوصول إلى الأهداف البعيدة لهذا النضال . وخريطة الأفق الفسيح للوطن العربى والإمكانيات العربية .. وخطة العمل للتقدم على هذا الأفق .. من غير ما شك .. موجودة فى أذهان الكثير ..

ولكن المهم — كما قال الرئيس جمال فى برنامجنا يوم ٣٠ مارس — أن ندرسها معا .. ونقرها معا .. وتنفق عليها إرادتنا جميعا .. وبعد أن يتحقق لقاء فكرنا عليه نمضى على طريق الكفاح الطويل .

والذى نعرفه جميعا أنه ليس لدى العرب خطة سياسية واحدة أو خطة عسكرية مشتركة .

فنحن إذن نمضى على طريق الكفاح للهدف الأسمى الذى يجمعنا

جميعا .. كل في طريقه .. وكل بخطته .. وكل بجهد .. دون أن يجمعنا طريق واحد أو خطة واحدة .. تجمع جهودنا .. في عمل مشترك .
وخريطة الأفق العربى الفسيح أمامنا .. تبدو مهتزة .. غير واضحة ..
وهى أول ما يجب أن يتضح لأعيننا .. حتى نعرف .. ماذا نريد ..
وبماذا نحققه .

ومحور الارتكاز الذى تركز عليه خريطة الأفق العربى .. والنقطة التى .. من أى سبيل بدأنا .. فلا بد أن نتهى إليها .. هى بغير جدال ..
الوطن الفلسطينى .

وسواء سلكنا السبيل السياسى .. أو خضنا طريق النضال المسلح ..
فالهدف هنا أو هناك .. هو حق الشعب الفلسطينى فى وطنه .

فبالنسبة لخطة العمل السياسى .. لو اعتبرنا قرار الأمم المتحدة حلا للمشكلة فإن أول ما يجب تنفيذه هو انسحاب إسرائيل .. إلى خطوط الهدنة قبل ٥ يوليو .. وإذا كانت إسرائيل تعتبر قرار الأمم المتحدة جدول أعمال قابلا للمناقشة على مائدة مفاوضات يعفيها من أية التزامات واردة فيه ..

فهو أمر مرفوض رفضا باتا لأن العرب لن يقبلوا الصلح مع إسرائيل سواء كان ذلك بمفاوضات مباشرة أو غير مباشرة .

فإذا قبلت إسرائيل الالتزام بقرار المجلس كحل للمشكلة لتحتم عليها أولا الانسحاب إلى حدود الهدنة .. وهنا تنبت مشكلة الحدود الآمنة وهى فى أذهاننا حدود ما قبل ٥ يونيو والمناطق المنزوعة السلاح يجب أن تكون على الجانبين .

ولا شك أن خير طريقة لتنفيذ قرار مجلس الأمن — إذا كان يشكل حلا يجب تنفيذه هو أن يضع مجلس الأمن — وهو الهيئة صاحبة القرار — برنامجا تنفيذيا بجدول زمنى لخطوات التنفيذ على أن يكون المجلس بما فيه

الأربع الدول الكبار ضامنا لتنفيذه لأن العرب يعتبرون إسرائيل طرفا غير مؤتمن على احترام التزاماته وتجربة رودس الفاشلة التي لم تحترمها إسرائيل وكذلك عدم احترام إسرائيل للمناطق المنزوعة السلاح واحتلالها العوجة سنة ١٩٥٥ لا يجعل هناك من طريق لضمان تنفيذ قرار مجلس الأمن سوى مجلس الأمن نفسه .

فإذا قبلت هذا إسرائيل نبت النقطة التالية وهي مرور إسرائيل في القناة .. التي لا تقبل مناقشتها قبل أن تحل مشكلة فلسطين ذاتها .. وقبل أن يحصل الشعب الفلسطيني على حقه في أرضه .

إذن فنحن نلف وندور ثم نصل إلى بيت القصيد وهو .. أن شعب فلسطين يجب أن يحصل على حقه في وطنه .. ومن غير ذلك .. تصبح كل الشروط الأخرى معلقة في الهواء .

وبطريق العمل العسكري .. سيكون الهدف النهائي .. بعد إزالة آثار العدوان .. هو عودة الشعب الفلسطيني إلى وطنه السليب .

ويتحتم علينا .. لكي نتقدم بخطة عمل إلى هدفنا .. أن نمسك بخريطة الأفق العربي الفسيح .. ومعالم الوطن الفلسطيني .. كما يمكن أن نتصور تحقيقها .. واضحة أمام أعيننا .

الخريطة المثلى هي أن يعود الأفق العربي فسيحا كما كان قبل أن تعبت به يد العدوان في سنة ١٩٤٧ عندما كانت فلسطين يقطنها ٢ مليون منهم ١,٥ مليون عربي ونصف مليون إسرائيلي .

يمحى من خريطة العدوان كل آثار الأيديولوجى العنصرى الصهيونى .. بكل ما يحمله من مطامع توسعية استعمارية .. ويعود الشعب الفلسطيني إلى أرضه ومستردا كل حقوقه .

تلك هي خريطة الأفق العربي الفسيح المثلى ..

فما هي خطة العمل للتقدم العربى على هذا الأفق .

هل نملك إمكانيات التقدم بهذه الخطة ؟

وإذا لم نكن نملكها .. فما هو البديل لها الذى يمكن أن يحقق إمكانياتنا .

يجب أن نحدد بشجاعة إمكانياتنا .. ويجب أن نضع بشجاعة أيضا خطة عمل للتقدم بهذه الإمكانيات لنحقق أهداف نضالنا .. وبيدنا خريطة للأفق الفسيح .. غير وهمية ولا مهتزة بحيث يمكن أن نتقدم عليها بخطة العمل التى تهيئها إمكانياتنا .
وأول هذه الإمكانيات ..

المقاومة الفلسطينية .. التى يجب أن تفتح .. ليس فقط عربيا .. بل يمكن أن تذهب إلى مدى أبعد من هذا .. إلى مجال عالمى .. نقبل فيه المتطوعين من المحاربين القادرين من مسلمى ومسيحيى العالم .
ليس هناك جدال فى أننا لا نحارب اليهود كشعب ولكننا نحارب الصهيونية التى تحشد اليهود من أجل تنفيذ أحلامها التوسعية العنصرية .
فإذا كانت الصهيونية تحشد اليهود من أجل عمل عدوانى عنصرى .. وإذا كان آلاف المرتزقة من يهود العالم من أوروبا وأمريكا قد شاركوا فى عدوان ٥ يونيو .. وإذا كان الجنود اليهود الأمريكيون الذين اشتركوا فى العدوان على فيتنام قد سحبوا قبل ٥ يونيو من فيتنام للاشتراك فى العدوان على العرب .

أفلا يسمح بحشد المتطوعين من جميع أنحاء العالم لرد العدوان .. وإزالة آثاره ..

لن يكون المسلمون والمسيحيون المتطوعون فى أنحاء العالم مرتزقة .. ولكنهم سيكونون فدائيين وراغبين فى الاستشهاد من أجل رد العدوان الصهيونى على الأماكن المقدسة .

ويجب أن يفتح الباب للاستفادة بالمتطوعين الخبيرين بالقتال والذين يمكن أن تحتاج إليهم المقاومة العربية .

ويجب أن تكون هذه المقاومة جزءا من العمل العسكري الذي يجب أن يوحد تحت قيادة واحدة وبخطة عمل واحدة على الأقل بالنسبة للبلاد التي تواجهها إسرائيل فعلا .. وتحتل أرضها أو تهددها باحتلال أرضها .

إن واجهة إسرائيل التي تواجه بها البلاد العربية تزيد على آلاف الأميال .. ومن العجيب عسكريا أن تستطيع مجموعة من البلاد أن تحيط ببلد كإسرائيل من جميع الجبهات ومع ذلك تقف إسرائيل بينها تضرب هنا وهناك في صلف وغرور وتحد .. لأن البلاد المحيطة ليس بينها من مظهر العمل المشترك ما يمكن أن يكون بين مجرد حلفاء .. كما كان العمل العسكري في الحرب الكبرى بين الحلفاء في مواجهة دول المحور .

أما العمل السياسي فيجب أن يتفق على خطة العمل فيه على أساس ما هي الصورة التي يمكن أن يكون عليها الوطن الفلسطيني .

إن تقرير المصير الفلسطيني ملك الشعب الفلسطيني وحده .. ولكن الإمكانيات التي يمكن أن يتحقق بها هذا المصير هي إمكانيات الوطن العربي كله ومن أجل هذا يجب أن يحدد الصورة .. الوطن العربي كله وفي مقدمته الشعب الفلسطيني .

على نطاق الوطن العربي كله يجب أن نفعل ما فعلنا هنا في مصر .. وما قال عبد الناصر في تقديم برنامجه .

يجب أن يكون لدينا برنامج عمل نمسك به في أيدينا وبعد أن يتحقق لقاء فكرنا عليه .. نمضي على طريق الكفاح الطويل .. وفي يدنا خريطة للأفق الفسيح أمامنا وخطة عمل لتقدمنا على هذا الأفق .

إن لم نفعل هذا عربيا .. فسيكون ارتباطنا العربي واندماؤنا إلى الأمة العربية .. محمدا حركتنا .. مثقلا لخطانا .. التي نتقدم بها لتحقيق أهداف

نضالنا .

وما يحق علينا .. يحق على كل بلد عربى ..
ويصبح على الوجود العربى أن يواجه كارثة .. لو اضطر كل بلد عربى
أن يسلك طريقه وحده .. بخطة منفردة لحل مشكلته كمشكلة خاصة
وبأسهل الطرق .

وإذا تقدم كل بلد عربى فى طريقه بخطته لحل مشكلته .. بأسهل
الطرق ..

فعلى الوجود العربى .. والحضارة العربية — حينذاك — العفاء ..

١٥ مايو ١٩٦٨

في مفترق .. الطرق

عقدت لجنة ال . ه . المشرفة على الانتخابات اجتماعها الأول بالرئيس جمال عبد الناصر لوضع البرنامج التنفيذي لعملية الانتخابات .. تبدأه بوضع الجدول الزمني اللازم لعملية التنفيذ والذي يحدد أولا موعد فتح باب الترشيح للوحدات الأساسية وموعد وإجراءات انتخابات لجانها وأمنائها .. وكذلك ممثلوها في المستويات الأعلى الذين يكونون هيئة مؤتمر القسم ، والمركز ، والبندر- ثم ثانيا تحديد موعد الترشيح وإجراءات الانتخابات للجان القسم والمركز .. وكذلك أمنائها وممثلوها في مؤتمر المستوى الأعلى وهو مؤتمر المحافظة .. ثم ثالثا تنظيم موعد وإجراءات الانتخابات للجان المحافظات وكذلك الأمناء .. ثم رابعا تحديد موعد انعقاد وإجراءات الانتخابات في أكبر مستوى وهو مستوى الجمهورية وهي اللجنة المركزية العليا .

وفي يوم الاثنين قبل أن تعقد لجنة الخمسين اجتماعها الأول صدرت القرارات التي تحدد طريقة تكوين لجان الاتحاد الاشتراكي وتكوين مؤتمراته على مختلف المستويات بحيث أضحى شكل الاتحاد الاشتراكي واضحا بتفاصيله من القاعدة إلى القمة .

فلقد أوضحت القرارات الأربعة الطريقة العملية المحددة التي سيتم بها بناء الاتحاد الاشتراكي بالانتخاب وتسلسل تكوين مؤتمراته ولجانه على المستويات الأربعة .. وهي :

(١) مستوى الوحدة .. (٢) مستوى القسم أو ما يعادله ..

(٣) مستوى المحافظة .. (٤) مستوى الجمهورية .

وقد حدد عدد أعضاء اللجنة في مستوى الوحدة بعشرة أعضاء ينتخبهم أعضاء الوحدة الأساسية ، على أن تقوم هذه اللجنة بانتخاب أمين وأمين مساعد ، وكذلك بانتخاب من يمثلها في مؤتمر المستوى الثاني وهو مؤتمر المركز أو القسم أو البندر بواقع اثنين عن كل ٢٠٠ عضو وبحد أقصى عشرة .

وهكذا يتكون مؤتمر المستوى الثاني أى مؤتمر المركز من ممثلى اللجان المنتخبة من مؤتمر المستوى الأول وهو الوحدة .. وبعد ذلك يقوم مؤتمر المستوى الثاني بانتخاب لجان من ٢٠ وأمين و ٢ أمين مساعد ، وكذلك يقوم بانتخاب ممثلين له في مؤتمر المحافظة بحد أدنى ٨ وحد أقصى ١٦ . وبذلك يتكون مؤتمر المستوى الثالث أى المحافظة من مندوبين منتخبين من لجان المستوى الثاني .

ثم ينتخب مؤتمر المحافظة لجنته من ٢٠ عضوا وكذلك أمين وأمينين مساعدين على أن يتكون مؤتمر المستوى الرابع وهو الجمهورية من مجموع أعضاء مؤتمر المستوى الثالث المحافظة . ومعنى ذلك أنه ليس في مؤتمر المستوى الثالث انتخابات للمستوى الرابع لأن جميع أعضائه وهم الذين انتخبهم لجان المستوى الثاني أعضاء في المؤتمر العام للجمهورية بحكم عضويته لمؤتمر المحافظة .

على أن يقوم المؤتمر العام بانتخاب اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي من ١٥٠ عضوا .

تلك هي الصورة الكاملة لبناء الاتحاد الاشتراكي بكل مؤتمراته ولجانه بالانتخاب ابتداء من المستوى الأول وهو مستوى القاعدة التي تتكون من الوحدات الأساسية متدرجا إلى المستوى الثاني للقسم أو ما يعادله إلى المستوى الثالث للمحافظة إلى المستوى الرابع للجمهورية بحيث يكون الشكل العام لكل مستوى يتكون من مؤتمر ولجنة أمناء .

وعملية الانتخابات القادمة .. بعد أن ألقى الرئيس جمال عبد الناصر على قوى الشعب الواعية عبء ضمان تحقيق بيان ٣٠ مارس — عملية حيوية خطيرة فهي الطريق الطبيعي الذى يجب أن يسلكه الشعب لتحقيق قدرته على الضمان بدقة انتخاب ممثليه وحسن اختيارهم .

إن هذا الاختيار الجاد الدقيق هو الذى يمكن أن يؤكد دور قوى الشعب العاملة وتحالفها وقياداتها فى تحقيق سيطرتها بالديمقراطية على العمل الوطنى فى كافة مجالاته .

فالديمقراطية هى سيطرة الشعب على طاقاته وقدرته وتوجيهها لمصلحته .

وهو لا يسيطر بجماهيره المبعثرة ولكن بتكتلها ورائ قيادات هى صاحبة الحق فى وجودها .. وهى التى انتقتها واختارتها لتعبر عن مشاعرها وترسم اتجاهاتها وتحقق رغباتها .

فالوسيلة إلى سيطرة الشعب على السلطة من أجل مصلحته .. هم أولئك المختارون بواسطته المعبرين عن إرادته .. فإذا قصر فى اختيارهم أو ضلل فى انتخابهم فإن عملية الديمقراطية تصبح عملية زائفة وتصبح إرادة الشعب قاصرة عن بلوغ السلطة وتوجيهها ، ويصبح المختارون — بدل أن يكونوا أعصاب الجماهير الحساسة .. التى تمارس بها إرادتها وتعبر بها عن مشاعرها وإراداتها — يصبحون أداة منعزلة عن الشعب لا تعبر إلا عن نفسها ومصلحتها ورغباتها .. ويصبح وجودهم فرضا لا اختيارا .. وتنقلب وظيفتهم إلى نوع من السيادة يمارسونها على الشعب بدلا من أن تكون نوعا من الخدمة يؤدونها لتنفيذ إرادة الشعب والتعبير عن إحساسه . من أجل هذا .. وفى هذه المرحلة بالذات .. التى يقف فيها الشعب فى مفترق طرق .. بين مرحلة سيطرة مراكز القوى .. وبين مرحلة إطلاق قوى الشعب للسيطرة الحقيقية على السلطة .. تثبت حيوية الاختيار (من وراء الغيم)

وخطورة الانتخاب .

إن الشعب وحده بحسن الاختيار وجدية الانتخاب هو القادر على أن يسلك الطريق الحقيقي للديمقراطية .. القادر على أن يؤكد دور قوى الشعب العاملة الواعية .. القادر وحده على أن يقضى على العيوب والقصور التى صادفت تكوين الاتحاد الاشتراكى بحيث يجعل منه بحق (وبعد أن أتاحت الفرصة له لكى يبينه بالانتخاب الحر من القاعدة إلى القمة) أكثر الصيغ ملائمة لحشد القوى الشعبية بوسيلة الديمقراطية وعلى أساسها القادر على أن يجعل منه بحق تجسيدا صحيحا وحيا بحيث تكون الثورة بالشعب وللشعب .. وليست لفئة معينة تدعى لنفسها مكان السلطة أو موقع الطليعة بالفرض والادعاء .. القادر على أن يجعل منه بحق الضمان لعدم تحكم طبقة أيا كانت والضمان لتجنب دموية الصراع الطبقي والضمان لكفالة التقدم والضمان لتأكيد الصلة الوثيقة بين الحرية الاجتماعية والحرية السياسية وأن تتوافر كل الضمانات للحرية الشخصية والأمن بالنسبة لجميع المواطنين فى كل الظروف وأن تتوافر كل الضمانات لحرية التفكير والتعبير والنشر والرأى والبحث العلمى والصحافة .

وعملية الانتخاب المقبلة بكل ما تمثله من حيوية وخطورة ستؤدى دورها الحقيقى إذا أنجبت وليدا يمثل هذا الشعب بكل رغباته وإرادته وأحاسيسه .

وتأدية الانتخابات دورها الحقيقى تتوقف على أمرين :

الأول : تهيئة المناخ الصالح لكى يقوم الشعب بعملية الاختيار ..

والثانى : أن يمارس الشعب نفسه عملية الانتخاب بجدية ووعى ودقة

اختيار .

والأول من واجب القيادة .

والثانى من واجب الشعب ..

وما تم حتى الآن من ناحية القيادة يشعر المرء بالأمانة والإخلاص ..
في كل ما اتخذ من إجراءات مهيئة للانتخابات . وبأنها تسعى حقاً لكي
تحقق بالانتخابات سيطرة قوى الشعب بالديمقراطية على العمل الوطني في
كافة مجالاته .

لقد هيأت المناخ اللازم للانتخاب الحر من القاعدة إلى القمة ..
بإطلاق عملية الانتخابات .. دون ارتباط بقيادات سابقة .. وبفتح الباب
على مصراعيه للانضمام إلى عضوية الاتحاد الاشتراكي .
ولقد شكلت اللجنة المشرفة على الانتخابات من مجموعة بعثت
الارتياح والطمأنينة في نفوس الناس .. استطاعت عملية الاختيار (سواء
بأسس التكوين أو بنتيجة الاختيار على هذه الأسس) أن تقدم للشعب
نخبة ممتازة قادرة على أن تهيئ المناخ الصالح للانتخابات .
بقي دور الشعب في الانتخابات ..

والسؤال الذي يطرح هنا : على أي أساس يكون الاختيار .. ورغم أن
تلك هي حرية كل فرد في التقويم وفي الاختيار فإنني أعتقد مع التسليم أولاً
وقبل كل شيء .. بأنه يتحتم على كل مواطن أن يؤدي دوره في الانتخابات
على أساس المشاركة الجادة الدقيقة في اختيار ممثليه الذين سيتولون التعبير
عنه والعمل بإرادته وبمشاعره .

أعتقد أن اختيار المرشح يمكن أن يكون على أساس شخصية الفرد
ومبادئه ، وأسلوبه في العمل .

أما بالنسبة لشخصه فيجب أن يقوم الاختيار على أساس الثقة في خلق
الفرد ، في وفائه وصدقه مع من يتعاملون معه . في احترامه للغير .. في
فهمه للمسئولية وشجاعته في تحملها .. في قدرته على التفاهم والتعاون
وفي سعة صدره ورحابة أفقه وألا تغلب أنانيته تصرفاته .

أما بالنسبة لمبادئه فهي أن يكون مؤمناً بدينه ووطنه ومجتمعاً للاشتراكي

الديمقراطى .

أما بالنسبة لأسلوبه فى العمل فإنه يجب أن يكون ..

١ — السعى لتحقيق حرية الوطن ورفاهيته بالعمل الجاد والسعى لتحقيق الاشتراكية بأوضح مفاهيمها وهو أن الدين أساس المجتمع والاشتراكية ليست متاهات فلسفية أو قوالب مصبوبة بل هى البيت السعيد يحققه القادرون على العمل تظللهم مظلة الصحة والعلم والأمان الاجتماعى .

٢ — الإنتاج هو الأداة الفعالة لتحقيق الاشتراكية. ومعيار الإخلاص للوطن والاشتراكية هو التفوق فى الإنتاج .

٣ — الصدر الرحب وعدم الاستعلاء والمناقشة المنطقية والحوار المقنع هى أسلوب الارتباط بال جماهير .. والتعبير عنهم .. وتحقيق إرادتهم .. وليس بالتقارير والوشايات أو التنكيل أو الاستعلاء ..

تلك هى صورة المنتخب الذى يمكن للإنسان أن يختاره لمواقع القيادة ويأمن إليه فى تعبيره عن مشاعره وممارسته لإرادته فى العمل السياسى .
وكما قلت إن المسألة أولا وآخرا شعور بالمسئولية عن نتيجة الانتخاب والمسئولية عن مرحلة مقبلة يبنى فيها مستقبل وطننا .. وتؤكد فيها قدرته على النصر وعلى تحقيق آمال ما بعد النصر ..

وإذا كنا نريد أن نقرر مصيرنا فى هذا المستقبل فيجب أن نمارس هذا التقرير بكل ما نملك من وعى وفهم .

إننا نحن الشعب القوة التى تشكل مصير الوطن .

إننا نحن الضمان لكى لا تتكرر مأساة خلق مراكز القوى .. أو ضياع سلطة الشعب .. وضياع كل ما نحققه من حريات و ضمانات لأمن المواطن وكرامته .

٢٢ مايو ١٩٦٨

عمل تكتيكي ؟ أم استراتيجي

أعلن الاتفاق على أسس تشكيل المجلس الوطني الفلسطيني الذي سيمثل جميع الفلسطينيين والذي تنبثق منه السلطة التي تقود العمل الفلسطيني الشامل في كل نواحيه .

وقد اتفقت المنظمات الفلسطينية على تشكيل لجنة تحضيرية تمثل جميع الهيئات لاختيار المجلس الوطني من مختلف جوانب العمل الفلسطيني . وكانت تلك هي أمنية كل عربي ، التي نرجو أن تتم بالاتفاق على تشكيل المجلس الذي يوحد العمل الفلسطيني ويجمع القادة الفلسطينيين في قيادة موحدة للعمل السياسي والعسكري .

ولقد كان عمل الفدائيين بكل ما اتسم به من شجاعة وتضحية .. هو الخطوات السديدة التي قادت العمل الفلسطيني إلى مجراه الطبيعي السليم . ولم يكن من الممكن .. والعمل الباهر يتفجر .. مشرقا بالروح الفلسطينية .. مؤكدا للوجود الفلسطيني .. أن يفرض عليه أى قيد من أى نوع .. حتى ولو كانت قيودا تنظيمية .. في محاولة للتوحيد والتنسيق .

كان أهم ما في الأمر أن تطلق الروح الفلسطينية الشجاعة .. لتواجه العدو .. في معاقله .. بعد أن أسفر للعالم عن وجهه العدواني .. وأطماعه ووحشيته .. وبعد أن كشف القناع في صلف وغرور عن دعوى المستضعف في محاولة اكتساب الوجود الشرعي .. وبدا أمام العالم محتلا طاغيا ..

لم يكن من الممكن والشعب الفلسطيني يتحول من خيام اللاجئين إلى معسكرات التدريب . ويتدفق شبابه باحثين عن الموت .. من أجل عودة

الروح الفلسطينية .. باذلين حياتهم فعلا .. دون انتظار لشيء .. إلا أن يجعلوا من أجسادهم المستشهدات معبرا للعودة ..

لم يكن من الممكن والحال هذه .. أن ينتظر العمل الباهر .. حتى تجرى عملية التنظيم .. بعد أن أعطى السلاح لكل فدائي يندفع نحو الاستشهاد .. من أجل فلسطين .. دون تمييز إلا أن يكون مخلصا قادرا . ولكن . بعد أن توطدت أقدام العمل الفدائي .. وازداد حجمه .. وتعددت منظماته ..

وبعد أن بدا الوجه الفلسطيني المشرق القادر .. أضحى العمل الفلسطيني يتطلب أسلوبا آخر .. هو أسلوب المواجهه .. الذى بدأ فعلا فى معركة الكرامة ..

ولم تعد الأعمال الفدائية التى تعتمد على أسلوب « اضرب واهرب » قادرة ، وهى متفرقة ، على طريقة المواجهة ..

بل لقد باتت فلسطين نفسها .. تحتاج إلى تنظيم أقوى وأكبر .. يجمع كل هذه القوى المخلصة الشجاعة لتكون الدعامة للوجود الفلسطيني .. والبناء القومى .

وأنا أذكر فى المؤتمر الذى نظمته اللجنة الشعبية لدعم المقاومة العربية الفلسطينية تأييدا لحركة المقاومة ودعمها لكفاحها واشتركت فيه جميع الاتحادات العربية ، أن النغمة السائدة فى خطب الممثلين للقوى الشعبية العربية هى الرغبة فى توحيد العمل الفدائي ، والرغبة فى دعمه بكل ما تملك القوى الشعبية من وسائل .

ولقد أعلن ممثلو الاتحادات يومذاك عن مساهمة اتحاداته المادية فى دعم أعمال المقاومة .

وكان من المتحدثين الزميل أحمد بها الدين كنعين للصحفيين . ولقد أبدى يومها رأيا فى مناقشة مع الأخ شفيق أرشيدات والأخ خيرى حماد فى

مسألة المساهمات المادية التي قدمتها الاتحادات مؤكداً أن المنظمات الفلسطينية ليس أمس حاجاتها .. المال .. وليس معنى ذلك أنها لا تحتاج إلى الدعم المادي .. ولكن المال لا يمثل حاجتها الملحة .

ولقد التقيت بأحد قواد المقاومة في منظمة الفتح ولم تختلف وجهة نظره عن وجهة نظر أحمد بها الدين وتناقشنا فيما تحتاج إليه المنظمات الفلسطينية في الدرجة الأولى . ولم يكن هناك شك في أن التدريب على مستوى عال .. والسلاح المتقدم هو ما تحتاج إليه المنظمات الفلسطينية .. فالأفراد من ناحية العدد متوافرون .. والإقبال على معسكرات التدريب مذهل .. ولكن خبراء التدريب على هذا النوع الخاص من الحروب هو الذي تحتاج إليه المنظمات .. وكذلك نوع الأسلحة .

وبعد ذلك ينبئ سؤال .. بعد أن أدى العمل الفدائي هدفه الأول .. التلقائي .. وهو هدف معنوي لتحقيق عودة الروح الفلسطينية .. ومادى في إقلاق العدو المستمر وعدم إعطائه الفرصة للاسترخاء في الأراضي التي احتلها .. واعتبارها مكاسب للعدوان يحق أن يستتب له الأمر فيها .
بعد أن أدى العمل الفدائي هدفه الذي حققه ينبئ سؤال : ما هو الهدف الأكبر الذي يحدد طبيعة الفدائي .. هل هو تكتيكي .. أم استراتيجي ؟ ..

هل هو جزء من عمل كبير .. ينسق معه ويرتبط به .. أم هو عمل مستقل سيحقق هدفه .. بنفسه ؟ .
هناك ردان على السؤال ..

فمن وجهة النظر العربية .. يمكن أن يكون العمل الفدائي عملاً تكتيكياً في مرحلة كاملة .. عملاً مرتبطاً بالعمل العربي الموحد (إذا وجد) وهو لا بد أن يتخذ مكانه في الخطة العربية الموحدة لمواجهة إسرائيل .

ومن وجهة النظر الفلسطينية يمكن أن يكون العمل الفدائي .. هو عملا فلسطينيا مستقلا .. له الشكل الاستراتيجي وهدفه تحرير الأرض الفلسطينية ..

وسواء كان أي الردين أسلم .. وسواء كان العمل الفلسطيني عملا استراتيجيا أو تكتيكيا فالمهم هو أن يتوحد العمل وينمو .. ويرتبط بالعمل السياسي الفلسطيني .. على أن يرتبط كلاهما بالعمل العربي الموحد .. والمهم أن يتدعم العمل الفلسطيني بواسطة العرب بكل ما يملكون من طاقة .. بالمال والسلاح والتدريب ..

إن فلسطين قد بعثت بالعمل الفدائي .. ويجب أن يستقطب هذا العمل الباهر .. كل العناصر القادرة .. بحيث يخلق بها الوجود الفلسطيني .. وتكون الدولة الفلسطينية الموحدة بجيشها القادر وكيانها القوي .

٢٩ مايو سنة ١٩٦٨

فلسطين الجديدة

بعد عشرين عاما من غرس الخنجر الإسرائيلي في جانب العرب ..
وبعد عام من آخر نخسة أدمت الجسد العربى ومزقت المزيد من
لحمه .. نقف لنلقى نظرة سريعة شاملة وراءنا .. لنرى إلى أين وصل بنا
الحال .

ماذا فعلنا بأنفسنا .. وماذا فعل بنا العدو ؟ .
نظرة إلى الوراء .. من حق كل لاهث مكروب .. ليرى .. أى أرض
قطع .. وفوق أى ظهر يستوى ..
تقدير موقف .. من وجهة نظر ..
ومن حق كل إنسان له نظر .. وله عقل .. أن ينظر .. ويقدر .
أين تقع منا فلسطين .. وما هى بالنسبة لنا ..
بعد تجارب الأعوام الطويلة .. ما أظن هناك من يجسر على أن ينكر
أنها — أردنا أو لم نرد — قد باتت من الحيوية في موضع القلب .. ولم يعد
ارتباطنا بها مجرد ارتباط مودة وأخوية .. وإنما بات ارتباط كيان
ووجود ..

فالعرق .. والجهد .. ومشقة السنين الطويلة في البناء .. قد تراق ..
مع دماء الآلاف من أعداونا الخضر .. كما حدث .. بالأمس .. في ارتطام
مع العادى عليها وعلينا .. القاضى على وجودها .. المهدد لوجودنا .
ونحن قد أخطأنا خلال السنوات الطويلة الماضية .. ويجب أن نعرف
أخطاءنا .. وأن نوقفها .. ونعمل على تجنبها ..
والعدو أخطأ — رغم كل مظاهر انتصاره — ويجب أن نعرف حقيقة

أخطائه حتى تنصيده بها . ونعرف مقتله منها .
وأول أخطائنا .. هو أننا بلا قيادة موحدة .. متفرغة للعدو .. وليس
مقصودا بالقيادة مجرد القيادة العسكرية .. وإنما هي قيادة لمواجهة العدو في
كل مجالات مقاومته وتدمير إمكانياته .
والقيادة المطلوبة .. كان يجب أن تستند إلى دراسات واسعة عميقة في
كيان العدو .. تكوينه البشري .. وعلاقات مجتمعه .. وأهدافه ..
وقدراته على تحقيق الأهداف .. وامتداداته الخارجية .. ومدى ارتباطها به
معنويا وماديا ..
والقيادة المطلوبة كان يجب أن تدرس كيفية تقليم امتدادات العدو
الخارجية .. وكيفية لقائه في الميادين المتفرقة في العالم الواسع كما نعرف
كيف نلقاه في مجتمعه الداخلي .
إنه يتكون من خليط عجيب .. مستورد .. ساعدنا نحن .. بغير وعي
في الإضافة إليه .. وتنميته .
ولو كانت لدينا قيادة .. وللقيادة خطة .. لمواجهة إسرائيل في الداخل
لما اتخذنا الموقف المتناقض بين مقاومة الهجرة إلى إسرائيل .. والمعاونة
فيها .. بطرد اليهود العرب من البلاد العربية .. ليهاجروا إلى إسرائيل .
والقيادة المطلوبة .. كان يمكن أن تحدد — بشجاعة — الصورة التي
يجب أن تكون عليها فلسطين ..
وتحدد موقفها من اليهود العرب والمسيحيين العرب داخل فلسطين ..
لأنهم مواطنون فلسطينيون عرب .. ولأنهم يجب ألا يشكلوا عدا
للعرب .
والقيادة المطلوبة كان عليها من أول الأمر .. ألا تساعد على تمزيق
الدولة الفلسطينية .. وعلى تحويل شعبها إلى لاجئين ..
كان يجب عليها أن تبقى على فلسطين التي لم يحتلها اليهود .. كمرتکز

للوطن الفلسطيني .. يجمع أهله .. لا في معسكرات اللاجئين ولكن في
بلد قوى .. يقيم نهضة وينشد بناء ويحشد جيشا .. ويواجه المعتدين ..
كغزاة احتلوا جزءا من أرضه .. بحيث يواجه العالم .. ببلد .. قائم ..
احتله الغزاة الغرباء .

والقيادة المطلوبة .. كان يجب أن تجمع الموارد العربية .. من كل نوع
في عمل عربي موحد لدعم النضال الفلسطيني من أجل استعادة أرضه
المحتلة .. كان يجب أن نفعل ذلك كله .. ولكننا لم نفعله .
ومع ذلك .. فقد فعلنا أشياء إيجابية .. فعالة .

لقد نجحنا في عزل السوسة الإسرائيلية التي تحاول أن تنخر في الجسد
العربي . وفي حصار سرطانها الذي حاول أن يسرى في الجسد العربي
خلال السنين الطويلة ليتشعب فيه ويصبح جزءا منه .
لقد نجحنا في منح الجسد العربي مزيدا من المناعة ضده .. والكراهية
له ..

و لم يفلح بعد كل هذا الزمن الا في أن يبقى غريبا كما هو . لم يعرف طعم
الراحة والاستقرار .. بل استمر وجوده معزولا .. وعلى استعداد دائم ..
لأن يلفظ بعيدا ..

ولقد نجحنا — رغم فشلنا في التجمع كقوة — في أن يصبح كل منا
أقوى مما كان في بنائه الذاتي .. بحيث أصبح من المحقق لو وصلنا إلى نوع
من التجمع .. أن يكون تجمع الأقوياء .. لا زحمة الضعفاء ..
ولقد نجحنا أيضا — ولعل بعض الفضل يرجع إلى عدونا — في تعريته
أمام الرأي العام العالمى .. وفي كسب الكثير من الأصدقاء ..
تلك هي نواحي الخطأ والصواب . في مواجهتنا للعدو ..
ما هي نواحي الخطأ والصواب في مواجهته لنا ؟
أولى نواحي الصواب : هي استغلال قدرته وتفوقه العلمى وإمكانات

أصدقائه بأقصى ما يستطيع .. فى البناء الداخلى لتوطيد بنائه . وفى المعارك العسكرية لتأمين وجوده وفى الدعاية الخارجية لكسب موضع عالمى يضمن بقاءه ونموه .

ولقد استطاع بذلك أن يحقق لنفسه الوضع الذى وصل إليه الآن . ولكن السؤال الذى يدور فى الأذهان .. ولا سيما فى ذهن العدو نفسه .. هل حقق له هذا الوضع ما يريد من استقرار وأمان واستمتاع بما حققه من رخاء .

الإجابة .. قطعاً لا ..

والسبب .. فى أغلبه .. أخطاؤه هو .

وللعدو أخطاء .. فرضت عليه بطريقة تكوينه . بل بمجرد وجوده .. وله أخطاء .. لم يكن منها بد .. لمحاولة تثبيت وجوده .. الذى كان فى حد ذاته .. خطأ كبيراً ..

مهما كانت وجهات النظر الصهيونية التى تبرر وجود إسرائيل ومهما كانت المبادئ التى قامت عليها الصهيونية .. فهى بغير جدال فكرة حمقاء انفعالية .. لا يمكن أن تجد لها عندما توضع مجردة فى عصرنا هذا .. أى قبول لدى الذهن البشرى المتقدم .

ليس هناك ذهن عادى فى هذا الزمن يقبل قيام الدولة الدينية العنصرية . وليس هناك ذهن طبيعى يقبل حجة الأرض الموعودة بعد آلاف السنين .

وتصبح نتيجة الأخطاء هى محاولة تكوين دولة من أجناس مختلفة .. من العسير أن تجمعها ألفة أو مودة . أو تقارب . بل يصبح كل ما يجمع المواطنين من مشاعر هو الخوف على المصير . والجزع من عدو يهدد وجودهم بملايينه المائة فى كل لحظة .

ذلك هو الخطأ .. الذى لم تكن لإسرائيل يد فيه .. لأنها ولدت

نتيجته .

خطأ في طريقة الوجود ..

ينبع منه بعد ذلك .. خطأ في محاولة الاستقرار .. بالعنف ..
والفرض ..

والسؤال البسيط الذى لا يريد الصهاينة أن يسألوه لأنفسهم ..
هل يمكن اكتساب الأمان بالكراهية .. وهل يمكن فرض الطمأنينة
بإيغار الصدور ؟ .

والرد واضح أمام إسرائيل .

واضح .. كالشمس .. في الوضع الذى وصلت إليه الآن .. وبعد ما
حققت أقصى ما يمكن أن تحققه .. تدمير جيوش .. واستيلاء على
أراض .. والتحكم في مواقع تمنحهم الأمان العسكرى ..
ومع كل هذا .. لم يحدث أن شعرت إسرائيل .. بأقل أمان كما تشعر
الآن .

والوطن العربى أمام الصهاينة طويل عريض . والعرب كثيرون .. يقفون
أمامهم — رغم فرقتهم — كالشبح الخيف .. صابرا .. صامدا ..
كارها .. حاقدًا ..

والرجل في إسرائيل ما زال يقول لامرأته .. اذبحى نفسك .. واذبحى
الأولاد .. لو جاء العرب ..
أى حياة .. وأى أمان ..

بعد عشرين عاما .. ما زال الإسرائيلي — رغم ما حققه من
انتصارات — يعيش في ذعر من وصول العربى .
وقد يمنحهم أصدقاؤهم المزيد من الطائرات .
وقد يحصلون على مزيد من الانتصارات .
ولكن بمزيد من الكراهية ومزيد من الحقد ..

ويبقى وجود إسرائيل معلقا .. بمدافعها وطائراتها ..
معلقا .. بفرقة العرب وتخلفهم ..
معلقا بقوة الاستعمار .. وغناه ..
وذلك هو أحد أخطاء إسرائيل .. في الحساب والتقدير ..
أن تبني وجودها على الفارق بين ضعف العرب .. وقوة خصومهم ..
إن قوة الاستعمار تضر ..
وإن العرب مهما .. مر بهم من محن وأزمات .. يسيرون .. إلى
أفضل .. ماديا .. ومعنويا ..
هكذا أراد الله ..
أنبت البترول في أرضهم ..
وأنضج شعوبهم .. ذهننا وروحا .. والمقارنة بين ما كنا فيه .. وما
أصبحنا عليه .. غير عسيرة .. وسنصبح أفضل .. وأفضل .. مهما
أحاط بنا في بعض الأوقات من ضباب التشاؤم .
وفلسطين قد بعثت .. في فدائيتها .. وشبابها الذين قدموا أرواحهم في
فرحة ولهفة .. كأن صبرهم إلى الاستشهاد قد طال .
هذه الأرواح لم تذهب سدى .. ولن تذهب سدى ..
إنها النبراس الحقيقي الذي يضيء طريق العودة .
إنها الدعامة التي تستند عليها فلسطين الجديدة .. فلسطين ..
الأبطال . وليس فلسطين اللاجئين .. هذه هي نظرة سريعة خاطفة إلى
الوراء وفق الله خطانا إلى الأمام .. وهدانا إلى وحدة عمل .. نحقق بها
قدرنا الحقيقي في مواجهة كل التحديات التي تواجهنا وتهدد وجودنا
ومصيرنا .

٥ يونية سنة ١٩٦٨ .

جبهة .. تحتاج إلى التركيز

اجتمع وزراء الخارجية العرب في الدورة الخمسين لمجلس الجامعة العربية والجو مشحون بالاحداث والمسألة العربية تقفز مرة أخرى لتحتل الصدارة من مشاكل العالم التي تهدد بالانفجار ..

فقبل يومين من بدء الاجتماع بدأت إسرائيل تتحرش وكأنها تقدم لعدوان جديد وأعلن ديان بعد حادث اختطاف الجندي الإسرائيلي ومصرع اثنين آخرين من جنود إسرائيل في الضفة الشرقية للقناة بأن إسرائيل تعتزم التصرف بعيدا عن هيئة الرقابة الدولية وفسر مصدر عسكري إسرائيلي تصريح ديان بأنه مقدمة لإجراء ما ضد الجمهورية العربية المتحدة .

كما أكدت وكالات الأنباء في جميع أنحاء العالم بأن الموقف خطير بين مصر وإسرائيل وأنه ينذر بانفجار مفاجئ .

ومن قبل أكدت دوائر لندن أن إسرائيل تستعد لعدوان واسع قريب على الأردن وأنها تجرى تحركات عسكرية واسعة النطاق ، وأنها قد أعدت الكبارى المتحركة لتعبير المدرعات الإسرائيلية فوقها من الضفة الغربية إلى الشرقية من نهر الأردن وقد أعلن بعد ذلك أن يارنج سلم أبا إيبان رسالة من أوثانت تحذر من أى عدوان .

وتبدو إسرائيل في حركاتها العصبية كأنها قد أصبحت في قفص من عدوانها . وأنها تتخبط في ذعر كلما لوح لها بالتهديد من جانب إلى جانب . وأنها ترفع يدها هنا .. ثم ترفع يدها هناك في محاولات للبطش لعل النخسات التي ما فتئت تنخسها في جانبها . تكف عن إقلاقها وتركها في

راحة تستمرى ما اقتضته بالعدوان .

ولقد عادت إسرائيل بعد محاولات التحرش والتمهيد للعدوان .. لتطلب عقد اجتماع خاص لبحث ما وصفته بأنه « عدوان مصرى » على خط وقف إطلاق النار فى منطقة القناة بعد أن أعدت شكوى توضح فيها مدى الخطورة التى تنظر بها إلى الحادث .

وإسرائيل فى كل تصرفاتها تصر على أن تجعل من العدوان أمرا واقعا إما باستتباب الأمر عليه .. أو بالمساومة فيه لنيل ما تبغى من مكاسب الوجود الشرعى .. بالصلح معها والاعتراف بها .

فهى تحاول أن تجعل من وجودها فى الأرض المحتلة وجودا دائما يتوافر له الاستقرار بتخطيط مرسوم قائم على طرد العرب بطريقة منظمة مستمرة لكى يحل محلهم اليهود المجلوبون من شتى أنحاء العالم . وبمحاولة تهويد القدس واستتباب الأمر لهم فى غزة .

والمقاومة العربية المتزايدة تشكل عنصرا فعالا فى حرمان إسرائيل من ممارسة الاستقرار ومن تحويل العدوان إلى واقع مسلم به . وهى من أجل هذا تتحرك فى عصبية بتهديداتها المستمرة واعتداءاتها التى لا تتوقف .

ولقد استطاعت حركة المقاومة الفلسطينية أن تشكل خطرا حقيقيا .. شهدت بهذا الأوبزوفر البريطانية عندما قالت « إن الفدائيين الفلسطينيين أصبحوا مصدر خطر سياسى وعسكرى لأمن إسرائيل على المستوى العربى والدولى وأن إسرائيل أنفقت ٥٠ مليون جنيه لتزويد مستعمراتها الواقعة على خطوط وقف القتال بالخيء ، كما أنفقت ملايين أخرى لإنشاء حواجز دفاعية على هذه الخطوط » .

وفى نفس الوقت جمدت مهمة جونار يارنج حتى أضحى كما وصفه السيد محمود رياض وزير الخارجية المصرية يدور فى حلقة مفرغة لا ينتهى إلا إلى طريق مسدود بسبب موقف إسرائيل واستخفافها بالقرارات

الدولية وتعتمدها وضع العراقيل والعقبات في طريق المبعوث الدولي .
في هذا الوقت الذى تتزايد فيه المقاومة الفلسطينية .. وتجمد فيه
إسرائيل مهمة يارنج .. وتتحرك في حماقة وعصية محاولة التهديد بالانتقام
قضاء على المقاومة العربية واستنفادا لجهد العرب عن الاستعداد للمعركة
الأصلية الفاصلة للخلاص من العدوان .

في هذا الوقت الذى تعمل فيه إسرائيل على الاستقرار في الأرض المحتلة
وتجميد الوضع بها لتحويله إلى واقع .. ليكون قاعدة لمزيد من العدوان أو
قاعدة للمساومة على قبول الوجود الشرعى بالاعتراف والصلح ..
في هذا الوقت ..

يجب أن ينبت العمل الإيجابى العربى الموحد .. لمواجهة حركات
إسرائيل وإحباطها .. ثم للحركة الإيجابية من أجل المعركة الفاصلة .
ولقد أعلن وزير خارجية مصر فى اجتماع وزراء الخارجية العرب أن
الخطوات الإيجابية للدفاع قد استكملت وأنه يجب الاهتمام كل الاهتمام
بالجبهة الأردنية .. والجبهة الأردنية من غير ما شك .. هى الجبهة التى يجب
أن يركز فيها العمل العربى الموحد .. بتدعيم الدفاع .. وتدعيم المقاومة ..
ثم تحويلهما فى خطوة واحدة إلى عمل إيجابى يمكن أن يكون له أثره الحاسم
الفعال فى المعركة الفاصلة .

وإسرائيل لم تندفع إلى حرب يونيو الا بعد إحساسها بأن هناك عملا
مشتركا يمكن أن يقوم بين الجبهتين .. الجبهة المصرية والجبهة الأردنية ..
والمعركة .. أى معركة .. لا يمكن أن تكون فى جبهات متعددة
منفصلة .. بل إن جبهاتها جميعا يجب أن تعمل فى خطة مشتركة واحدة ..
وجبهة الأردن هى الجبهة المباشرة التى تواجه العدو والتى يمكن فيها تلقى أول
ضربات .. أو توجه أقسى وأخطر الضربات له .

وإذا كان الدفاع فى الجبهة السفلى — جبهة القناة — قد استكمل ..

(من وراء الغيم)

ومعنى هذا أن هجوم العدو .. لم يعد بالمسألة السهلة .. وأن عنقه يمكن أن يدق لو غامر بالهجوم فيها .. وقد يكون هذا هو السبب في تحوله فجأة عن التهديد بالعدوان إلى الشكوى في مجلس الأمن .

إذا كان الأمر كذلك في جبهة القناة فإن التركيز العربى يجب أن ينتقل إلى جبهة الأردن .. بكل ما يملك العرب من قدرة ، بعد أن باتت الأردن هى مقتل العرب .. يمكن أن يلاقوا فيه الضربة التالية . ووزراء الخارجية يعلمون هذا . ولكن العمل يحتاج إلى شيء أكثر من مجرد العلم .. وشيء أكثر من مجرد الاقتراح أو التوصية .. أو القرارات . إنه أمر عاجل يحتاج إلى تنفيذ ..

يحتاج إلى قوات تحشد وإلى مطارات تعد .. وإلى أعمال عسكرية .. تواجه إسرائيل .. فى مقتلها .. كما تواجهنا هى بحشودها فى مقتلنا . لقد وصف عبد الناصر فى رسالته إلى الطلاب المصريين التحدى الذى يواجه وطننا العربى بما تعرض له الوطن « وما زال » من عدوان . وصفه بأنه عثرة عابرة يثق ثقة مطلقة بأننا قادرون على التغلب عليها بمشيئة الله وعونه .

والعمل العربى الموحد فى مواجهة العدو .. هو أول منابع هذه الثقة التى تجعل من هذا التحدى عثرة عابرة سوف نجتازها إلى أفق أرحب وأكثر إشراقا يمكننا فيه أن نواجه تحديات أكبر من أجل الرخاء والعدالة والاستقرار والسلام .

مشكلة .. شباب العصر

نخطيء عندما نتعامل مع مرحلة من السن على أن أصحابها يشكلون نوعا .. أو طبقة .. أو شيئا محددًا جامدا مستديما .. وننسى أنها مجرد فترة يمر بها البشر لينتقلوا إلى مرحلة غيرها .

والمشكلة الحقيقية لنا في مختلف مراحل السن .. ناتجة أصلا عن أنها مجرد مرحلة .. وأن أصحابها وهم يمرون بها لا يقدرّون أنهم سيعبرونها غدا إلى مرحلة جديدة .. وأنهم عندما يصلون إلى المرحلة الجديدة سينسون أنفسهم في المرحلة السابقة .. ولا يعودون يذكرون إلا المرحلة التي يمرون بها .. ويتعاملون مع أصحاب المراحل السابقة واللاحقة وكأنهم قد جمّدوا في هذه المرحلة .. وكأنها هي العمر كله يتحتم على المراحل كلها أن تفكر بتفكيرها وتعمل بأسلوبها .

الطفولة والمراهقة والشباب والرجولة والكهولة والشيخوخة مراحل محتم علينا المرور بها إذا مد الله في أعمارنا .. وأطفال اليوم هم مراهقو الغد وكهول اليوم هم شباب أمس .. ولكننا نعزل أنفسنا في كل مرحلة نمر بها وكأننا سنخلد فيها .. نسخر من المراهقين وكأننا لم نكن مراهقين ونهزأ بالشيخوخة وكأننا لن نصبح شيوخا .

ولكل مرحلة مشاكلها .. ولكن المشكلة تتعقد أكثر عندما يتجمد الناس في المراحل المختلفة .. وينعزل أصحاب كل مرحلة في المرحلة التي يمرون بها فتقطع روابط الثقة .. والمحبة .. والتعاون .. ويصبح التعامل بين المراحل المختلفة مبنيًا على الشك .. وسوء الفهم .. وسوء الظن .. ويشوب العلاقة بين المراحل .. أو الأجيال إحساس من الصغار بأن الكبار

لا يفهمونهم وأنهم يقفون عقبة في طريق تقدمهم .. وأنهم يسدون الطريق إلى المستقبل .. وإحساس من الكبار بأن الصغار جيل عاجز أحق لا يعتمد عليه .

من هنا تتمزق أواصر العلاقة الوثيقة بين الأجيال .. وتنشأ بينها فجوة ثقة واحترام وحب .. لا بد منها لوصل الأجيال بعضها ببعض الآخر .. من أجل الامتداد الطبيعي السليم للحياة .. وتزداد مشاكل الأجيال تعقيدا .. بعد أن ينزل كل جيل في المرحلة المؤقتة التي يمر بها .. ويفقد الارتباط الطبيعي الواجب بين الأجيال السابقة له واللاحقة به .

ومشاكل الشباب من أعقد المشاكل التي تمسك بخناق العصر الذي نمر به .. وجزء من هذه المشاكل طبيعي .. تتميز بها مرحلة الشباب في كل جيل .. فهي مشاكل سن .. أو مشاكل مرحلة .. ناتجة عن احتياجات السن وانفعالاتها وهي مشاكل عامة إنسانية مزمنة عانتها الأجيال عبر العصور المختلفة في جميع بقاع العالم .. واختلف التعامل معها .. والقدرة على علاجها حسب طبيعة المجتمع الذي يعيش فيه أصحاب المشكلة .. وما يمكن أن يقدمه من إمكانيات لعلاجها وهي مشاكل بدنية وروحية .. مشاكل اللقمة والجنس والعاطفة وآمال المستقبل .. من طبيعة الشباب أن يعانون .. ومن حقه أن يطلب حلا لها .. ومن واجب الجيل الأكبر أن يعاونه في حلها .

وغير المشاكل الطبيعية المزمنة .. توجد مشاكل العصر التي يتميز بها عصر بذاته .. وقد تختلف من مجتمع إلى مجتمع ومن بيئة إلى بيئة في نفس العصر .

والشيء الذي يميز مشاكل عصرنا .. هو أزمة الثقة .. وفجوة الإيمان والمحبة التي تواجه الشباب .. والتي تدفعه إلى أن يكفر بالجيل الأكبر وبقدرته على حل مشاكله .. ويتقدم هو لحلها محطما كل القيم والتقاليد .

والجيل الأكبر في عصرنا .. وهو الجيل المتهم بالجمود وعدم الفهم ..
لطبيعة الشباب ومشاكلهم قد يكون غير مذب في كثير من التهم التفصيلية
الصغرى التى توجه إليه من الشباب والتى تفرضها ثورة الشباب وانفعاله
وطموحه وطبيعته وتبرمه بتلكو الجيل السابق له أمامه .. يسد عليه الطريق
إلى التقدم .. محاولا التثبت بمواطئ أقدامه فى الحياة إلى آخر لحظة ممكنة
فى عمره .. هذه التهم التقليدية التى وجهها الشباب إلى الشيوخ فى كل
عصر .. قد يكون الجيل الأكبر غير مذب فيها .. ولكنه فى يقينى مذب
فى التهمة الكبرى التى يمكن أن يوجهها الشباب إليه .. وهو أنه فشل فى أن
يقدم إليه برغم كل التطور العلمى عالما أفضل .. ومستقبلا أكثر رخاء
وأمانا .. وسلاما ومحبة .

هذه التهمة .. قد شارك فيها الجيل الأكبر مع غيره من الأجيال
السابقة .. ولكن المشاركة لا تعفيه من الذنب .. ومن تحمل وزره أمام
الأجيال اللاحقة له .

هذه هى التهمة الكبرى التى تدين الجيل الأكبر الذى قاسى فى مرحلة
الشباب تعاسة القلق وذاق مرارة الحرب والدمار .. ومع ذلك تقدم إلى
مرحلة المسئولية وكاد يعبرها .. دون أن يفلح فى أن يخطو بالعالم خطوة
واحدة .. نحو الهدوء والاستقرار .. ودون أن يرفع عن كاهل الشباب ..
ما أثقل ظهره هو .. بل ربما .. حمل الشباب المزيد من أعباء التوتر
والقلق .

تلك هى التهمة الكبرى .. التى تدين الجيل الذى تحمل مسئولية هذا
العصر .. فى العالم كله .. إدانة قاطعة تزعزع ثقة الجيل الأصغر فيه ..
وتخلخل الإيمان به وبقدرته على أن يقدم لهم أرضا أصلب وأرحب يمكن أن
يوطدوا أقدامهم عليها .. وأفقا أوسع وأشرق .. يمكن أن ينطلقوا فيه ..
لممارسة حياتهم فى أمان وسلام .

تبقى بعد ذلك التهم الصغرى المتبادلة بين الأجيال . تهمة الجمود وعدم الفهم التي يتهم بها الجيل الأكبر .. وتهمة الطيش وعدم النضج التي يتهم بها الجيل الأصغر بالإضافة إلى إحساس الشباب بوقوف الشيوخ عقبة في سبيلهم .. وإحساس الشيوخ بتعجل الشباب قطف ثمار المستقبل قبل نضجها .

ويضايف من أثر التهمة في عصرنا أزمة الثقة وفجوة الإيمان والمحبة .. التي كانت فيما مضى يمكن أن تشد الأجيال بعضها إلى بعض وتدفع فيها الإحساس بالترابط الذى يشعر كل جيل أنه امتداد للجيل الذى يسبقه وأن الأجيال بترابطها تكون الوضع الطبيعى المتناسك للحياة .

إن أسوأ ما يمكن أن يصيب جيل الشباب هو فقدانه الإيمان بقدرته الجيل السابق له وثقته فيه واحترامه له .. وأن تتحكم فيه الלהفة على الخلاص منه من أجل أن يحل محله .. لأن هذه المشاعر .. لا شك سيورثها للجيل اللاحق له .. وسيعانى منها هو .. ويصبح بعد بضع سنوات .. فى وضع الجيل السابق له .. بلا ثقة ولا محبة .. من الجيل الذى يليه .. وتصبح الحياة أجيالا مفرقة معزولة .

وأسوأ ما يفعله الجيل الأكبر .. هو أن يتعالى على الجيل الأصغر .. أو يحاول أن يفكر له .. بطريقة تفكيره هو .. بعد أن تعدى الشباب وجاوز انفعالاته ومشاعره .. أو يفرض عليه أسلوب أيام شبابه هو .. بعد أن تطور المجتمع .. وتغير أسلوب العيش فيه .

يجب ألا يفرض الجيل الأكبر .. نفسه على الجيل الأصغر وأن خير ما يمكن أن يهتدى به هو حديث الرئيس جمال عبد الناصر فى الجلسة الثانية عشرة لمجلس الأمة يوم ٢٠ يناير ١٩٦٥ فى عهده الذى قبل به ترشيح مجلس الأمة له لرئاسة الجمهورية .

لقد أكد الرئيس جمال أن المهمة الأساسية التى يجب أن نضعها (نحن

الجيل الأكبر) فصب عيوننا في المرحلة القادمة .. هي أن نمهد الطريق لجيل جديد يقود الثورة في جميع مجالاتها السياسية والاقتصادية والفكرية .. ولسنا نستطيع القول بأن هذا الجيل قد أدى واجبه إلا إذا كنا نستطيع — قبل كل المنجزات وبعدها — أن نطمئن إلى استمرار التقدم وإلا فإن كل ما صنعناه مهدد بأن يتحول — مهما كانت روعته — إلى ثورة لمعت ثم انطفأت .. إلى بداية تقدمت ثم توقفت .

وقال الرئيس جمال إن الأمل الحقيقي هو في استمرار النضال ويتأكد الاستمرار حين يكون هناك — في كل وقت — جيل جديد على أتم استعداد للقيادة ولحمل الأمانة ومواصلة التقدم .. أكثر وعيا وصلابة وطموحا من جيل سبق .

وينبغي أن ندرك أن التمهيد لهذا الجيل واجبنا وأنا نستطيع — بالتعالى والجمود — أن نصده ونعقده .. وبالتالي نعرقل تقدمه وتقدم أمتنا . إن علينا — بالصبر أن نستكشفه دون من عليه ولا وصاية .. وعلينا — بالفهم — أن نقدم له تجاربنا دون أن نضيع حقه في تجربته الذاتية . وعلينا — في رضا — أن نفسح الطريق له دون أنانية .. تتصور غرورا أنها قادرة على شد وثاق المستقبل بأغلال الحاضر .. وعلينا أن نتيح له — بفكره الحر — أن يكشف عصره دون أن نفرض عليه — قسرا — أن ينظر إلى عالمة بعيون الماضي .

هذا هو ما وضعه الرئيس جمال عبد الناصر أسلوبا للتعامل مع الجيل الأصغر .. لا تعال ولا جمود ..

وبقى على الجيل الأصغر .. أن يثق في الجيل الأكبر .. فلا يمكن أن يكون وضعه الطبيعي إلا امتدادا طبيعيا للجيل الذي سبقه .. كما كان الجيل الأكبر .. امتدادا طبيعيا للجيل السابق له .. وهو لا يمكن أن ينبت من الفراغ .. بل أن يستند إلى أصل يثق فيه ويؤمن به .. لكي يكون هو ذاته

قاعدة لجيل لاحق .. يمنحه نفس الثقة والإيمان اللذين منحهما هو للجيل الذى قبله .

يجب أن نقضى على أزمة الثقة ونملاً فجوة المحبة والإيمان المتبادلة بين الأجيال .. وإلا انتهى العالم .. إلى أجيال ممزقة حاقدة .. حانقة .. لا يمكن أن تقدم للحياة .. محبة ولا رخاء .. ولا سلاما .

إن شباب مجتمعنا المصرى .. ما زال يحمل فى قرارة نفسه هذه الثقة والمحبة .. التى افتقدوها الشباب فى معظم أنحاء العالم .

ومن أجل هذا يجب أن يعمل الجيل الأكبر على الاحتفاظ بهذه الثقة وأن يضع كلمات الرئيس جمال موضع التنفيذ الفعلى من كل جيلنا .

يجب ألا نتعالى عليه .. ويجب ألا نتجمد أمامه .. ويجب أن نقدم له بأسلوب عصره .. الحل لكل مشاكله التقليدية .. أو التى خلقها العصر .

يجب أن نمهد له الطريق .. ونمنحه كل ما نملك من تجربة .. ونترك له الحرية فى أن يختار طريقه ويصنع تجربته وأن نمد أيدينا إليه لنجذبه .. لا لنصده .. حتى نكون أهلاً لثقته وحببه وحتى نجعل من الثقة والحب والإيمان أواصر متينة تربط الأجيال لتصنع التطور الطبيعى للحياة وللحضارة .

١٦ أكتوبر ١٩٦٨

بين الحق .. والباطل . !

منذ أيام ألقى وزير الدفاع في إسرائيل الجنرال موشى ديان خطابا في مؤتمر لاتحاد الطلبة الإسرائيليين أبدى فيه وجهة نظره في مشكلة الشرق الأوسط واحتمالات تطورها في المستقبل وأسلوب مواجهة هذه التطورات من جانب إسرائيل والخطوط العريضة لهذه المواجهة .

والتطورات التي يبنى عليها ديان خططه للمستقبل تنبع من ضياع فرص السلام الذي تأمل فيه إسرائيل على أساس شروطها .. ومن توالى ازدياد قوة العرب العسكرية التي استعادت ما كانت عليه قبل ٥ يونية وزادت ما يعادل النصف .. والتي ستحقق مضاعفة قواتها الضاربة في خلال عام ونصف عام وكذلك إلى تزايد نشاط الفدائيين الذي أنزلوا بإسرائيل منذ العدوان حوالى ١١٠٠ قتيل وجريح .

والخطوط العريضة لمواجهة هذه التطورات تقوم على أساس مضى إسرائيل في الاستعداد للحرب أخرى مع الدول العربية .. مع الاستعداد في نفس الوقت لإدماج الأراضي المحتلة أو أجزاء كبيرة منها إدماجا كاملا في إسرائيل بحيث تتخذ الخطوات الرسمية لضمها عند اليأس من عقد سلام مع العرب .. والإقدام على الحرب الثانية .

أما بالنسبة لمضى إسرائيل في الاستعداد للحرب .. فبعضه علنى يعرفه العالم كله كصفقة طائرات الفانتوم التي أعلن جونسون موافقة حكومة الولايات المتحدة على تزويد إسرائيل بها والمفروض أن تنتهى المفاوضات الخاصة بها لكى تقوم أمريكا بتسليمها لإسرائيل في أقرب وقت .. كما أذيع نبا أن مجموعة من الطيارين الإسرائيليين قد بدأت التدريب عليها بواسطة

بعثة أمريكية كمحاولة لكسب الوقت حتى يتم شحن الطائرات الفانتوم إلى إسرائيل .

وقد أعلن أيضا على لسان مارسيل داسو صاحب مصانع الطائرات الفرنسية عن قرب تسليم صفقه طائرات الميراج الخمسين التي كانت إسرائيل قد تعاقدت عليها وفرض الحظر على تسليمها حتى الآن .

هذا هو ما أعلن من استعداد إسرائيل للحرب .. وبقي ما لم يعلن .. ومما قد تعرفه الأجهزة المسئولة عن مثل هذه الأشياء .. ومما لا تعرفه . أما عن الجانب الآخر من مواجهة إسرائيل لتطورات الموقف في الشرق الأوسط .. وهو الاستعداد لإدماج الأراضي المحتلة من الدول العربية إدماجا كاملا في إسرائيل توطئة لاتخاذ الخطوات الرسمية لضمها عند اليأس من عقد سلام مع العرب بشروط إسرائيل أو بمعنى أوضح فرض سلام دائم على العرب يحقق إرادة إسرائيل القائمة على الفلسفة الصهيونية وجودا وتوسعا .

إن الخطوط العريضة التي أعلنها ديان لإدماج الأراضي المحتلة هي :

- ١ — تعمير مرتفعات جولان بالسكان .
 - ٢ — التدعيم العسكري لشبه جزيرة سيناء .
 - ٣ — ضم الضفة الغربية وقطاع غزة اقتصاديا وإداريا مع إدماج شباب هذه المناطق في الأجهزة الإدارية الإسرائيلية .
- ذلك هو تقدير الموقف للمستقبل من وجهة نظر وزير الدفاع الإسرائيلي وهو مبني على أساس نمو القوة العسكرية للعرب وازدياد المقاومة الفلسطينية وتمسك العرب بعدم التسليم لشروط إسرائيل .
- ولقد أكد مناحم بيغن عضو الوزارة الإسرائيلية وجهة النظر هذه عندما هاجم الحل السياسي قائلا : إن قبوله هزيمة لإسرائيل وإن أساس وجود إسرائيل هو حقها الخالد في أرض أجدادها .. يعني بذلك إسرائيل

الكبرى التى تمتد من النيل إلى الفرات .

ومن كل ما قاله ديان ومناحم بيجن وما سبق أن أعلنه بن جوريون من أن إسرائيل وجدت بالقوة المسلحة .. وستبقى بالقوة المسلحة .. من أقوال هذا الفريق الواقعى الذى يمثل المدرسة العسكرية صاحبة مبدأ القوة فوق الحق الذى يعرى حقيقة إسرائيل دون أن يأبه بما يقوله رأى العام العالمى .. ودون أن يهتم بتغليب وجهة نظره بما يستر طبيعة إسرائيل الفاشية العدوانية .. يبدو أن احتمالات الموقف فى الشرق الأوسط من وجهة النظر الإسرائيلية الواقعية تتبلور فى إحدى النقطتين التاليتين :

- ١ — قبول العرب استسلاما لشروط إسرائيل بحكم الانتصار العسكرى الذى حققته .. والذى يمنحها حق فرض وجود شرعى تضمن أمنه ودوامه مكاسب حققها العدوان والانتصار العسكرى .
- ٢ — حرب أخرى يمهدها المضى فى الاستعداد العسكرى .. والمضى فى إدماج الأراضى المحتلة .

تلك هى وجهة النظر الإسرائيلية الواقعية عن احتمالات المستقبل بالنسبة للمشكلة .. قائمة أساسا على فرض إرادتها بالقوة .. وإذا لم يحقق لها عدوان ٥ يونيو ٦٧ ما ترجوه من ثمار .. فليس أمامها إلا الإقدام على عدوان آخر تفرض به ما فشلت فى فرضه بالعدوان الأول .

وجهة نظر إسرائيل للمستقبل .. على كل ما فيها من عدوان وظلم وافتراء وباطل .. واضحة .. وطبيعية .. ومنطقية من طرف أقام كيانه على العدوان المسلح والمطامع التوسعية والوجود العنصرى .

ما هى وجهة نظرنا نحن العرب للمستقبل .. التى تقابل وجهة نظر إسرائيل .. والتى على أساسها نقدر موقفنا ونرسم خططنا وبنسب استعدادنا .. لمواجهة خطط إسرائيل واستعداداتها

إن الشكل العام للقضية من وجهة نظرنا واضح لا لبس فيه وهو أن

هناك عدوانا على الشعب الفلسطيني العربى وعلى أرضه من قوى دخيلة مستوردة من الخارج ذات طبيعة توسعية تساندها قوى استعمارية تلتقى معها فى مصالحها .. وأن هذه القوى المجسدة فى إسرائيل المحققة للمطامع الصهيونية والمصالح الاستعمارية فى سبيل تأمين وجودها وتوسعها قد شكلت عدوانا على أراضي البلاد العربية المجاورة .

وعلى هذا الفهم للقضية يصبح هدفنا العام هو إزالة العدوان من الأرض العربية وإعادة حق الشعب الفلسطينى المسلوب إليه واضعين فى الاعتبار أننا لا نوجه عدااء لليهود وأن حق التعايش بين اليهود وغيرهم من الأديان الأخرى مكفول فى البلاد العربية وبينها فلسطين العربية .

ذلك هو فهمنا المبسط للقضية وغرضنا الذى نهدف إلى تحقيقه فيها .. يأتى بعد ذلك السؤال .. الطبيعى .. كيف نحقق غرضنا .. وبأى إمكانيات ؟ وماذا نملك من هذه الإمكانيات الآن .. وعلى أى مدى نستطيع أن نستكمل الإمكانيات المحققة للهدف .

ويصبح السؤال التالى .. ماذا نملك أن نحققه بإمكانياتنا فى كل مرحلة .. حتى نستكمل الإمكانيات الكاملة المحققة لهدفنا العام . أن نقول .. إن هدفنا الذى لا بديل له .. هو إزالة آثار العدوان عن البلاد العربية وأن تصبح فلسطين عربية .. وأن يعود شعب فلسطين إلى أرضه .. مع السماح لليهود والعرب بالتعايش مع العرب فى فلسطين العربية .. حق لا يقبل المناقشة .

ولكن أن نواصل قوله .. والمزايدة فيه .. دون أن نرسم الخطة لتحقيقه . ونضع الإمكانيات اللازمة لكل خطوة فى هذه الخطة .. فأمر .. غير مجد .. إلا فى تجميد أنفسنا فى مكان من القضية .. يصبح تحقيق هدفنا فيها .. أمرا مستحيلا .

ونحن الآن نواجه عدوانا إسرائيليا واقعا وعدوانا إسرائيليا منتظرا ..

وإصرارا من إسرائيل على رفض الحل السياسى على أساس قرار مجلس الأمن وتصميما على فرض السلام بشروطها أو فرض جولة أخرى من المعركة . ومواجهتنا لإصرار إسرائيل .. قائمة على أساسين :

١ — الحل السياسى على أساس قرار مجلس الأمن والمسبق بإعلان رفض التفاوض مع إسرائيل والاعتراف بها والصلح معها .

٢ — مواصلة البناء العسكرى استعدادا لجولة أخرى . لم يعد منها مفر بعد استحالة التقاء وجهات النظر مع إسرائيل فى الحل السياسى .. وإصرار إسرائيل على أن تكون القوة هى الحكم النهائى فى الوضع فى المنطقة . ورغم وصولنا إلى مرحلة يبدو فيها الحل السياسى أشبه بالشبح .. أو الوهم . فإن وجهة نظرنا التفصيلية فى الحل السياسى ومطابقتها لوجهة نظرنا العامة فى القضية .. تحتاج إلى مزيد من الوضوح لأنفسنا ومزيد من الفهم المتبادل .. بيننا نحن العرب .

أن قبولنا للحل السياسى على أساس قرار مجلس الأمن يحتاج إلى توضيح لأنفسنا وتنسيق مع الهدف العام .. ورغم أنه غير مقبول لإسرائيل .. فإن ذلك لا يمنع من مناقشته بيننا وبين أنفسنا على أساس ربطه بالحل العام للقضية وعلى أساس الوضوح الشامل لكل خطانا فى طريق حل المشكلة . قرار مجلس الأمن ينص على انسحاب قوات إسرائيل إلى خطوط ما قبل ٥ يونيو إلى حدود آمنة وعلى حرية الملاحة وحل مشكلة اللاجئين . وفهمنا للقرار يحتم انسحاب قوات إسرائيل انسحابا غير مشروط . وعلى أن تكون الحدود الآمنة هى حدود ما قبل ٥ يونيو وتؤمنها الأمم المتحدة فى منطقة منزوعة السلاح بين الطرفين . ثم نعلق بعد ذلك حرية الملاحة على حل المشكلة الفلسطينية .

وليصبح بذلك حل مشكلة فلسطين مفتاحا للموقف لأنه لا حرية ملاحة بدونها ولأن انسحاب إسرائيل سيعقبه مطالبتها .. بضمان حدود

آمنة وبحرية الملاحة .

وإذا كان حل مشكلة فلسطين هو مفتاح الموقف .. فيجب قبل أن يوضع قرار المجلس موضع القبول .. أن يكون حل مشكلة فلسطين كما نقبله واضحا بتفاصيله .. كل الوضوح .

وإذا كان حل مشكلة فلسطين .. هو أولا وآخرها بيد الشعب الفلسطيني نفسه .. فيجب أن يكون الشعب الفلسطيني طرفا رئيسيا في قبول القرار وتنفيذه .. ما دام هو المعنى الأول والمسئول الأول عن هذه الفقرة في القرار وإلا فيصبح القرار .. فاقدا .. لمفتاح الموقف فيه . ما دمنا لا نضعه في يد المعنى به والمسئول عنه .

ويبرز بذلك السؤال .. هل هناك اتفاق واضح متفق عليه بين العرب .. وفي مقدمتهم الشعب الفلسطيني على حل عملي للمشكلة الفلسطينية يمكن أن يوضع بشجاعة ووضوح كأساس لتنفيذ قرار مجلس الأمن .

وهنا ينبت سؤال .. قد يكون عجيبا بعض الشيء .. هل يوجد الكيان الفلسطيني الموحد الجامع للنظام السياسي والقوة العسكرية والذي يمكن أن يعبر عن الشعب الفلسطيني بمسئولية وبكفاءة وقدرة على التنفيذ .

هل يوجد ما يقابل جبهة التحرير الجزائرية .. وجبهة التحرير الفيتنامية .. كممثل وحيد للكفاح الوطني السياسي والعسكري .. وكمعبر وحيد عن الشعب المكافح ؟ .

إن من الزم اللوازم للقضية هو وجود هذا الكيان .. المسئول .. الذي يمكن أن يقول لأى راغب فى مناقشة القضية الفلسطينية .. إن هذا الكيان هو وحده الذى يمكن أن يناقش ويت .

هذا الكيان المسئول الذى يضم القوة السياسية والعسكرية والذى

يمكن أن يقوم بمسئولية البرنامج السياسى المفصل الذى يضمن الحل الواقعى للمشكلة .. والذى يملك الإمكانيات للكفاح من أجلها .

لقد أعلننا قبولنا لقرار مجلس الأمن .. — وكما لا يختلف عليه اثنان — بحل المشكلة الفلسطينية على رأسه ..

فما هو الشكل العملى المحدد الواضح الذى تقدمنا به .. كحل للمشكلة الفلسطينية .. وكمفتاح لا بديل عنه لقرار مجلس الأمن . الحل الذى لا بد أن يكون العرب قد اتفقوا عليه وفى مقدمتهم الشعب الفلسطينى ..

ولماذا لا يعلن هذا الشكل المتفق عليه كحل للقضية الفلسطينية .. — إذا كان موجودا بالفعل — لكى يجمع عليه رأى العام العربى .. ولكى يكون هناك فهم واضح للشعوب العربية لمدى تحقيقه للهدف العام الذى نسعى إليه .. حتى لا يكون هناك تخبط ومزايدات قد تبنى على عدم الفهم أو عدم التقدير وعدم المسئولية .

إن حل المشكلة الفلسطينية .. لا يمكن أن يكون بمعزل عن إزالة آثار العدوان .. لأن العدوان .. حدث من أجلها .. وإزالته .. كما قال الرئيس جمال .. كمجرد عدوان .. ليس مشكلة فى حد ذاتها .. ولكن مشكلته أنه مرتبط بقضية فلسطين . وإلا استطاع كل بلد عربى أن يزيل آثار العدوان باتفاق ثنائى .. وعلى فلسطين العفاء ..

وحل المشكلة الفلسطينية .. لا جدال .. مسئولية الشعب الفلسطينى أولا .. ولكنها مسئولية مرتبطة بكل البلاد العربية .. ومن أجل هذا يجب أن يكون للشعب الفلسطينى كيان مسئول .. ويجب أن يقود الكفاح الفلسطينى ويشارك فى العمل السياسى الذى ييذل من أجل الحل السياسى .. ويتحمل مسئوليته الحقيقية فيه .. باعتبار أن حل المشكلة الفلسطينية .. هو مفتاح الموقف فى أى حل سياسى .

ومن أجل هذا يجب أن يوحد الكفاح الفلسطيني تحت راية واحدة وبحيث أن يتحمل مسئولية العمل السياسى والعسكرى .. كجزء من العمل العربى .. معبرا بمسئولية عن الشعب الفلسطينى .. كجزء من الأمة العربية .. يشارك فى خططها العسكرية .. وفى عملها السياسى .
وتصبح مواجهتنا لإسرائيل فى الحل السياسى .. واضحة .. لأنفسنا .. وللعالم .. وإذا كانت النتيجة السياسية محكوما عليها بالفشل .. وإذا كان العمل السياسى يتباعد ويتوارى ليصبح مجرد طيف فى أحلام الكرى لمحبي السلام أو أمنية فى أحلام اليقظة لأصحاب النوايا الطيبة .

وإذا كانت إسرائيل تشعر أن ما لم تحققه بعدوانها الأول .. يحتاج لعدوان آخر لتحقيقه .

فإن علينا .. على كل مخلوق عربى .. أن يعرف .. أن على العرب أن يواجهوا إسرائيل فى هذه الجولة .. ليس لمجرد استرداد حق الشعب الفلسطينى .. أو لاسترداد أرض محتلة .. أو الدفاع عن أرض عربية أخرى يمكن أن تقع فريسة للعدوان الإسرائيلى .. ولكن دفاعا عن الكيان العربى كله .. والحضارة العربية كلها ..

إن ما قاله أولئك الذين تحدثوا فى إسرائيل بواقعية وصراحة .. مؤكدين أن إسرائيل ماضية فى الاستعداد لحرب أخرى مع العرب .. يجب أن يواجه بفهم واقعى مشترك من العرب .. كل العرب ..

إننا نحاول جهدنا أن نمضى فى تدعيم قواتنا العسكرية .. وإسرائيل تحاول جهدها كذلك .. وقد يتحول السباق بيننا إلى سباق بين السلاح السوفيتى .. والسلاح الأمريكى .. وسباق التدريب وكفاءة الحرب .. ويبقى لنا فرصة التفوق .. بالعمل الموحد .. بالخططة العسكرية الموحدة .. باستعمال إمكانيات العرب كلها .. فى معركة المواجهة ..

الإمكانات المادية .. والبشرية .. المطارات .. والموانئ .. والجيش ..
تصبح كلها .. تحت أمر واحد .. وفي خطة واحدة .. لنخوض المعركة
بروح المقاتل العربي من أجل المصير العربي .
هذا هو مجال التفوق .. فعسى ألا نخطئه .. وعسى ألا تدهمنا المعركة
القادمة .. ونحن مازلنا نفكر فيه ونحاوله ..
إنها معركة مصير .. فيجب أن نواجهها بالصراحة والوضوح
والصفاء .. والفهم العميق لحقيقة أبعادها بالنسبة للعرب كلهم ..
٢٣ أكتوبر سنة ١٩٦٨

(من وراء الغيم)

ماذا تستطيع .. أمريكا ؟

في حديث للسيد محمود رياض مع السفير جونار يارنج في آخر زيارة له في القاهرة أكد وضوح موقفنا على أساس قبولنا لقرار مجلس الأمن واستعدادنا لتنفيذه .

وفي نفس الوقت تصر إسرائيل على ألا تعلن عن قبولها لقرار مجلس الأمن .

وإذا كانت مشكلة الشرق الأوسط — كما تبدو للرأى العام — هي مشكلة تعذر إقرار السلام العادل في المنطقة .. لأن إسرائيل تدعى أن أمنها مهدد وأنه لا سبيل لإقرار السلام إلا بمفاوضات مباشرة مع الدول العربية لتوقيع معاهدة صلح تحل محل اتفاقيات الهدنة .

في الوقت الذى يجد العرب في إسرائيل أداة لتهديد أمنهم وتشريد مواطنيهم والاستيلاء على أراضيهم .. وتهديدهم بالنوايا التوسعية .

وبالنسبة للرأى العام العالمى يتحتم لحل المشكلة أن يطل العدوان الذى يهدد أمن المنطقة وأن يضمن سلامة دولها في نطاق حدود مأمونة غير مهددة .

وقرار مجلس الأمن يحدد كيفية الوصول إلى هذا الحل .. وقبوله أو عدم قبوله بالنسبة لكل طرف يحدد مدى رغبة هذا الطرف في إقرار السلام العادل الذى يوصل إليه قرار مجلس الأمن .

ويبدو لى — والحديث قد كثر — عن قرار مجلس الأمن .. ونصوصه قد تباعدت عن أذهاننا حتى كادت تبهت ..

يبدو لى أنه من الخير — والقرار يبرز كطريق لا بديل له للحل السياسى

أن نستعيد تفاصيله .

نص قرار مجلس الأمن :

إن مجلس الأمن إذ يعبر عن قلقه المستمر للموقف الخطير في الشرق الأوسط ..

وإذ يؤكد عدم شرعية الاستيلاء على الأراضي عن طريق الحرب والحاجة إلى سلام عادل ودائم تستطيع أن تعيش فيه كل دولة في المنطقة .
وإذ يؤكد أيضا أن جميع الدول الأعضاء عندما قبلت ميثاق الأمم المتحدة قد التزمت بالتصرف وفقا للمادة الثانية من الميثاق .

١ — يعلن أن تطبيق مبادئ الميثاق يتطلب إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط وهذا يقتضي تطبيق المبادئ التالية :

(أ) انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي التي احتلتها في النزاع الأخير .

(ب) أن تنهى كل الدول حالة الحرب وأن تحترم وتقر الاستقلال والسيادة الإقليمية والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة وحقوقها في أن تعيش في سلام في نطاق حدود مأمونة ومعترف بها متحررة من أعمال القوة أو التهديد بها .

٢ — ويؤكد المجلس الحاجة إلى :

(أ) ضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية في المنطقة .

(ب) تحقيق تسوية عاجلة لمشكلة اللاجئين .

(ج) ضمان حدود كل دولة في المنطقة واستقلالها السياسي عن طريق إجراءات من بينها إنشاء مناطق منزوعة السلاح .

٣ — يطلب من السكرتير العام أن يعين ممثلا خاصا إلى الشرق الأوسط لإقامة اتصالات مع الدول المعنية بهدف المساعدة في الجهود للوصول إلى تسوية سلمية ومقبولة على أساس النصوص والمبادئ الواردة في هذا

القرار .

٤ — يطلب من السكرتير العام أن يبلغ المجلس بمدى تقدم جهود المبعوث الخاص في أقرب وقت ممكن .

هذا هو قرار مجلس الأمن من أجل تحقيق السلام العادل في المنطقة ونحن قد أعلننا بوضوح أننا نقبله وأنها على استعداد لتنفيذه . بل وطالبنا بوضع برنامج زمني لتنفيذه وضمان هذا التنفيذ بواسطة مجلس الأمن .

و لم يصدر من التصريحات ما يناقض هذا الموقف الواضح . ولقد كان الموقف الذي حدده الرئيس جمال عبد الناصر في آخر جلسة من جلسات الدورة الطارئة للمؤتمر القومي والذي أكد فيه أننا لا نقبل الجلوس إلى مائدة مفاوضات مع إسرائيل وأننا لن نتنازل عن بوصة واحدة من الأرض . لا يتعارض مع قرار مجلس الأمن لأن القرار لم يلزمنا بالجلوس إلى مائدة مفاوضات مع إسرائيل وهو يؤكد ضرورة انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي التي احتلتها في النزاع الأخير .

ومن الناحية الأخرى تؤكد إسرائيل رفضها لقرار مجلس الأمن واستمرارها على العمل ضده . وإعلان نواياها التوسعية التي يدلى بها المسئولون فيها معبرين عن السياسة التي وضعتها الصهيونية العالمية والتي واصلت تحقيقها بإقامة الدولة اليهودية في فلسطين والتوسع بها عن طريق العدوان .

ولقد جاءت مذكرة السيد وزير خارجية ج . ع . م . الأخيرة إلى يارنج تؤكد بما لا يقبل الشك اتجاه إسرائيل التوسعي سواء بما قامت به من تصرفات أو بما أدلى به على لسان المسئولين .

ذلك هو الشكل السياسي للمشكلة ..

العرب يريدون السلام العادل ويعلنون عن رغبتهم فيه بقبولهم قرار مجلس الأمن الذي ينص على انسحاب إسرائيل من الأراضي التي احتلتها في النزاع

الأخير وإنهاء حالة الحرب واحترام استقلال كل دول المنطقة في حدود
مأمنة ومعترف بها عن طريق إجراءات من بينها المناطق المنزوعة السلاح .
وضمنان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية وتسوية عاجلة لمشكلة
اللاجئين .

وإسرائيل ترفض قرار مجلس الأمن وترفض بالتالي الانسحاب وتمارس
فعلا ضم الأراضي المحتلة .

ومعنى ذلك أن هناك استحالة لإقرار السلام العادل عن طريق الحل
السياسي .

ويتحتم على العرب أن يتصرفوا .. ببساطة .. ككل صاحب أرض
محتلة .. يواجه عدوا مغتصبا .. يواجهونه بالقوة .. في معركة تحرير
وخلاص لا مناص منها .. حتى تحرر أرضهم .. وتستعاد حقوقهم ..
مهما بذل فيها من تضحيات .. ومهما طال بها الزمن .. فهي معركة
مصير .. إن لم يكسبها جيل .. فلا بد أن توصلها الأجيال .. حتى
تكسب النصر .

ذلك منطق بسيط .. لا يدفع إليه حماس .. بل يقود إليه الواقع
المحتوم .. لا ينظر فيه إلى قدرة على القتال .. أو تفوق في التسليح .. ولكن
تحتمة كرامة الإنسان .. ورفضه الطيعي للظلم والعدوان والطغيان ..
وإذا اتحد العرب .. فسيواجهون العدو قوة مجتمعة .. وسيحقق النصر
في وقت معقول .. وإذا لم يتحدوا .. فسيواجهونه فرادى .. ولكنهم
سيواجهونه .. وسينتصر كل منهم في معركته .. لأنها معركة حياته ..
ولكن على مدى أطول .

وذلك هو الشكل العسكري للمشكلة .. لا بد من المواجهة .. بأي
طريقة .. وعلى أي مدى .. مواجهة بكل ما يملك العرب من أسلحة
للقتال وأساليب للمعارك .. بالمقاومة الشعبية في كل بقعة محتلة ..

وبالمواجهة العسكرية للقوى المسلحة في جبهات القتال .. بالنار ..
والحديد .. والعصى .. والحجارة .. والمخالب .. والأسنان .. والنصر
محقق بعد عام .. أو بعد مئات الأعوام .. في هذا الجيل .. أو بعد عدة
أجيال .. ولكنه آت لا ريب فيه .

الشكل السياسي واضح ..
والشكل العسكري واضح أيضا ، للعالم كله .. وأمريكا من بينه ..
ولقد اتخذت أمريكا موقفا .. أعمى .. بعصاة على عينيها .. ويدها
تتحسس إسرائيل ..

وبعد الانتخابات الجديدة .. يبدو أن أمريكا تريد أن ترفع العصاة عن
عينيها .. لترى .. الشرق الأوسط بعيني مصالحها .. وليس بعيني مصالح
إسرائيل ..

ولقد التقيت مع أول شعاع ضوء ترسله أمريكا لاستكشاف المنطقة
وهي ترفع العصاة عن عينيها ..

رأيت سكرانتون مبعوث نيكسون إلى الشرق الأوسط لتقصي الحقائق
في الطائرة التي أقلته من بيروت إلى القاهرة ..

وسأله هل فوجئت بتعيينك في هذه المهمة ؟ فقال : أجل .

وصمت الرجل برهة ثم قال وهو يتسم :

— أنا أميل دائما .. إلى الإنسان الذي وقع عليه الظلم .

وعاد أول ضوء كشف إلى أمريكا .. يتابعه ضيق إسرائيل وقلقها ..
وتبرمها بتصرفاته ..

« لأنه ببساطة كشف عن الحقائق . والحقائق .. تفضح إسرائيل » .
ولست أظن أن الحكم الجديد في أمريكا .. يريد أن يكشف
الحقائق .. لمجرد التسلية .. ومن باب العلم بالشئ .. ولا ليعيد وضع
العصاة من جديد على عينيها ..

بل ليفعل شيئا ..

فما هو هذا الشيء المطلوب أن يفعله .

لقد أعلنت إسرائيل .. على لسان ديان وزير الدفاع عما هو مطلوب من أمريكا .. من وجهة نظر إسرائيل .

قال ديان :

« إن مفتاح السلام في يد أمريكا ! »

كيف !!؟

ويرد ديان شارحا :

« إذا أمدت إسرائيل بالأسلحة التي لا تستطيع إنتاجها . وإذا تدخلت لوقف التدخل السوفيتي في الشرق الأوسط . »

يعني ببساطة .. أن تعطى أمريكا إسرائيل السلاح .. (وهذا أمر حتمي لأن إسرائيل لا تنتجه) وأيضا — ليس فقط أن تمنعه عن العرب — بل تمنع الاتحاد السوفيتي من إعطائه للعرب .

أى يجرد العرب من السلاح .. ويعطى السلاح لإسرائيل !

ثم تترك إسرائيل .. لتقر السلام .

لأن — كما قال ديان — إسرائيل لا تثق في قدرة الأمم المتحدة على تأمين مطالب إسرائيل وضمان مرور السفن الإسرائيلية في مضيق تيران .

وعلى هذا فيجب أن نعطي إسرائيل السلاح الذى لا تستطيع إنتاجه .. ويحرم العرب من السلاح .. وتترك إسرائيل على العرب بسلاح أمريكا لكي تؤمن مطالبها وتمر في مضائق تيران .

هل تسمع أمريكا ؟ ..

هل يسمع نيكسون ماذا يريد ديان وزير دفاع إسرائيل منه ؟ ..

وماذا يريد العرب ؟ ..

العرب قالوا لسكرانئون ماذا يريدون .

وهم يعلنون ببساطة .. أنهم يقبلون قرار مجلس الأمن ومستعدون لتنفيذه ..

فأى المطلبين معقول أكثر ؟ ..

وأى المطلبين تجد أمريكا نفسها في وضع طبيعي وإنساني أمام العالم كله لو حققته ..

إن كل ما يطلبه العرب من أمريكا هو المساعدة في أقرار السلام العادل الذي يدعو إليه قرار مجلس الأمن الذي وافقت عليه .

وهي قادرة على ذلك . بمجرد أن ترفض المطلب الأحمق الغريب الذي يطلبه ديان وزير دفاع إسرائيل لإقرار السلام .

ليس عليها إلا أن ترد على هذا المطلب بما يستحقه .

فإذا لم تدع إسرائيل .. للحل السلمي .. فلتتركها وشأنها مع العرب .

لتنفذ يدها عنها ..

ولتتركها تسو أمورها وحدها مع العرب وسيعرف العرب كيف يسوون أمورهم معها وكيف يقرون السلام في المنطقة .

لقد وضحت الحقائق لأمريكا .. وأعلن ديان ببساطة عن طريقة إسرائيل الوحيدة في إقرار السلام ..

وهي السلاح لإسرائيل .. ومنع السلاح عن العرب .

فإذا استطاعت أن تبصر الحقائق وإذا استطاعت أن تردع إسرائيل عن حماقتها بالكف عن معاومتها بالسلاح من أجل العدوان المستمر لتحقيق المطامع التوسعية فستضع أمريكا نفسها في الوضع الإنساني اللائق بها في العالم .

وإذا لم تفعل .

فكما قال الرئيس عبد الناصر :

« لسنا أقل من شعوب أخرى اكتسبت الحياة بالتضحية وبالموت
وبالدم وحقت شرفها بتضحياتها . لسنا أقل أبدا من أى دولة من الدول
ولا أى شعب من الشعوب ضحى بأبنائه .. بدمائه .. » .
هذا هو نص ما قاله الرئيس فى خطابه فى المؤتمر القومى .
١٨ ديسمبر سنة ١٩٦٨

في .. معركة الصبر

تتصاعد الجهود الدولية من أجل الوصول إلى تسوية سلمية لمشكلة الشرق الأوسط المشحونة بكل عناصر الانفجار بعد أن أوقف السفير جونار يارنج نشاطه وعاد إلى موسكو لمباشرة منصبه كسفير للسويد لدى الاتحاد السوفيتي .

والاهتمام العالمي في تصاعده المستمر بالمشكلة مبنى على أمرين أولهما تزايد المعرفة بالحقيقة — حقيقة مخططات إسرائيل ونواياها التوسعية — التي تنقض كل ما ضللت به الرأي العام من دعوى الضعف والمسكنة والرغبة في العيش في هدوء وسلام . وثانيهما الضرر المتزايد الذي يلحق بمصالح هذه الدول نتيجة استمرار المشكلة ثم الخوف من تفجرها تفجيرا يمكن أن يمتد إلى أبعد من حدود المنطقة ليودي بالعالم كله إلى حرب شاملة لا يعرف أحد مداها .

واهتمام أمريكا بدا بعد الانتهاء من الانتخابات بإرسال الرئيس المنتخب نيكسون بمبعوثه سكرانتون إلى الشرق الأوسط لتقصي الحقائق الذي صرح أكثر من مرة خلال جولته بأن لأمريكا في المنطقة مصالح حيوية غير مصالحها في إسرائيل وأنها يجب أن تتخذ موقفا أكثر إنصافا .

واتجاه أمريكا إلى تقصي الحقائق .. والحديث عن مصالح أمريكا في المنطقة .. واتخاذها موقفا أكثر إنصافا قد جاء بعد الانتهاء من معركة الانتخابات .. وبعد أن أصبح يحدد خطوات السياسة الأمريكية القادمة مصلحة أمريكا الحقيقية أكثر مما يحددها كسب أصوات اليهود .

ووراء مصلحة أمريكا توجد احتكارت البترول التي يضرها الموقف

المتفجر في المنطقة وتضيرها خصومة العرب وغيرها من مصالح رأس المال الأمريكي الذي يضيره استمرار إغلاق القناة وعداوة العرب لأمريكا نتيجة مساندتها لإسرائيل في أعمالها العدوانية .. ووراء اهتمام أمريكا تقف احتكارات اليابان التي أضارها إغلاق القناة والتي تتزايد خسائرها عاما بعد عام باضطرارها إلى اتخاذ الطريق الأطول لتجارتها .

وراء اهتمام أمريكا إذن مصالحها الحقيقية ومصالح حلفائها في المنطقة .. التي أضارها استمرار المشكلة .. نتيجة لصدود العرب .. وتزايد مقاومتهم .. ورفضهم الاستسلام .

. وفي نفس الوقت قررت بريطانيا أن توفد روبرتس وزير الدولة بوزارة الخارجية إلى المنطقة في جولة لمحاولة جديدة لدراسة فرص السلام .. واعتبرت هذه الخطوة من بريطانيا جزءا من عملية الاستطلاع التي تقوم بها الدول الكبرى للتسوية السلمية للمشكلة .

والمعروف أن حزب المحافظين أثار في أحد اجتماعاته حملة قاسية على حزب العمال الذي لم يستطع أن يقوم بخطوة حاسمة من أجل حل المشكلة المتفجرة في الشرق الأوسط والتي تسبب باستمرارها خسائر غير قليلة للاقتصاد البريطاني نتيجة لإغلاق قناة السويس .

وفي هذا الأسبوع أوفد إلى القاهرة أندريه جروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفيتي نتيجة لقرار اتخذته رئاسة اللجنة المركزية للحزب .

وإذا كانت الدوائر السوفيتية قد وصفت زيارة جروميكو بأنها زيارة عمل وأن الزيارة ستتيح الفرصة لمناقشة مفتوحة لأزمة الشرق الأوسط من جميع نواحيها ولبحث العلاقة بين البلدين فمن غير شك أن توقيت الزيارة جاء في وقت بلغت فيه الأزمة حدا يهدد العالم كله بالانفجار ويحتم الإسراع ببذل أقصى جهد ممكن لمنع الانفجار قبل وقوعه واتساع مداه

ليشمل العالم كله بحيث يجر الدول الكبرى إلى حرب يحاول العالم كله تجنبها حتى لا تودى به إلى الدمار .

والاتحاد السوفيتي قد ساند العرب في معركتهم ووقف إلى جانبهم في كل محاولة بذلت من أجل وقف أطماع إسرائيل وإزالة آثار عدوانها . ولا جدال أن مساهمته في الجهود المبذولة من أجل حل الأزمة المتفاقمة في الشرق الأوسط إنما هي جهود من أجل إقرار سلام عادل .

وخلال هذه الجهود المتصاعدة من أجل التسوية السلمية في المنطقة تبدو وجهة نظر العرب واضحة محددة في قبول قرار مجلس الأمن وفي تأكيد رفض الجلوس إلى مائدة مفاوضات مع إسرائيل وعدم التنازل عن بوصة واحدة من الأرض وأن الانسحاب من كل الأراضي العربية التي احتلت بعد ٥ يونيو عملية لا تتجزأ .

يبقى بعد ذلك ما سبق أن أكدته ج . ع . م . من أنها ترى أن طريقة تنفيذ قرار مجلس الأمن باعتباره يشكل حلاً يجب تنفيذه هو أن يضع المجلس برنامجاً تنفيذياً له ويكون المجلس (بما فيه الدول الأربع الكبرى) ضامناً للتنفيذ . وأما كيفية الوصول إلى حدود آمنة فهي الانسحاب إلى حدود ٥ يونيو على أن تكون المناطق المنزوعة السلاح على الجانبين . أما المرور في القناة فمتعلق بحل مشكلة اللاجئين واستعادة الشعب الفلسطيني لحقه المسلوب . ولا نظن حاجة سفن إسرائيل للمرور في القناة أكثر إلحاحاً من حاجة اللاجئين للعودة إلى ديارهم .

هذه هي احتمالات التسوية السلمية من وجهة النظر العربية تحددها في وضوح .

ويزداد الموقف تفاقمًا وتزداد الأزمة حدة وتبدو جهود الأمم المتحدة عاجزة أمام غرور إسرائيل وصلفها فهي ما زالت ماضية في إجراءاتها المضادة لقرارات مجلس الأمن وفي تحدى العالم كله بإعلان نواياها التوسعية

والعمل على تنفيذها وفي إصرارها على إملاء شروطها من موقف المعتدى وعلى تأكيد العدوان كوسيلة للتوسع والكسب .

وآلاف اللاجئين مشردون في العراق لا تكاد تقيهم الخيام قسوة البرد . ونزوحهم من الأرض المحتلة يستمر نتيجة لما يوقعه الاحتلال الإسرائيلي بالمواطنين العرب في الأرض المحتلة من اضطهاد وتعذيب جعلهم يفضلون التشرد في العراق على البقاء في ديارهم . وقرار الأمم المتحدة بإعادتهم إلى ديارهم كمواطنين لهم حق الإنسان في العيش الآمن قد ضربت به إسرائيل عرض الحائط وما زالت ماضية في عرقلة تنفيذه .

هذا هو الموقف الذي يواجهه العالم الذي بدأت مصالحه تضار بالأزمة والذي بدأ يحس أنه على شفا جرف من الدمار يوشك أن يودى به إليه هذا الموقف المتفجر في الشرق الأوسط .

ولا يستطيع أن يزعم أحد أننا نحن العرب .. نمر بوقت طيب أو أحداث سعيدة .. فمرارة النكسة تملأ حلقنا والعدو الجائم على حدودنا يحتل قطعة عزيزة من أراضينا . إنما يثقل صدرنا ويطبق على أنفاسنا ويشيع الانقباض — مهما افتعلنا من مظاهر المرح — في نفوسنا .

ولكننا مع ذلك .. نحس أننا حققنا ما يعيننا على معركة الصبر التي نخوضها .. والتي حولنا بالصمود منها رياح المعركة تحويلا يكاد يكون كاملا . فمن فراغ بين العدو المتحرك على حدودنا لا يمنعه عن قلب الوطن بضع بنادق . إلى جبهة قوية تمثل أكبر حشد عسكري شاهدها المنطقة . يستطيع أن يقف صامدا أمام أى تفكير أحق للعدو للقيام بمغامرة جديدة . والمقاومة العربية في شتى الميادين قد باتت تشكل مطرقة دائمة الطرق على رأس العدو .. ولغما دائم التفجر تحت أقدامه .. بحيث كف عن الاختيال في صلف وغرور وتعذر عليه أن يستمرىء اللقمة التي قضمها بعدوانه على الأرض العربية .

ومهما قاسينا من رد فعل العدو .. ومهما كان جو النكسة كئيها قائما من حولنا .. فمن غير جدال أننا في معركة الصمود التي خضناها قد حققنا هدفين خطيرين ..

أولهما أننا منعنا إسرائيل من بلوغ هدفها الأصلي من العدوان . وهو تحقيق الأمن والاستقرار اللذين ظلت طوال العشرين سنة الماضية تحاول تحقيقهما عبثا بل على النقيض لقد زاد إحساسها بالقلق والتهديد بحيث لا يستطيع أحد من المهاجرين اليهود الموعودين بالجنة يدعى أنه قد حقق الأمل المرجو بهجرته .

ثانيهما أن القوى العالمية التي بدأت مصالحها تضار مع استمرار الأزمة بتفجرها قد أخذت تدخل طرفا في الموضوع — ليس فقط من أجل الحق .. ولكن من أجل مصالحها هي — لكي توقف أطماع إسرائيل وتردها إلى صوابها .

ونحن وإن كان وضوح الحق للقوى العالمية يمنحنا أملا أقوى في سلام عادل . فإن وضوح الطريق لنا يمنحنا صلابة أكبر وقدرة أعظم على تحقيق النصر .

أن معركة صبر .. حقيقة .. هي معركة صبر .

صبر على الاستعداد المستمر لخوضها . وعدم الضيق بتأخرها . صبر على الدق فوق رأس العدو بما يسمونه الطرق المتواصل لإجهاد الصلب ، بحيث نواصل إقلاقه وتكبيده خسائر منتظمة ومتواصلة . حتى يصيبه الإرهاق . ونحن لن نعجز عن هذا بمختلف الطرق . ولا نظن النسبة بين قوة الفيتناميين الذين أزهقوا الجيش الأمريكي بالدق المتواصل وقوة الولايات المتحدة يمكن أن تكون أكبر من النسبة بين قوتنا وقوة إسرائيل .

وصبر على رد فعل العدو الذي يمكن أن يصيبنا به . والذي يرد به علينا فعلا . ولا نظن أيضا رد فعله يمكن أن يكون أكبر من رد فعل الأمريكيين

في غاراتهم المتواصلة على فيتنام الشمالية .. التي استطاع شعبها أن يقاوم
الغارات خلال هذه السنوات الطويلة . في معركة بين الإنسان على الأرض
والطائرة تلقى الحمم من السماء .

وصبر على تجميع قوى العرب .. عسكريا واقتصاديا .. دون أن
يصيبن الملل أو اليأس من أى فشل أو عرقلة يمكن أن تحول دون هذا
التجميع والحشد في مواجهة العدو ..

وأخيرا وأهم من كل ما قلت . صبر على أنفسنا .. في الداخل .. لكي
لا نضيق بهذا التصرف أو ذاك .. أو بهذه المتاعب أو تلك .. فتندفع في
نوبة غضب أو حمق لنحطم أصلب ما يمكن أن نواجه به العدو .. وهي
جبهتنا الداخلية ..

وأيا كانت خلافاتنا .. وأيا كان التناقض بين وجهات نظرنا .. فيجب
أن نصبر عليها .. ولا نذكر إلا أننا عرب في مواجهة عدو .. يحاول أن
يهدد مصيرنا جميعا ويقضى علينا جميعا .. فلا تعد لنا فرصة .. حتى في أن
نختلف .. أو نتخاصم .

الصبر .. في معركة الصبر .. هو سلاحنا الماضي .
ولسنا وحدنا في التاريخ الذي دخلنا معركة الصبر .. كان سلاح الصبر
أمضى فيها من كل الأسلحة . فمن قبلنا رد الروس نابليون بعد أن وصل
إلى موسكو .. بالصبر ..

إن ديننا دين الصبر .. وشعبنا شعب الصبر .. فلتثق الله في أنفسنا ..
ولنمض في معركة الصبر ولنبتلع كل ما في حلوقنا من مرارة النكسة . ولنطو
في صدورنا كل ما تركته من قتامة واكتئاب .

لنصبر على العالم حتى يعرف الحق ويعمل على إقرار السلام العادل .
ولنصبر على الاستعداد للمعركة حتى نخوضها ..
ولنصبر على أنفسنا حتى نرد العدوان عن أراضينا .

٢٥ ديسمبر سنة ١٩٦٨ .

على أبواب عام جديد

وسط الأحداث الصاخبة المتزاحمة .. ونحن نعبر من عام إلى عام ،
عبورا شكليا موهوما .. فالأحداث تندفع متدفقة لا يحكم حركتها تقسيم
زمنى ولا تحدد مداها أشكال محددة من الشهور والأعوام .
ومع ذلك يحلو لنا أن نضع على طريق حياتنا محطات زمنية تذكرنا بما
قطعناه على الطريق .. وبما تبقى لنا لنقطعه عليه .. إن لم نسقط فيه
فجأة .. بين إحدى المحطات .
وفي كل عام .. والأحداث تعدو بنا متلاحقة لتدفعنا في ضجيج
وعجلة .. يحلو لنا أن نقف .. لنلتقط أنفاسنا وتلفت خلفنا .. نلقى نظرة
خاطفة على مرحلة من مراحل العمر .. ماذا فعلنا بها .. وماذا فعلت بنا .
ونحدث أنفسنا .. ونتحدث إلى من حولنا .
وحدثنا إلى أنفسنا .. لا يحاسبنا عليه أحد .. فهو طليق من كل قيد ..
من قيود الخوف والنفاق .. والجبن والخداع .. هو أخلص الحديث
وأصرحه وأنقاه .. وهو السبيل إلى كشف ضعفنا .. ومناقشة مساوئنا ..
مع أنفسنا .. دون أن نخاف الشماتة أو نخشى الهوان .
قل لنفسك ما تشاء .. عما تشاء وعمن تشاء .. وأصدقها القول ..
ولا تخش الملامة .. فكل حديث صادق إلى النفس .. منصف لها ..
وللغير .. قل لها الحقيقة التى لا تجرؤ أن تقولها لأحد .. الحقيقة التى لا
تحجبها غمامة الغرور .. ولا تطمس معالمها زواء الرغبة فى تهدئة النفس
وإراحة الضمير .

وفي وقفة آخر هذا العام الحافل بالأحداث ونحن نوشك أن نضع أقدامنا

على عام تتدفق إليه أحداث العام الماضي لتشكل معالم أيامنا المقبلة . نلقى نظرة إلى الخلف وأخرى إلى الأمام ونتحدث إلى أنفسنا وإلى من حولنا . أما الحديث إلى النفس فلندخره في باطننا .. نناقشه بيننا وبين أنفسنا . لا يحاسبنا عليه إلا الله .

أما الحديث إلى من حولنا .. فأبلى هؤلاء الذين شغلنا بهم طوال العام .. نوجه بعض كلمات .. يعلم الله إن كان لها وسط صخب الأحداث جدوى أم أن الصمت عنها أجدى وأنفع .

كلمات نبدأها للمكافحين الفلسطينيين .. الذين فجرُوا الثورة الفلسطينية . والذين حولوا القضية الفلسطينية من قضية شعب لاجئ يجلس في الخيام .. ينتظر الحسنة الدولية .. إلى قضية شعب مكافح من أجل مصيره . والذين وضعوا الشعب العربي الفلسطيني في طريق النضال الإيجابي الفعال . وأكدوا قدرتهم على إيجاد الكيان الفلسطيني القائم على النضال والبذل والتضحية .

لقد استطاع العمل الفلسطيني الإيجابي أن يستقطب كفاح الفلسطينيين ويضعه في إطار الكفاح التحرري للشعب العربي .. كما استطاع أن يجعل الدعم العربي للقضية الفلسطينية عملاً فعالاً ذابت أمامه كل المصاعب والمتناقضات العربية .

وفي المجال العالمي استطاع العمل الفلسطيني أن يبدد الأباطيل التي نسجتها الدعاية الصهيونية حول القضية الفلسطينية وأن يبرزها في صورتها الصحيحة . قضية شعب وقع عليه العدوان .. وشرد من أرضه وسلب حقه .. يحاول بالنضال البطولي أن يسترد حقه المسلوب ويستعيد أرضه الضائعة . لقد وضع العمل الفلسطيني القضية الفلسطينية في إطارها الصحيح أمام الرأي العام العالمي .. قضية تحرر وطني من الاستعمار الاستيطاني .

(من وراء الغيم)

هذا ما استطاع المكافح الفلسطيني أن يحققه في عام مضى مع كل ما حققه من نجاح عسكري في داخل الأرض الفلسطينية . مما جعل خطوات إسرائيل على الأرض المحتلة تترنح في قلق ومما جعل النصر الذي حققته بعدوانها .. نصرا بلا مذاق . وبلا هدف .

وبقى للمكافح الفلسطيني أن يحقق وحدة العمل الفلسطيني والبناء السياسي الفعال للثورة الفلسطينية مع نمو العمل العسكري وتطوره .

هذه كلمات نقولها ونحن نخطو إلى العام الجديد .. لهؤلاء الذين استرخصوا بذل الدماء .. ودفعوا بشهادتهم إلى الموت .. وبأشبالهم إلى المعركة .. ليؤكدوا أن الشعب الفلسطيني كائن .. مناضل .. مصر على وجوده في أرضه .. واسترداده لحقه .

وكلمات .. لإخوة لنا وأبناء يقفون في جبهة القتال .. صامدين في يقظة وتحفز وصبر وجلد ..

لقد مرت بهم أيام شاقة ثقيلة .. أثقل من المعركة ذاتها .. أيام كثيفة .. كان عليهم أن يحملوا على أكتافهم .. فوق عبء الهزيمة .. ظلم الظالمين .. وشماتة الشامتين .. وسخرية الساخرين .. ونكت الظرفاء .

وكان عليهم أن يملأوا بعملية بناء شاقة سريعة .. يعوضون بها ما فقدوه من جنود وعتاد . وكان عليهم أن يستردوا الثقة الضائعة .. ثقتهم بأنفسهم .. وثقة الناس بهم .

ومر بهم عام الصمود .. ثبتت أقدامهم .. وتوطد بنيانهم .. واستطاعوا أن يردوا ضربات العدو بضربات قاصمة رادعة ..

ووقف وراءهم الشعب متماسكا بعد أن أكد تمسكه بقيادته .. وإصراره على الصمود ورفضه أن يجعل من الهزيمة العسكرية .. سبيلا إلى الاستسلام .

ولم تستطع إسرائيل أن تحقق الهدف الذى تنشده .. من عدوانها .
ووجدت نفسها من المعركة التى خاضتها .. تسير فى طريق مسدود ..
يسده رفض الشعب العربى للهزيمة .. واستعادة بنائه لقواته المسلحة ..
وانبثاق العمل الفلسطينى المسلح .

ويطوى العام .. وأنتم درع الشعب العربى .. تتصدون للعدو فى
جبهات القتال .. لتسدوا الطريق أمام أطماعه .. وتردوا عدوانه فى حزم
وصلابة ..

وعدونا .. لا تردعه غير القوة ..
قال قادة عصابته العسكرية أنه وجد بالقوة .. وسيبقى بالقوة ..
وستمتد رقعته بالقوة ..
وأعلنوا فى كل مناسبة .. أن العدوان وسيلتهم إلى التوسع ..
والكسب .

وهم — رغم أنهم لم يحققوا هدفهم الأسمى .. من النصر العسكرى
الذى حققوه — إلا أن رعبهم قد أدارتها نشوته .. وهم يصرون .. على
أن يستغلوه لإملاء إرادتهم — ليس فى مجرد العيش فى أمان — بل فى تحقيق
نواياهم التوسعية ..

والذى يعتقد أن القوة .. كانت وما زالت .. وسيلته لفرض إرادته
على الغير .. لن يغير اعتقاده .. إلا بقوة مضادة .. تردع قوته .. وتسلبه
هذه الوسيلة التى يستند إليها فى الطغيان وفى الاعتداء على من حوله ..
مع هذا العدو الذى يؤمن بالقوة كوسيلة للبطش يفرض بها وجوده
وبقاءه وتوسعه .. لا بد من قوة تبطش به وتؤدبه .

وانتم .. بإيمانكم وتدريبكم ومهارتكم فى القتال وقيادتكم القادرة ..
وبالشعب كله متماسكا من ورائكم .. القوة التى لا بد منها لكى تبطل
وسيلة العدو .. التى يحاول بها أن يفرض إرادته .

وفي عصر العلم .. قد يبدو تفوق السلاح .. مفتاحا للقوة .. وقد لا
تتيح لنا الظروف ألا نحقق هذا التفوق .. ولكن قتال المصير لا يحقق النصر
فيه إلا قوة النفوس .. قوة الإيمان بحتمية النصر من أجل المصير .. وهذا ما
يجب أن نحقق التفوق فيه ..

كلمات أيها الإخوة والأبناء الرابضون في مواجهة العدو .. مليئة
بالتقدير والحب .. هي أبسط ما يمكن أن نقولها لكم في بداية العام الجديد
وأنتم تفقون صامدين في انتظار المعركة .

وانتظار المعركة أيها الأبناء الأعزاء — للذي جرب الانتظار — أمر
من المعركة ذاتها فليقبل عليكم العام الجديد .. بكل بشائر النور والنصر .
وكلمات لإخوة لنا في الإنسانية أحسنا بقلوبنا نحقق من أجلهم وهم
ينطلقون لأول مرة في تاريخ الإنسان ليدوروا حول القمر وليستكشفوا
معالمه بأعينهم

وانطلاق الإخوة الثلاثة جاء عقب سلسلة من الجهود الخارقة التي
تعاقت في سباق الفضاء بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة والتي
تنبئ عن قدرات بشرية لا حدود لها .. والتي تفتح الطريق أمام الإنسان في
الانطلاق لارتياح آفاق الدنيا وكشف أسرار الكون وخبائاه .

وإذا كان هذا النصر الرائع الذي حققه أولئك الذين ساهموا في التجربة
الخطيرة للدوران حول القمر من رواد وعلماء ومصممين للمشروع ينبئ
عن الآفاق الواسعة المفتوحة أمام الإنسان في غزو الفضاء .. فإنه ينبئ أيضا
بما يمكن أن تحققه البشرية من تعاون من أجل سعادة البشر وينبئ بما يمكن
أن يسود البشرية من حب قادر على أن يطوى هذه الخلافات المجنونة التي
تدفع بالعالم إلى سباق التسلح وإلى استنزاف موارده التي يمكن أن يحقق بها
حياة راضية كريمة للإنسان وإلى استغلال طاقته العلمية من أجل تنمية
الحضارة الإنسانية وازدهارها .

فبعد انطلاق الرواد الثلاثة حبس الناس أنفاسهم وأحس كل منا كأن كل رائد منهم أخوه أو ابنه وهو يتابعهم في لحظاتهم الحرجة عند بدء الدوران حول القمر وعند تشغيل صاروخ العودة الذى يتوقف عليه انتزاع السفينة من جاذبية القمر ..

وتنفس كل منا الصعداء عندما وصلوا إلى الأرض سالمين .. لا فارق فى مشاعرنا بين أمريكى وإفريقى وسوفيتى .

بل لقد أعلن خلال الرحلة أن السوفيت سيكونون أول من يهب لنجدة ركاب أبوللو ٨ إذا حدث لمركبتهم أى عطل يمنعهم من العودة .. ففى إمكان الاتحاد السوفيتى أن يطلق مركبة إنقاذ تتسع لمزيد من الركاب ويمكنها مقابلة أبوللو ٨ ونقل ركابها إليها والعودة بهم إلى الأرض .

وكانت تهيئة الاتحاد السوفيتى للخبراء الأمريكىين التى جاء فيها أن نجاح استكشاف الفضاء بواسطة كل من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة قد أدى — بلا شك — إلى تعميق الاتصالات بين البلدين وأثر تأثيرا طيبا على الموقف الدولى عامة .. ويعتبر حافزا على تدعيم التعاون فى مختلف الميادين .

إن ارتياد آفاق الدنيا وكشف أسرار الكون انتصار كبير للبشرية .. ولكن الانتصار الأكبر هو أن نرتاد آفاق أنفسنا ونكشف ما فى خباياها من حب ومودة يمكن أن نطوى بها خصوماتنا التى تفسد علينا كل مكاسب الذهن البشرى وتضيع كل ما يحققه من انتصارات ويوجهه إلى الدمار بدل أن يحقق به السعادة والأمن للبشرية وهو الهدف الحقيقى لكل ما نقوم به من جهد وما نحققه من انتصارات .

كلمات من أجل الناس كلهم فى عامنا الجديد .. ليطوى حينا عداوتنا .. وليغلب تسامحنا أحقادنا .. وليكن عامنا المقبل عام حب وتعاون فى سبيل سلام البشرية ورخائها وسعادتها .

١ يناير ١٩٦٩

الحقائق والمنطق وسياسة أمريكا

يتحرك العالم هذا الأسبوع من أجل إنقاذ الموقف في الشرق الأوسط قبل حدوث الانفجار الذي يمكن أن يهدد سلم العالم كله .
وحركة العالم نحو إيجاد تسوية سلمية عادلة يجمدها موقف الولايات المتحدة .. على الأقل حتى تنتهى أيام جونسون .. وقد باتت معدودة .
فجونسون تعمد أن ينهى صفقة الفانتوم قبل انتهاء أيامه .. ومندوبه في مجلس الأمن رغم قرار إدانة إسرائيل في هجومها الغادر على مطار بيروت .. قد بذل الجهود الخارقة التي وصلت على حد تعبير مندوب الاتحاد السوفيتى إلى حد لوى الأذرع — لتميع القرار وعدم توقيع العقوبات على إسرائيل وإلزامها بدفع التعويضات .
وإسرائيل تعتمد اعتمادا مطلقا على القوة .. صرح بذلك زعمائها دون موارد أو تستر .. اعتمدت على القوة في زرع نفسها في جسد العالم العربى .. وفي عدوانها التوسعى المستمر .. وفي محاولة تحقيق أطماعها .. والقوة التى تعتمد عليها إسرائيل في وجودها وفي توسعها وفي فرض إرادتها كما صرح وزير دفاعها موشى ديان في زيارته الأخيرة لواشنطن .. لا تملك إسرائيل أسبابها .. بل هى تعتمد في الحصول عليها .. اعتمادا مطلقا على الولايات المتحدة .. ولقد وضع ديان في صفاقة لا مثيل لها .. أن طريقة إقرار السلام — الذى تملك الولايات المتحدة مفتاحه — هى أن تمنح إسرائيل السلاح .. وتطلب من الاتحاد السوفيتى أن يوقف تزويد العرب به .. حتى تستطيع إسرائيل أن تفرض إرادتها وتضمن سلامتها وتفرض السلام الذى تريده بقوة السلاح الذى يتحتم على أمريكا أن تمنحه إياها ..

هذا هو مفتاح السلام الذى تملكه الولايات المتحدة للمشكلة من وجهة نظر إسرائيل .

وهو بداهة .. السبب المعرقل لكل حل سلمى عادل للمشكلة يمكن أن يبدل فيه كل جهد سواء عن طريق الأمم المتحدة أو بواسطة الدول الكبرى .

وأمریکا .. حتى الآن تساند إسرائيل .. بإصرار أعمى لا منطلق له .. يغفل كل عدل وحق .. بل ويغفل حتى مصالح أمريكا الحقيقية فى المنطقة .

وليس هناك من بصيص أمل .. فى أن يتصرف جونسون فيما يتبقى من أيامه أو ساعاته بما يخالف أسلوب المساندة العمياء الظالمة التى تعودت أمريكا أن تبذلها لإسرائيل .. رغم وضوح حقيقة إسرائيل العدوانية .. التوسعية .. للعالم كله .. ورغم أن المساندة لم تعد مساندة دولة مهددة تطلب العيش فى سلام .. بل مساندة دولة تحتل أراضى الغير .. وتواصل العدوان بالقوة .. وتتحدى فى صلف .. وعجرفة .. كل قرارات مجلس الأمن والأمم المتحدة والرأى العام العالمى كله .

لم يعد هناك أمل فى جونسون .. وأيامه الغاربة .. التى حملت المساندة الظالمة العمياء .. التى يمكن أن تشكل عقبة كأداء فى سبيل أية محاولة سلمية .. وهى تبذل السلاح الذى تعتمد عليه إسرائيل فى عدوانها المستمر .

والسؤال الذى يبرز بعد ذلك ..

هل يمكن أن يوجد أمل فى أن تتخذ الولايات المتحدة فى عهد الرئيس الجديد نكسون .. سياسة تساعد على تحقيق النجاح للجهود التى تبذل من أجل تسوية سلمية عادلة ...

والرد الطبيعى البسيط .. الذى يمكن أن يبنى على ما وضع للحكم

الجديد من حقائق .. هو .. إننا نرجو ذلك ..
فمن خلال التصريحات التي نشرت للمستولين من رجال نيكسون ..
يبدو اقتناعهم .. ببعض الحقائق التي تجعل استمرار السياسة الأمريكية
السابقة .. أمرا غير معقول .

فقد صرح تشارلز يوست مندوب نيكسون لدى الأمم المتحدة أنه
يعتقد أن التوصل إلى نسوية واقعية وكريمة لإعادة توطين اللاجئين العرب
في فلسطين وتنفيذ قرار مجلس الأمن هما مفتاح الاستقرار في الشرق
الأوسط وأن من العقبات أمام تسوية الموقف وهم إسرائيل بأن العمليات
الانتقامية ضد القوى العربية توقف عمليات المقاومة في إسرائيل ..
وأضاف أن هناك حقيقة لا مفر من الاعتراف بها وهي أن إسرائيل محاطة
بدول عربية أكثر ازدحاما بالسكان ولديها إمكانيات القوى وما لم تتمكن
إسرائيل من التفاهم الودي مع هذه الدول فإنها لن تتمكن من البقاء إلا
كمعسكر مسلح .

وغير معقول أن تكون أمريكا — بناء على هذا الفهم من مندوبها القادم
في الأمم المتحدة للمشكلة .. واقتناعه بحتمية توطين اللاجئين العرب في
فلسطين وتنفيذ قرار مجلس الأمن الذي يحتم على إسرائيل الانسحاب
(والذي ترفضه إسرائيل) ستواصل العمل على تزويد إسرائيل
بالأسلحة .. لكي تستمر في البقاء كمعسكر مسلح وتواصل العمليات
الانتقامية والعدوان التوسعي ضد العرب .

غير معقول .. أن تكون سياسة أمريكا مضادة .. لكل ما يمكن أن
يعكسه آراء خبراءها من حقائق .

ومن قبل ذلك صرح سكرانتون مندوب نيكسون لمعرفة الحقائق في
الشرق الأوسط بأن أمريكا يجب أن تتخذ موقفا أكثر إنصافا .. وأن لها
مصالح أخرى حيوية في المنطقة غير إسرائيل .

ولا يتخيل عاقل أن الولايات المتحدة في عهد نيكسون .. بعد أن أوضح مندوبه سكرانتون أنها يجب أن تكون أكثر إنصافا .. أن هذا الانصاف يمكن أن يكون بمزيد من الأسلحة لإسرائيل .

المنطق والعقل إذن يحتمان .. أن الحقائق التي حاول الرئيس نيكسون أن يعرفها عن المشكلة .. تؤكد أن مواصلة تسليح إسرائيل .. وإبقائها كمعسكر مسلح .. هي أمر لا يمكن أن يؤدي إلى إنجاح الجهود المبذولة من أجل إيجاد تسوية سلمية عادلة .. ولا يمكن أن يكون كذلك .. أحد العناصر التي تحقق مصالح أمريكا في . (بل لن يكون إلا وسيلة .. تؤدي إلى حتمية الانفجار في المنطقة .. وإلى تهديد السلام العالمي كله) .

والعرب موقفهم من السلام المبني على العدل .. واضح .. في قبولهم قرار مجلس الأمن الذي أجمع العالم كله (عدا إسرائيل) على أنه الطريق السلمي إلى حل المشكلة .

ومع ذلك .. فالمنطق والعقل — من خلال تجارب السنين الماضية في سياسة أمريكا — لا يدوان هما العنصرين الأساسيين في توجيه السياسة الأمريكية .. لأن النفوذ الصهيوني في الولايات المتحدة يبدو أقوى من كل منطق .. ومن كل عقل .. وأنه يمكن أن يجرف في طريقه .. أي شيء .. حتى المصالح الأمريكية ذاتها .. بما فيها .. احتكارات البترول .. وغيرها .. من الاحتكارات الأمريكية واليابانية .

ولا يصبح أمام العرب .. غير ما تؤكد جميعا في كل لحظة .. وبكل ما نملك من إصرار .. وما يؤمن به كل عربي .. من أن حق العرب الذي تؤكد إسرائيل في عجزتها وصلافتها أنها سلبته بالقوة .. وستبقيه في حوزتها بالقوة .. وستسلب المزيد منه بالقوة .. لن ترده

سوى قوة مضادة .. قوة العمل العربى الموحد فى جبهات القتال .. وقوة
الكفاح المسلح فى كل بقعة من بقاع الأرض المحتلة .. وقوة الصمود
والصبر فى الجبهة الداخلية للشعب العربى كله .. حتى يتحقق لنا النصر ..
ليس فقط من أجل إنقاذ أرضنا المحتلة وحقنا المسلوب .. بل من أجل إنقاذ
الحضارة العربية كلها .

٨ يناير ١٩٦٩

ديجول ومنطق زعماء إسرائيل

يعتبر قرار ديجول بفرض الحظر الشامل على تصدير الأسلحة إلى إسرائيل نقطة تحول خطيرة في مشكلة الشرق الأوسط بالنسبة لوضعها العالمى .

ومنبع أهمية القرار ليس من مجرد الأثر العسكرى له في حرمان إسرائيل نهائيا من الخمسين طائرة الميراج أو مما يحتاج إليه السلاح الإسرائيلى الفرنسى الصنع من أجزاء احتياطية لازمة لتشغيله وصيانتة بحيث يجعله قرار الحظر عاجزا عن العمل بعد بضعة شهور .

ليست أهمية القرار نابعة من هذا الأثر العسكرى — رغم خطورته — في العمل على شل السلاح الإسرائيلى المستورد من فرنسا والذي يعتمد عليه الجيش الإسرائيلى أساسا .. بل إن أهميته تنبع من وضع المشكلة التى تهدد السلام في الشرق الأوسط في وضعها الحقيقى المجرد .. ومن المساعدة على تجريد الوجود الإسرائيلى وتعريضه لكى يبدو على حقيقته ليس فقط لجزء من العالم لا يستطيع أن يرى الحقيقة من خلال غمامة التضليل الإسرائيلى التى استطاعت إسرائيل أن تطمس بها الحقائق خلال السنين الماضية .. بل أنه ليجرد الوجود الإسرائيلى ويعرى إسرائيل أمام اليهود الذين هاجروا من أنحاء العالم ليحققوا حلم الاستقرار والأمن في أرض سلبت من أصحابها بالقوة .

لقد كشف القرار .. مدى قيمة وجود .. فرض بالقوة .. ولا يستطيع أن يبقى بغير القوة .

لقد اعترف قادة العصابة العسكرية في إسرائيل وعلى رأسهم بن

جوريون بأن إسرائيل وجدت بالقوة .. ولن يؤمن بقاؤها .. وتحقق
أحلامها إلا بالقوة ..

و لم يسأل قادة إسرائيل أنفسهم ..
قوة من ؟!!

قوة من التي استطاعت أن تفرض وجود إسرائيل .. وتؤمن بقاءها ..
وتحقق مطامعها التوسعية ؟
هل هي قوة إسرائيل ؟ .

إن ديان وزير الدفاع الإسرائيلي .. أجاب ضمنا على هذا السؤال عند
زيارته الأخيرة لواشنطن عندما قال إن مفتاح السلام في المنطقة في يد
الولايات المتحدة التي تستطيع أن تمنح إسرائيل السلاح الذي لا تملك
إنتاجه من أجل فرض إرادتها على العرب .

قادة إسرائيل إذن يعرفون أن أسباب القوة التي وجدوا بها .. والتي
تؤمن وجودهم .. وتحقق أطماعهم .. لا يملكونها .. بل يملكونها غيرهم .
ولكنهم مع ذلك .. لم يشكوا لحظة في استمرار هذه القوة .. لأنهم
يشعرون في قرارة أنفسهم .. أنها موجودة دائما .. وأنهم رغم افتقارهم
لأسبابها يضمنون دائما مصدر هذه الأسباب .. وإلا لما تركوا وجودهم
وأمنهم .. الذي يتوقف توقفا كاملا على القوة .. معلقا في الهواء على
أسباب غير مؤكدة ولا مضمونة .. ولما يتبخترون في صلف وغرور وثقة
في أن القوة التي تسند وجودهم .. قوة مضمونة .. دائمة .. تحقق
مطامعهم العدوانية التوسعية .

قواد إسرائيل العسكريون .. الذين اختالوا بالقوة المستمدة من
الغير .. لم يخطر ببالهم قط .. وهم يتباهون بعدوانهم المتواصل .. أن هذه
القوة قد تفقد أسبابها فجأة .. لتركهم كعرائس المسرح بغير أصابع
تحركها ..

لم يخطر ببالهم أن قوتهم .. ليست قوتهم .. وأنها — وهي وحدها كما أكدوا ، سبب وجودهم ووسيلة أمنهم — يمكن أن تسحب فجأة من أيديهم .. ليصبحوا مجموعة من المهاجرين واللاجئين في أرض غير أرضهم ووطن غير وطنهم .. ولا يعود هناك معنى لوجودهم بعد أن زالت أسبابه .. وهي القوة المستمدة من الغير .

لقد عرى قرار ديجول حقيقة إسرائيل أمام نفسها .. إنها وجود قام على أسباب مؤقتة .. يمكن أن تزال بقرار . ولسنا نزع أن قرار ديجول .. سينزع عن إسرائيل أسباب وجودها .. ولكنه .. قد أكد .. أن أسباب هذا الوجود — وهي القوة — يمكن أن تزول .. بأسرع وأبسط مما يتصور هؤلاء الذين يفرضون الوجود الإسرائيلي بالقوة .. ويواصلون بها عدوانهم التوسعي . قرار ديجول .. رغم أنه لا يزيل الوجود الإسرائيلي .. يوضح لإسرائيل قبل غيرها .. أن وجودها يقوم على أسباب غير طبيعية .. وأن هذا الوجود يمكن أن ينهار .. بقرار .

وقادة إسرائيل .. سيكابرون .. سيحاولون الحصول على مزيد من أسباب القوة .. لأنها هي سبب وجودهم .. سيلجأون إلى التلويح بالقنبلة الذرية .. وإلى استعجال صفقة الفانتوم .. وإلى الحصول على مزيد من الأسلحة من الولايات المتحدة لمواصلة حشد الأسلحة للإبقاء على إسرائيل كقاعدة مسلحة تستمد وجودها من القوة العسكرية المستقاة من الغير .. ويبقى بعد ذلك سؤالان .. بالنسبة لهذه القاعدة المسلحة التي تريد أن تفرض وجودها في المنطقة بقوة السلاح .

الأول إلى المضللين من اليهود الموعودين بالجنة الآمنة .. منذ متى كانت الجنة .. قاعدة مسلحة ..

وأى أمن حققوه بالهجرة من أوطانهم الأصلية .. بالاستقرار في قلعة

مسلحة تفرض وجودها وأمنها بالسلاح وبالعدوان الدائم والقتال المتواصل .

والسؤال الثاني .. إلى الولايات المتحدة .. أو السبب الحقيقي الباقي لوجود هذه القاعدة العدوانية المسلحة .

إلى متى تصر على تدعيم العدوان المسلح في المنطقة .. بعد أن وضح من هو الذي يريد أن يعيش آمناً .. ومن هو الذي يريد أن يواصل العدوان والتوسع .

إذا كانت الولايات المتحدة لم تعرف بعد حقيقة الوجود الإسرائيلي التوسعي العدواني .

وإذا كانت الحقائق .. لم تبد لها بعد من خلال مندوبيها الذين حاولوا جهدهم أن يتقصوا الحقائق فهل يمكن أن تدركها من خلال بعض ما يقال في إسرائيل نفسها .. من غير العصابة العسكرية ؟

لقد جاء في مقال لمردخاي بنتوف وزير الإسكان الإسرائيلي وممثل المابام في حكومة أشكول ما يلي ..

« إننا ما دمنا نطالب بالتوسع الإقليمي نتيجة لقوتنا (يعني القوة التي قال عنها ديان إن إسرائيل لا تملك أسبابها إلا من الولايات المتحدة) أو رغبتنا أو حتى بسبب عقيدتنا ، فإن العالم كله وليس العالم العربي وحده ، سيقف ضد مطالبنا لأنها لا تتفق ومصلحة المواطنين في هذه الأقاليم . وليس من المعقول أن يحل هذا الموضوع على الطريقة الشكلية التي نعالجها بها كأن نسمى الضفة الغربية اليهودية أو السامرا أو أن نسمى الأراضي المحتلة مناطق محررة أو أن نسمى الضم عودة إلى الوطن الأم . إن العرب سيثورون يوماً ويطبقون على أعناقنا . وسيقف العالم مسروراً لنهايتنا » . هل يمكن أن تدرك الولايات المتحدة .. الحقيقة من خلال كلام الوزير الإسرائيلي ؟

هل المفروض فيها أن تواصل تدعيم القاعدة المسلحة .. لتمنحها القوة

التي يحقق بها قاداتها العسكريون أحلامهم التوسعية؟! ..

لقد بدأ العالم كله يدرك حقيقة المشكلة ..

مشكلة القاعدة المسلحة التي تهدد أمن المنطقة بالأطماع التوسعية الإقليمية .
ولقد استطاع الجنرال ديغول بقراره الشجاع .. أن يواجه حقيقة
إسرائيل بحزم وصدق .. وأن يمنع عنها ما يمكن أن تساهم به فرنسا من
أسباب القوة التي تدفعها إلى العدوان التوسعي .

وإذا كان زعماء إسرائيل سيواصلون مكابرتهم في تلمس بديل من
أسباب القوة .. عما حرمهم منه الجنرال ديغول .. فلا بد أنهم —
وسكان إسرائيل المضللين — قد أدركوا .. أن القوة .. لا يمكن أن تكون
وسيلة لوجود دائم .. أو استقرار آمن .. وأن أسبابها يمكن أن تزال ..
بقرار .. مجرد قرار .. ويتحتم على الولايات المتحدة أن تدرك حقيقة
المشكلة .. وألا تواصل منحها من الأسباب ما يساعد على زيادة
تعقيدها .

أن المشكلة .. هي مشكلة عدوان توسعي .. يعتمد — كما اعترف
جميع زعماء إسرائيل — على القوة ..

فعلى أمريكا .. أن تكف عن دعم القوة التي تشكل هذا العدوان
التوسعي وتساعد على المزيد منه ..

وعلى العرب .. أن يدعموا قوتهم الموحدة .. لردع هذه القوة
العدوانية .. إذا تعدز وقف أسبابها من منابعها الأصلية ..

إن زعماء إسرائيل يؤكدون اعتمادهم على القوة وحدها في فرض
مطامعهم التوسعية ..

فلا سبيل إذن .. لدفع عدوانهم .. إلا بأمرين .. العمل على وقف
أسباب هذه القوة .. والعمل على مواجهتها بقوة .. تلغى قدرتها على فرض
الإرادة العدوانية التوسعية ..

١٥ يناير سنة ١٩٦٩

التوازن بين الكلمات والأعمال

من ألزم الأشياء لنا في هذه المرحلة الخطيرة التي نمر بها .. الوضوح ..
وأعنى بالوضوح .. أن نكون أولا وقبل كل شيء واضحين لأنفسنا .
أين نقف ؟

وماذا نريد ؟

وكيف ؟

وبماذا ؟

ومتى ؟

فعملية الصراخ .. بما نريد .. والتي تعودنا مجرد الهتاف بها فيما
مضى .. كمجرد أمل .. لم تعد تجدى ..
ولقد كان من أبرز ما قاله الرئيس جمال عبد الناصر في خطابه في مجلس
الأمة :

« إن التجربة العملية أثبتت أنه لا قيمة لأية أقوال إذا لم تكن كلماتها
مقياسا حقيقيا للقدرة الفعلية ..

لقد قلنا كثيرا في الماضي وكنا نتصور أن هناك توازنا بين الكلمة
والقدرة ولكن التجربة علمتنا أن ذلك لم يكن صحيحا كما تصورنا . وأننا
الآن يجب أن نلزم أنفسنا .. مهما كانت المعاناة .. بأن يكون حساب
الكلمات هو نفسه حساب القدرات » .

ولكى نعرف حساب القدرات التي يجب أن تكون أساسا لما نطلقه من
كلمات .. — وأخطر من هذا — لما نخطوه من خطوات . يتحتم أن
يتوافر لأنفسنا من الوضوح ما يحدد لنا قدر كل حركة .. ونوعها ..

واتجاهها .. بحيث يكون عملنا الذى نريد أن نحقق به هدفنا .. مبنيا على قدرة حقيقية .. وبحيث تكون كلماتنا التى نعبر بها عن عملنا .. متوازنة مع القيمة الحقيقية لهذا العمل . ولا تعود الفجوات السحيقة تفصل بين حرارة كلماتنا .. والعمل الحقيقى الذى تعبر عنه هذه الكلمات .. وبين العمل الذى نتلهف على أن نقوم به .. وقدرتنا على تنفيذ هذا العمل .. ويصبح هدفنا .. بعد ذلك .. وبعد سلسلة الفجوات الفاصلة بين الكلام والعمل والقدرة .. مجرد أمنية سرايية تبرق من بعيد .. أو مجرد حلم من أحلام اليقظة .

وفى حديثه الأخير للمؤتمر الفلسطينى استطاع الرئيس عبد الناصر أن يحدد بوضوح معالم الطريق ..

حدد أولا طبيعة الصراع القائم .. بأنه صراع بين القومية العربية والعنصرية الصهيونية .. وبالتالى فهى ليست ضد اليهود فى جانب والفلسطينيين فى جانب آخر .

فلقد أعلنت الثورة الفلسطينية أنها لا تعادى اليهود وأنها تسعى إلى إقرار السلام العادل فى المنطقة على أساس وجود دولة فلسطينية ديمقراطية تقدمية تتساوى فيها حقوق اليهود والمسيحيين والمسلمين .

فى الوقت الذى قامت فيه إسرائيل على أساس العنصرية الصهيونية التى تعمل فى إصرار لم يعد موضع شك على تحقيق الهدف التوسعى بين النيل والفرات . والذى يهدد مصير الأمة العربية كلها .

وبالتالى أضحت المعركة هى معركة بين أطماع الصهيونية العنصرية الدخيلة فى المنطقة . وآمال الأمة العربية وحققها فى النمو والتقدم والعيش فى سلام فى الأرض العربية .

ولما كان الشعب الفلسطينى العربى والأرض الفلسطينية العربية هما أول أجزاء الوطن العربى تعرضا للعدوان التوسعى الإسرائيلى أو نقطة البداية (من وراء الغيم)

للمخطط الصهيوني فقد كان من المحتم أن يوجد الكيان الفلسطيني وتبرز المقاومة الفلسطينية في مقدمة النضال العربى . بحيث نضع الشعب الفلسطيني في مكانه الحقيقى شعبا مناضلا من أجل حقه في أرضه وفي تقرير مصيره وفي استعادة حقوقه المسلوبة .

وتوضع مشاركة الشعوب العربية في موضعها السليم .. مشاركة في الدفاع عن النفس وعن المصير .. ويصبح على كل بلد عربى — كما قال الرئيس عبد الناصر — أن يخوض المعركة كجزء من الأمة العربية التى يوجه إليها التهديد ككل .. وأن يعطى ما يعطى للنضال الفلسطيني باعتباره مقدمة النضال وليس من باب التضامن العاطفى أو التكرم .. بل كما قال الرئيس عبد الناصر « دفاعا عن النفس ودفاعا عن الحياة في إطارها الوطنى وفي بعدها القومى » .

وحدد الرئيس عبد الناصر بوضوح موقف الجمهورية العربية المتحدة من النضال الفلسطيني في نقط ثلاث :

- ١ — التأييد المادى والمعنوى بغير حدود ولا تحفظات ولا شروط .
- ٢ — إن عملية التوحيد التى تراها الجمهورية العربية المتحدة واجبة لحركات التحرير الوطنية يجب أن تتم بالجهد السياسى لقوى الشعب الفلسطينى بلا ضغط وبغير وصاية من الخارج .
- ٣ — تقدير موقف النضال الفلسطينى من قرار مجلس الأمن الذى إذا كان كافيا لإزالة آثار العدوان فلا يمكنه أن يكون كافيا للمصير الفلسطينى لأن قضية فلسطين ليست قضية لاجئين تحل بالإحسان وإنما قضية وطن وقضية شعب وحقه في تقرير مصيره واستعادة وطنه .

وبعد ذلك أوضح الرئيس تعدد الطرق المفتوحة لتحقيق أهداف الأمة العربية مؤكدا أن الاستعداد لاستعادة الأراضى بالقوة لا يمكن أن يعطل عملنا السياسى لاستعادة ما ضاع منا إذا كانت للعمل السياسى وسيلة أو

فرصة وتبقى بعد ذلك حقيقة مؤكدة — هي أوضح ما في الوضع كله —
وهي ضرورة استعادة أرضنا وتطهيرها إلى آخر شبر تطهيراً كاملاً ونهائياً .
وعلى السؤال الذى يدور فى الخواطر ويلح على الأفكار .. لم يشأ
الرئيس أن يرد عليه إلا بكلمات قلائل محددة .. مؤكداً ما قال فى مجلس
الأمّة من أنه :

« ليس يضيرنا أن تكون كلماتنا أقل من قدراتنا فذلك أكثر أماناً من أن
يقع العكس .

فليس عدونا بعيداً .. وليس عدونا جاهلاً .

ولن يكون لكلماتنا وزن إذا لم يتحقق من قدرتنا على تدعيمها وإلا فإننا
نعطيه الفرصة لكى يسخر منا .. بينما نحن نخدع أنفسنا .. ونسئ إلى أمّة
حافظت — برغم الكرب والعذاب — على إيمانها ومنحت من ثقتها ما هو
لازم لتصحيح الميزان .. » .

لم يجب الرئيس رداً على السؤال الملح .. بسوى كلمات ثلاث « إن
الجمهورية العربية المتحدة تعمل وتبنى وتقوى » .
وذلك هو مربط الفرس ..

ذلك هو منبع التوازن الحقيقى للمعركة .. من جانبنا .. أن نعمل
ونبنى ونقوى .

وإذا كان الرئيس قد قاله فى ثقة واختصار ..

فإننا نحن .. الشعب المصرى .. الذى يجب أن تؤكده .

فقبل كل شيء .. وبعد كل شيء .. لن يكون لنا أمل فى شيء .. أى
شيء .. إلا .. إذا عملنا لكى نبنى وتقوى .. فالصراع .. ليس مجرد ..
صراع قوات مسلحة على الجانبين .. والمعركة .. ليست .. معركة
قتال .. بين طرفين .. ولكنها صراع بين حضارتين .. حضارة مستوردة
من الخارج .. تريد أن تقضى على حضارة العرب .. بقوة السلاح

المستورد .. وبقوة التقدم التكنولوجى المجلوب من الغرب .. صراع
طويل .. يحدد نتيجته .. البناء الوطنى .. والقوة الوطنية .. فى كل بلد
عربى :

ثم .. البناء العربى .. المترابط .. والقوة العربية الموحدة .. التى تواجه
الخطر الصهيونى العنصرى فى المنطقة ..

إننا نعمل .. ونبنى .. ونقوى ..

شعار يجب أن يتحقق فى كل بلد عربى ..

ولا يقل عنه أهمية .. أن نترابط .. ونتوحد وأن نكون واضحين أمام
أنفسنا... فى كل خطوة نخطوها .. حتى لا نضيع فى متاهات الخطب
والأمانى .. والشعارات .

وحتى تتوازن كلماتنا .. مع عملنا .. مع قدراتنا .. من أجل تحقيق
أهدافنا فى البقاء .. والتقدم .. والعدالة .. والسلام .

٥ فبراير سنة ١٩٦٩

كيف يفكر المثقفون الإسرائيليون

وصلتني رسالة من تل أبيب عن طريق روما أرسلها المهندس الإسرائيلي إبراهيم حبيب وقد قدمها بأنه بعث منذ عام برسالتين متتاليتين إلى جيرانه العرب أملا في شيء من تبادل الرأي حتى ولو انطوى على التضارب بصارم الكلام وقارصه .

ولكنه امتنع عن موالاة الكتابة بتأثير من شعور عنيف انتابه مدى طويلا من اقتناعه بأن الكلام بينه وبين هؤلاء الجيران لا ينفع وأنه ضرب من المستحيل ..

وقرأت الرسالة المرسله واقتنعت في نهايتها بشيء واحد مما قاله صاحبها وهو أن التفاهم ضرب من ضروب المستحيل ..

وكان المفروض أن ألقى الرسالة جانبا .. ولكنني أحسست أن ثمة شيئا يجب أن يقال لصاحب الرسالة .. وأن كلمة ما يجب أن يرد بها على وجهة النظر التي يمثلها ..

فوجهة النظر العربية .. حق .. يجب أن نجهر بها لكل الناس .. حتى هؤلاء الذين نشعر باستحالة التفاهم معهم لأنهم يعجزون — بعد أن أصبح الباطل قوامهم — عن فهم الحق .. مهما بسط .. ووضح .

يقول صاحب الرسالة إن سبب شعوره بأن التفاهم ضرب من المستحيل هو « أن جيراننا العرب يطالبون بأن نجلو عن الأراضي التي استولى عليها جيشنا قائلين بأننا ما دمنا نرفض التخلي عن تلك الأراضي فإنهم غير مستعدين للتحدث في أي مشروع » .

إن زعماء العرب قد خلقوا ورسخوا الرغبة في القضاء على الإسرائيلين

أذهان العرب . لأن إسرائيل جسم غريب .
وأنا أعلل رغبة زعماء العرب في القضاء على إسرائيل واعتبارها جسماً
غريباً بأنهم يكرهون المجتمع الحر المفتوح ويكرهون التقدم الطبى
ويكرهون تعليم الأحداث والمساواة الصحيحة بين المرأة والرجل . وعدد
صاحب الرسالة مزايا المجتمع الإسرائيلى . الذى تجعله — كما يتصور —
جسماً غريباً بالنسبة للزعماء العرب يجب القضاء عليه .

وعجيب أن يتصور مثقف إسرائيلى المسألة بمثل هذه البساطة .. مجرد
غيرة من الزعماء العرب .. من إسرائيل ذات المجتمع الحر المفتوح والتقدم
الطبى وتعليم الأحداث والمساواة بين الرجل والمرأة .. وغيرها من المظاهر
التي قال عنها صاحب الرسالة بالحرف الواحد « تثير وتغيظ الزعامة العربية
وتجعلها تستغرب هذا الكيان الإسرائيلى وتحقد عليه » .

ولم يعد علينا .. لكى نحل المشكلة .. إلا أن نعالج الزعماء العرب من
الحقد والغيظ والحسد الذى يملأ نفوسهم من المجتمع الإسرائيلى الباهر ..
وبعدها .. يرضى الشعب العربى كله عن إسرائيل .. ويسلم بوجودها ..
أحقيقة يمكن أن يكون هذا هو تفكير المثقفين الإسرائيليين .. الذى
يفهمون به المشكلة .. وأى مشكلة .. مشكلة وجودهم .. أو وجود
الجسم الغريب الذى غرسه العدوان فى هذه المنطقة ؟ .

أما أن يكون المثقفون الإسرائيليون من السذاجة بحيث يفهمون
مشكلتهم على أنها مجرد حسد وغيظ من الزعماء العرب ؟
أو أنهم يتصورون أن المثقفين العرب من السذاجة بحيث يمكن أن
يقنعهم هذا المنطق الأبله ؟ .

إسرائيل جسم غريب .. لأنه متميز عن الجسم العربى .. متميز بالتعليم
والخدمات الطبية والمساواة بين الرجل والمرأة وبالمجتمع الحر المفتوح .
ومن أجل هذا حسده الزعماء العرب .. وخلقوا ورسخوا الرغبة فى

القضاء عليها .. فى نفوس العرب .

ولم يعرف السيد صاحب الرسالة .. أن التعليم والخدمات الطبية والمساواة بين الرجل والمرأة والمجتمع الحر المفتوح .. لم تعد أشياء يمكن أن يخافها الزعماء العرب ويخشوا من انتقال عدواها من المجتمع الإسرائيلى إلى المجتمع العربى .. لأنها أشياء قد تأصلت فى المجتمع العربى .. وأنها تنمو وتزايد . (وإذا كان هناك ما يقلل من تزايدها فإنما هو وجود إسرائيل بما تحمله من تهديد للعرب يستدعى زيادة ميزانية الأمن على حساب ميزانية الخدمات) .

وإذا كانت ميزانية إسرائيل مثلاً فى عام ٦٦ / ٦٧ تحتوى على :

٢٠ ٪ خدمات اجتماعية (تعليم وصحة وإسكان وضمان اجتماعى)

٥ ٪ خدمات اقتصادية (زراعة وصناعة وبتروى ومصاريف

مواصلات) .

٥ ٪ خدمات عامة .

٣٠ ٪ دفاع وأمن .

٥ ٪ صناعات .

٨ ٪ فائدة .

٢٧ ٪ ميزانية ائتمان وسداد يون .

فإن أية ميزانية عربية لا يمكن أن تقل فيها نسبة الخدمات التعليمية والصحية والإسكان و .. الخ . عما هو موجود فى ميزانية إسرائيل . وإذا حددنا الجمهورية العربية المتحدة فإن مجانية التعليم .. والخدمات التأمينية والصحية والإسكانية .. تزيد كثيراً عما هو موجود فى إسرائيل وبالتالى لا يمكن أن تسبب ما يدعو إلى الحسد أو الغيظ مما يدعو إلى اعتبار المجتمع الإسرائيلى جسماً غريباً يجب إزالته .

ولكن المهندس الإسرائيلى يرى أن المشكلة .. مشكلة رغبة العرب فى

القضاء على إسرائيل .. هي مجرد دعوة من الزعماء العرب سببتها الغيرة
والغيظ والحسد .

ولا يرى ..

أن إسرائيل .. شردت مليون عربى .. وقذفت بهم خارج وطنهم ..
وحرمتهم من أراضيهم ودورهم .. وقتلت منهم من قتلت .

هل يعرف السيد المهندس الإسرائيلي هذه الحقيقة ؟ ..

هل يعرف كيف وجدت إسرائيل التى تتحدث عن مجتمعها المتمتع
بالتعليم والإسكان والخدمات الطيبة ؟ .

هل يعرف أن من الـ ٢,٣٠٠,٠٠٠ يهودى الذين يتمتعون بالمجتمع
الذى يتحدث عنه مليوناً وسبعمائة غرباء عن أرض هذا المجتمع .. وأنهم
وردوا من غرب أوروبا وشرقها ومن الأمريكتين ومن أستراليا وإفريقيا
وآسيا ؟ .

هل يعرف أن هؤلاء المتمتعين بالمجتمع المحسود .. قد حرّموا مليون
عربى .. من التمتع بمجرد البيت واللقمة فى وطنهم الأصيل ؟
ولا يبعث هذا بالطبع على الضيق أو الغيظ .. أو الرغبة فى القضاء على
سبب حرمانهم وضياعهم وتشريدهم .

فليس المفروض على هؤلاء أن يغبضوا أو يضيقوا ، بل المفروض —
بالمنطق الإسرائيلى العجيب — أن يخرجوا فى هدوء ورضا واستسلام ..
ويتركوا دورهم وأرضهم للمهاجرين من أستراليا وآسيا وإفريقيا وهولندا
 وأمريكا .

لأن هؤلاء المهاجرين .. كان أجدادهم من آلاف السنين يقطنون فى
فلسطين .. ويتحتم عليهم الآن أن يلتم شملهم .. ويذهبوا إلى أرض
الأجداد ليطردوا من عليها بقوة السلاح .. ولا عليهم إن قتلوا .. أو شردوا
أو جاعوا .. فالهم أن يجتمع الأبناء المشتتون فى أنحاء العالم فى أرض

أجدادهم الذين حلوا بها من آلاف السنين .
ولأن هؤلاء المهاجرين .. قد لا قوا من الاضطهاد والتنكيل ما
يدعوهم إلى البحث عن خلاص .. لم يكن لهم من خلاص .. سوى أن
ينكلوا بشعب لم يصبهم بأى أذى .. ولا أنزل بهم أى شر ..
ولست أعلم جنس صاحب الرسالة حتى أسأله .. عن تجربته الخاصة
في هذا ..

ولكنى أملك من التجربة الخاصة ما أستطيع أن أوكد به .. أن المجتمع
العربى .. وأستطيع أن أحدد بدقة أكثر المجتمع المصرى .. لم يشهد أى
اضطهاد لليهود .. فنحن تعلم كيف كانوا يجيئون في مصر .. حياة كريمة
حرة .. ونعرف مشاعر المودة التى كانت تسود علاقاتهم بكافة الأديان في
مصر .. قبل أن تنشب مخالب الصهيونية في جسد الوطن العربى وقبل أن
يعتدى اليهود الإسرائيليون على العرب ويكونوا في فلسطين دولة عنصرية
يهودية .. تعادى العرب بطريقة وجودها وتوسعها العدواني عليهم
وانغلاقتها على الدين اليهودى .

لم ير صاحب الرسالة .. أن الصهيونية هى التى جمعت اليهود من كل
أنحاء العالم لتوطنهم في أرض علاقتهم بها أسطورية منذ آلاف السنين
ليطردوا أصحابها الذين يعيشون فيها فعلا ويمتلكون أرضها ودورها .
فالمليون والآلاف الذين جمعتهم الصهيونية من أنحاء العالم .. سارقون ،
بحكم أى قانون من القوانين السماوية أو الأرضية . وصاحب الرسالة إذا
لم يكن من اليهود سكان فلسطين فهو سارق مثلهم . لا يبرر سرقة أن
أجداده كانوا يعيشون في الأرض التى سرقها منذ آلاف السنين . ولا
يبررها أنه لاقى من النازية الألمانية أو غيرها من بلاد العالم ما لاقى من
اضطهاد .

لا يرى المثقفون الإسرائيليون في سرقة الوطن الفلسطيني وقتل أهله
(من وراء الغيم)

وتشريدتهم سببا لغضب العرب ورغبتهم في القضاء على من تسبب في حرمانهم من أوطانهم وتشريدهم من أرضهم .

ولا يرون في العدوان المتواصل على الشعوب العربية والتهديد المستمر بالتوسع لاستيطان المزيد من المهاجرين اليهود في شتى أنحاء العالم وتحقيق أحلام إسرائيل في إمبراطورية كبرى من النيل إلى الفرات .. ما يثير غضب وقلق العرب ورغبتهم في القضاء على سبب التهديد ومنبع العدوان .

ولا يرى المثقفون الإسرائيليون أن احتلال الأراضي العربية وتدمير المنشآت العربية التي كافح الشعب العربي من أجل بنائها لكي يحقق لنفسه المجتمع السعيد الذي يفاخر به صاحب الرسالة ويعتقد أن إسرائيل وحدها تتميز به .

كل هذا لا يرى المثقفون أنه سبب كاف لإيغار صدر العرب وأحاساسهم بالعدوان الظالم والتهديد المتواصل . ولكنه يرى أن سبب المشكلة هو غيظ زعماء العرب وحسدهم للمجتمع الإسرائيلي المتميز بالخدمات والحرية ..

لم يجد صاحب الرسالة في الإجراءات التي تقوم بها السلطات الإسرائيلية من أجل التوسع ولا في تصريحات الزعماء الإسرائيليين عن المطامح التوسعية التي تسعى إسرائيل لتحقيقها بالعدوان ولا وجد في خطب ديان عن الأجيال التي تحقق مد آفاق الحدود جيلا بعد جيل ، شيئا يمكن أن يثير مخاوف العرب على مصيرهم ويحثهم على الدفاع عن أنفسهم ..

ولم يجد صاحب الرسالة في أعمال التفرقة العنصرية التي تمارسها إسرائيل مع العرب الذين بقوا في إسرائيل ولا في أعمال التعذيب والتنكيل والوحشية التي تنزلها بالمكافحين في الأراضي المحتلة ما يدعو العرب إلى الثورة على إسرائيل والرغبة في القضاء على مصدر هذا التنكيل والتعذيب .

تلك هى الحقائق الواضحة .. التى يجب أن تحدد للمنطق
الإسرائيلى .. وضع إسرائيل الحقيقى فى المنطقة . وإحساس العرب
الحقيقى بوجودهم .

الحقائق التى تضع المشكلة فى شكلها الحقيقى .. صراع بين القومية
العربية فى أرضها الأصيلة وبين القومية اليهودية التى تلملم الصهيونية
أجناسها المتباينة من شتى أنحاء العالم لتغرسها فى أرض لا حق لها فيها وتطرد
منها أصحابها .

إن الصهيونية هى التى أشعلت نيران هذه الخصومة بمحاولة خلق قومية
يهودية لا تستند إلى أية ميزة مشتركة من مميزات الأمة . لا أرض مشتركة
ولا اقتصاد ولا لغة ولا ثقافة ولا عادات اجتماعية .. لتواجه قومية عربية
تجمعها الأرض واللغة والثقافة والعادات الاجتماعية وكل مقومات الأمة ..
ومن أكبر المغالطات الإسرائيلية اعتبار التجمع العربى حركة لإبادة اليهود
ونسيان أن العدوان الإسرائيلى على الأرض العربية والتهديد المستمر لها هو
الذى جمع .. وسيجمع أكثر وأكثر .. القوة العربية .. لمواجهة الخطر
الصهيونى الذى يهدى المصير العربى .

والمتقفون الإسرائيليون إما أنهم يتجاهلون .. النوايا التوسعية
الإسرائيلية .. أو أنهم يرون أن على العرب أن يسلموا بها ببساطة وأن
يتركوا أرضهم لإسرائيل بلا مقاومة ما دام المجتمع الإسرائيلى يتمتع
بالخدمات الطبية والتعليم والإسكان ومساواة الرجل بالمرأة ..

إن النوايا التوسعية الإسرائيلية تؤكد أن إسرائيل لا تطلب مجرد
الأمان .. وإنما تسعى إلى مد رقعة الإمبراطورية الإسرائيلية . ولم يعد
المخطط الصهيونى لينحصر فى مجرد وطن الأجداد المقدس ليستقر فيه اليهود
بعد أن تركه أجدادهم منذ ٤٠٠٠ سنة . وإنما هى مطامع إقليمية تريد
الصهيونية اغتصابها من العرب لتجلب فيه بقايا اليهود وتشيد فيه

إمبراطوريتها .

ولصاحب الرسالة أسوق مناقشة وزير الإسكان الإسرائيلي السيد
مردخاي بنتوف لمسألة التوسع الذي يدور في أذهان القادة الإسرائيليين :
يقول السيد مردخاي :

« لقد كان حتميا أن ترتبط الفلسفة الصهيونية بقطر معين هو فلسطين
ولو اتجهت لأوغندا لفشلت فقد كانت أرض إسرائيل رمزا ، وكان من
الطبيعي أن تحتاج الحياة اليهودية إلى ما يحفزها بعد الثورة الكبيرة في حياة
الأمّة اليهودية إثر عمليات الاضطهاد .. ومع ذلك فإن أرض إسرائيل لم
تكن تعنى يوما حدودا معينة فلم أسمع أننا خلال تاريخنا الطويل قد فكرنا
يوما أو شعرنا بالحنين إلى (بير جفجافا أو شرم الشيخ) وخلال أجيال لا
حصر لها كان اليهود يقولون في دعائهم (العام القادم في القدس) ولم
نسمع يوما أن أحدهم قال في دعائه مثلا (العام القادم في أريحا) . ولكن
اليهود الذين يعيشون في فيلاتهم الفاخرة شمال تل أبيب ليتمنون ضم
أريحا .. ليس للهجرة إليها رغم أنها لا تبعد أكثر من ساعتين بالسيارة وإنما
رغبة منهم في أن يستغلوا أموال يهود نيويورك ليرسلوا يهودا من
الكمبيوترات إلى أريحا .

« إن أحدا من هؤلاء الذين يتحدثون عن إسرائيل الكبرى لم يقدم حتى
الآن تحديدا واضحا لما يقول .

« هل يقصدون الأرض الموعودة للقبائل اليهودية في التوراة ؟
« إذا كان الأمر كذلك فلماذا ينسون أرض القبيلتين ونصف فيضموا
المساحات الشاسعة التي وعدت بها في شرق الأردن ؟

« وإذا كان الأمر كذلك أيضا فلماذا نستولى على النقب الجنوبي بما فيه
إيلات مع أنها مناطق خارجة عن الحدود التاريخية لإسرائيل الكبرى ؟ .
« هل هم مستعدون لأن يتخلوا عن كل الأراضي الواقعة خارج

حدود إسرائيل التاريخية الكبرى ؟ .

« لقد كان السهل الفلسطيني في أيدي قبائل الفلسطينيين لا في أيدي القبائل الإسرائيلية . فلماذا لا يتنازلون عنه ؟

« أم تراهم يريدون حدود مملكة داود ؟ إذا كان الأمر كذلك فهل يريدون عمان ودمشق وشمال سوريا والفرات ؟ وهل لديهم استعداد للتنازل عن الأراضي الواقعة جنوب يافا وتل أبيب والتي لم تكن تابعة لمملكة داود ؟ ..

« أين إذن إسرائيل التاريخية الكبرى ؟ إن منطقتي (حيفا — عكا) و (يافا — غزة) لم تجتمعا قط تحت حكم يهودي طوال التاريخ .
« هل تعتبر أن كل أرض وطئتها قدم جندي إسرائيلي خلال الـ ٤ آلاف سنة الماضية هي ملك إسرائيل ؟ » .

هذا هو مخطط التوسع الصهيوني الذي يدور في أذهان القادة الإسرائيليين والذي يناقشه أحد وزرائها .

هل يمكن أن يضيف هذا شيئاً إلى فهم المثقفين الإسرائيليين للمشكلة .
وهل يمكن أن تصفو أذهانهم لحظة لترى كيف تبدو إسرائيل للعرب ..
وليروا .. ما أصاب العرب من إسرائيل بوجودها العدواني الذي شرد العرب وحرّمهم من وطنهم وبتهديدها المتواصل بالعدوان وبكل ما أنزلوه بالعرب من خسائر من احتلال أرض وقتل مواطنين وتدمير منشآت .
وليروا أن كل ما فعل العرب وما يفعلون .. إنما هو رد فعل لما أوقعته الصهيونية بهم وبأراضيهم . وأنه من حقهم أن يكافحوا بكل ما يملكون من وسائل في سبيل العودة إلى أوطانهم واستعادة حقوقهم وتحرير أراضيهم .

لو أن المهندس الإسرائيلي صاحب الرسالة الذي فسر موقف العرب من إسرائيل على أنه دعوة من زعماء العرب الذين يحقدون على إسرائيل

لمجتمعها المتميز ويريدون القضاء عليها لأنها جسد غريب — تميزه — عن بلادهم .

لو أن المهندس صاحب الرسالة.. طرد من بيته وقتل من أهله من قتل وشرد من شرد . واحتل بيته وموطنه أسرة غريبة من بلد آخر .. لأن حاكم البلد اضطهدوها .. ولأن جدما كان يقطن في هذا الوطن منذ ٤ آلاف سنة ..

ماذا كان يمكن شعوره لهذه الأسرة ؟ ..
لا أظنه المحبة والترحيب ..

إن العرب الذين شردتهم إسرائيل وأنزلت بهم القتل والدمار .. لا يمكن أن يلاموا إذا كان شعورهم .. هو الرغبة في القضاء على إسرائيل .. التي سببت لهم كل هذا .

ومع ذلك .. فإنهم يسيطون يدهم بالتسامح ليقولوا إن أرض فلسطين يمكن أن تنفسح لدولة ديمقراطية تضم جميع الأديان .

ولكن إسرائيل — بلد المجتمع المتميز الذي يحسده الزعماء العرب ويريدون القضاء عليه لأنه جسم غريب بمجتمعه المتميز — إسرائيل تصر على تكتل اليهود في دولة عنصرية يدفعها الغرور العسكري الهتلري إلى مد الحدود عدوانا بعد عدوان .. وجيلا بعد جيل لكي تكون سيفا مسلطا على المصير العربي والقومية العربية والحضارة العربية .

إن المثقفين الإسرائيليين يجب أن يفهموا حقيقة المشكلة .. ويجب ألا يهونوا الأمر على أنفسهم وعلى إسرائيل وعلى المجتمع المحسود .

إن العرب يحسون بالجرح الدامي الذي أصابهم به إسرائيل وهم يتزفون .. والخنجر الإسرائيلي ما زال في جانبهم .. الخنجر الذي يشهره القادة الإسرائيليون المغرورون بدعوى أنهم يؤمنون به إسرائيل .

ولن يكون هناك أمن أو استقرار وخنجر العدوان الذي تمسك به

العصبة العسكرية مغروس في جانب العرب .
إن الذين يقولون في إسرائيل بأنها وجدت بالقوة وستبقى بالقوة ..
حمقى ..

أولا لأن القوة ليست هي العنصر الطبيعي الدائم لوجود أمة . وثانيا
لأن إسرائيل لا تملك أسباب القوة من ذاتها .. وانها تستمدّها من الخارج .
ويوم تنقطع عنها الأسباب من الخارج سيتهاوى الخنجر المشهور ..
وثالثا — وهو الأهم — لأن العرب يملكون من أسباب القوة الذاتية
والقوة بالتضامن والوحدة .. ما يمكن أن يغيروا به ميزان القوة .. ويحققوا
به السلام الحقيقي العادل في المنطقة .

١٢ فبراير سنة ١٩٦٩

لكى يكون الوقت فى صالحنا

الأيام تمر .. ومعركة الصبر تطول ..
ولكن الصبر .. لا يمكن أن تكون ممارسته مجرد هواية .. أو
استعراض .. بل يجب أن تكون ممارسة الصبر لتحقيق هدف .. وتأكيد
فائدة ..

وحركة الوقت .. يجب أن تكون .. حركة فى اتجاه مخطط .. لتحقيق
مصلحة ما .. حتى يصبح لمرور الأيام قيمة .. بالربح والإضافة .. بدلا
من أن يكون ضياعا بالتجميد .. أو الفقدان ..

ولا جدال أن طرفى أى معركة — فى لحظات التوقف — يحاول كل
منهما أن يحول السكون إلى عملية فى صالحه .. بحيث يحصل بالثبات على
ما لم يحصل بالحركة .

ومع معركة المصير التى نخوضها مع الصهيونية .. تحاول إسرائيل أن
تكسب ما تستطيع من فترة الوقف التى تمر بها المعركة .. وأن تحول معركة
الصبر التى نخوضها فى مواجهتها معركة فى صالحها .. وأن تجعل من مضى
الوقت .. تثبيتا لما كسبته بالعدوان .. ومن مرور الأيام .. تحقيقا لمزيد من
مطامعها .

وفى هذه الفترة التى بدا أن جهدا دوليا يوشك أن يذلل .. لتحقيق
سلام عادل فى المنطقة على أساس قرار مجلس الأمن . فيتقدم الاتحاد
السوفيتى ببرنامج زمنى محدد لتنفيذ هذا القرار . وتدعو فرنسا إلى اجتماع
للدول الأربع الكبار لبذل الجهود لحل المشكلة قبل أن تتفاقم . وتوقف
تزويد إسرائيل بالسلاح .. وفى الوقت الذى تعلن فيه الولايات المتحدة أنها
تعتزم القيام بعمل إيجابى لحل أزمة الشرق الأوسط وأنها تراجع أمورها فيما

يتعلق بسياستها السابقة تجاه هذه الأزمة . ويعلن مندوبها في الأمم المتحدة أن إسرائيل لا يمكن أن تعيش كقاعدة مسلحة في المنطقة .
في هذا الوقت الذي بدأت فيه الجهود تبذل من أجل العمل على حل المشكلة قبل أن تنفجر وتهدد السلام العالمي كله .

يبدو المخطط الإسرائيلي متجها إلى إطالة وقت الوقفة .. والكسب من مرور الأيام .. والتخلص من المحاولات الدولية التي تبذل لحصار إسرائيل في زاوية .. تكرهها على الانسحاب وتنفيذ قرار مجلس الأمن .. مما تعتبره إسرائيل في نظرها عملية ضغط دولية .. تحرمها من تحقيق أطماعها التوسعية .. ومن تأكيد مكاسبها بالعدوان .

والمخطط الإسرائيلي تبدو مظاهره في الخطوط العريضة التالية :
أولا : عرقلة اجتماع الدول الأربع الكبار . وقد بدت مظاهر هذه العرقلة بإطالة أعمال التحضير للمجادثات الرباعية بالدخول في مباحثات ثنائية ، قيل إنها قد تستغرق عدة أسابيع ، وبمحاولة تميع إنجلترا للهدف من الاجتماع الرباعي . والاجتماع الفاشل مع دول غرب أوروبا . بحيث أصبح الاجتماع الرباعي غير محتمل إلا بعد عودة الرئيس الأمريكي نيكسون من جولته في العواصم الأوروبية المقرر أن تبدأ في أواخر هذا الشهر وبحيث عاد اليأس يصيب يارنج من جديد فيلوح بالعودة إلى منصبه في موسكو .

ثانيا : محاولة إسرائيل إيجاد أسواق للسلاح بديلة عن سوق فرنسا الذي أغلقه ديجول في وجهها . وقد ركزت إسرائيل على إنجلترا .. وكان تزويد إسرائيل بالأسلحة هو الغرض الواضح من زيارة زفي تسور مساعد وزير الدفاع الإسرائيلي ورئيس هيئة المشتريات العسكرية في لندن حيث أجرى محادثات مع دنيس هيلي وزير الدفاع البريطاني وغيره من المسؤولين البريطانيين . ولم تحاول الحكومة البريطانية أن تنفي استمرار تصدير

الأسلحة لإسرائيل بل قدمت تفسيرات عجيبة كان من بينها أن تقديم الأسلحة الهجومية لإسرائيل هو إحدى وسائل الضغط عليها لإلزامها بتنفيذ قرار مجلس الأمن .. لست أدري كيف .

ثالثا : محاولة إسرائيل قلب ميزان الدعاية .. بإعادة تضليل العالم بالظهور من جديد — رغم كل ما قامت به من أعمال عدوانية .. على الأراضي العربية .. ورغم كل ما قامت به من أعمال قمع وحشى لأهالى الأراضي المحتلة .. ورغم كل ما أعلنته من تصريحات تعبر عن أطماعها التوسعية — عادت إسرائيل رغم كل هذا لكى تضع نفسها أمام العالم موضع المعتدى عليه فى شكواها المتواصلة لمجلس الأمن ودعواها بأن الهجمات المصرية محاولة متعمدة ومخططة لتعكير صفو السلام الذى ساد لفترة من الوقت فى منطقة القناة وأن أعمال الحرب هذه تمثل بسبب طبيعتها وتوقيتها — أخطارا جسيمة على الأمن وتعد انتهاكا لقرار مجلس الأمن (وكان إسرائيل قد احترمت هذا القرار أو غيره من قرارات الأمم المتحدة) وتعمل على تقويض الجهود التى تبذل لإقرار السلام .

وهكذا تحاول إسرائيل — رغم كل ما قامت به ، ورغم سخريتها بالأمم المتحدة وبقاراتها .. ورغم تبجح قادتها و صلفهم — الشكوى من العدوان .. وادعاء الخوف من المحاولات التى تعمل على تقويض جهود السلام .

رابعا : ضرب المقاومة الفلسطينية :

تحاول إسرائيل بعد التطورات الأخيرة فى منظمة تحرير فلسطين أن ترد على عملية التطور والتوحيد التى لا شك ستقل العمل الفلسطينى من مرحلة المقاومة إلى مرحلة الثورة الشاملة وتقوم بتحركات عسكرية استعدادا لتوجيه ضربة للعمل الفلسطينى فى الوقت الذى تزيد فيه الإجراءات لمواجهة الهجمات الفلسطينية المتزايدة ومن بينها ما أذاعته الأنباء عن حفر

خنادق عميقة حول المستعمرات الإسرائيلية في الصحراء كجزء من إجراءات إسرائيل لمواجهة الهجوم الفلسطيني في منطقة وادي عربة . ومن بين هذه الإجراءات إقامة أسوار محكمة حول هذه المستعمرات . وتمهيد الطرق بينها لتعذر بث الألغام في الطرق الممهدة . بالإضافة إلى ما يقال عن بداية تنفيذ مشروع إيجال ألون الذي يقضي بإنشاء حزام من ٢٠ مستعمرة و ٣ مدن على طول الضفة الغربية لنهر الأردن . وإنشاء ١٠ مستعمرات في سيناء .

بهذا المخطط الذي يعتمد على عرقلة الجهود الدولية في فرض أى حل سلمي على إسرائيل يحرمها من مطامعها التوسعية وعلى مواصلة التسلح وكسر أية محاولة لحظر السلاح المحظور عليها بإيجاد أسواق بديلة للسلاح المحظور وكذلك بتحويل دفة الرأى العام العالمى الذى بدأ يدرك حقيقة إسرائيل كدولة عنصرية توسعية تعتمد في وجودها وفي تحقيق أطماعها على العدوان المسلح إلى دولة يعتدى عليها تخشى من بطش جيرانها الذين يتجمعون للقضاء عليها .. وفي نفس الوقت العمل على ضرب المقاومة الفلسطينية واتخاذ الإجراءات الدفاعية الوقائية ضدها .

بهذا المخطط تسعى إسرائيل إلى الكسب من مرور الأيام .. ومن تحويل مضى الوقت في هذه الوقفة إلى صالحها .. لتثبت مكاسبها العدوانية وتحقق مزيدا من المطامع التوسعية .. وإلى فرض الأمر الواقع بمرور الزمن .. وإذا كنا نحن نسعى لكى نحقق السلام العادل بالحل السلمى .. وإذا كنا نبذل كل ما في طاقتنا من أجل دعم قوانا العسكرية لتحرير أراضينا واستعادة حقوقنا وفرض السلام العادل بالقوة إذا لم تجد المحاولات السلمية نفعا .

فإننا يجب ألا نغفل .. أمرا حيويا .. هو أننا خلال سعيينا إلى هذا وذاك .. يجب أن نتيقظ دائما .. لكى نجعل الوقت الذى يمر .. حتى نحقق هدفنا ونحرر أرضنا ونسترد حقوقنا .. وقتا في صالحنا .. ولكى نكسب

به .. ولا نفقد خلاله ..

وهدفنا المحدد الذى يمكن أن يكون وسيلتنا فى الكسب من الوقت ..
هو ألا نجعل إسرائيل .. تشعر بالاستقرار .. أو بقرب الأمان .. أو
باحتمال السلام ..

إن هدف إسرائيل الرئيسى .. هو أن تفرض السلام بالقوة .. وتحقق
المزيد من المكاسب .. بالعدوان ..

ولكيلا ندعها تحقق هذا الهدف .. يجب أن تبقى وجودا بلا أمان ..
وأن نجعل من محاولاتها التوسعية .. امتدادا بغير قرار .. وعلى غير
أساس ..

وإذا كانت إسرائيل تريد أن تؤمن نفسها .. وتثبت أقدامها .. بمضى
الوقت .. فيجب أن نجعل من مضى الوقت .. سببا .. لتنغيص
مستمر .. وقلق دائم .. وحياة بغير استقرار ولا أمان ..

والطريقة هى المقاومة المستمرة والدائبة لا حتلاها وعدوانها ..
بضربات متواصلة لا تكل .. ولا تنى ..

وأن نكون على استعداد لضربات المضادة .. وأن نحتملها .. بغير
جزع .. بل كعمل متوقع .. يجب أن نستعد لمواجهة فى كل مكان ..
ويجب أن نحتمل آثاره .. ومواجهه .

وأن نواصل مواجهتها فى معركة مرور الأيام .. والكسب من
الوقت .. فى كل مجال .. وبكل وسيلة .. سياسيا .. ودعائيا ..

يجب أن يكون .. الصبر .. فى معركة الصبر .. صبرا مخططا ..
مرسوما لنكسب به مع الأيام ونعزز موقعنا لمواجهة خطط العدو فى كل
مجال ..

لكى نكسب معركة الصبر .. لا يكفى لنا مجرد الصبر .. بل يجب أن
نجعل العدو .. غير قادر على الصبر .

١٩ فبراير سنة ١٩٦٩

فهرس

الموضوع	الصفحة
مع نفسي	٦
في دوامة ما بعد النكسة	١٠
ليست معركتنا وحدنا	١٥
معركة .. من أجل الحرية	٢٠
إلى أين المسير ؟ .. وكيف ؟	٢٦
مهزلة .. في الأمم المتحدة !	٣١
النكت المريرة	٣٦
على .. طريق النضال	٣٨
الثورة .. والقانون	٤٤
الاتحاد الاشتراكي .. والناس	٤٦
رأى .. في مسألة الحزب	٥١
لتدعيم .. البناء العربي	٥٦
مؤتمر الخرطوم	٥٩
أصدقاء لماذا ؟ .. وأعداء لماذا ؟ ..	
١ — رصيد .. الصداقة والخصومة	٦٥
أصدقاء لماذا ؟ .. وأعداء لماذا ؟ ..	
٢ — صداقة .. الاتحاد السوفيتي	٧٢
أصدقاء لماذا ؟ .. وأعداء لماذا ؟ ..	
٣ — من نعاذى .. في إسرائيل ؟ ..	٧٨

الموضوع	الصفحة
أصدقاء لماذا ؟.. وأعداء لماذا ؟..	
٤ — أمريكا بين .. العداة والصداقة !	٨٥
الحقيقة .. من أفواه الأعداء	
١ — حاربنا بوحشية	٩٢
الحقيقة .. من أفواه الأعداء	
٢ — كارثة كادت تحل بإسرائيل	٩٩
الحقيقة .. من أفواه الأعداء	
٣ — المعارك الأخيرة .. تجيب	١٠٣
فلسطين .. موجودة	١١٠
من أجل .. عمل عربى موحد	١١٤
أين تقف ؟ وإلى أين تتحرك	١١٩
القضية .. ملك للفلسطينيين	١٢٧
إنه مصيرنا .. كيف نواجهه ؟	١٣٢
الطريق مسدوس أمام الحل السياسى	١٤١
لكى لا نبدأ .. من الصفر !	١٤٦
كلمات .. من أجل التغيير	١٥٧
هل بات .. مجرد أمنية ؟	١٦٧
بين الديمقراطية .. والعلم	١٧٢
السلام .. من موقع القوة	١٧٧
غصن الزيتون وطلقات الغدر	١٨٠
نظرة .. شاملة	١٨٣
فى مفترق الطرق	١٩١
عمل تكتيكى ؟.. أم استراتيجى ؟	١٩٧

الموضوع	الصفحة
فلسطين الجديدة	٢٠١
جبهة .. تحتاج إلى التركيز	٢٠٧
مشكلة .. شباب العصر	٢١١
بين الحق .. والباطل !.	٢١٧
ماذا تستطيع .. أمريكا ؟	٢٢٦
في معركة الصبر	٢٣٤
على أبواب عام جديد	٢٤٠
الحقائق والمنطق وسياسة أمريكا	٢٤٦
ديجول ومنطق زعماء إسرائيل	٢٥١
التوازن بين الكلمات والأعمال	٢٥٦
كيف يفكر المثقفون الإسرائيليون ؟	٢٦١
لكي يكون الوقت في صالحنا	٢٧٢
الفهرس	٢٧٧